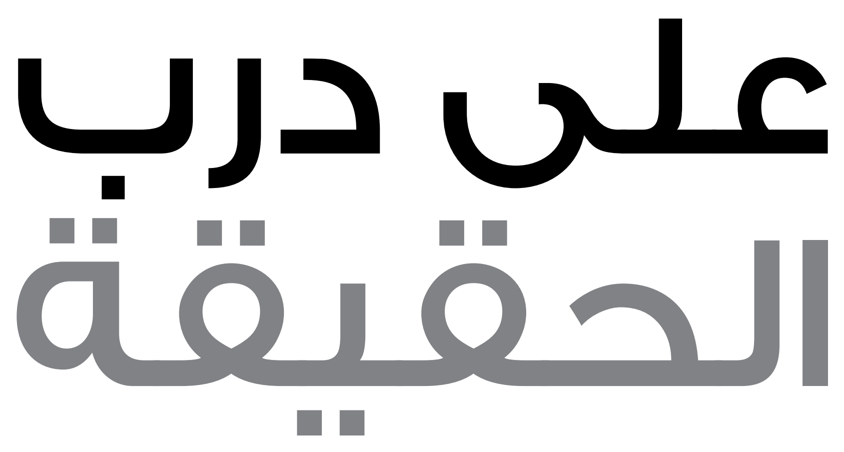


على درب الحقيقة

دليل " أريج" الصحافة العربية الاستقصائية



دليل (أريج) للصحافة الاستقصائية العربية

شبكة إعلاميون
من أجل صحافة استقصائية عربية (أريج)

أول دليل تدريبي للصحافي
المتقصي في العالم العربي

شارك في الإعداد بإشراف الدكتور مارك هنتر كل من يسري فوده،
بيا ثوردسن، رنا الصباغ، نيلز هانسون، لوك سنغرز، فلمنغ سفيث،
يحيى شقير، محمد قطيشات

تحرير الطبعة العربية: محمود الزواوي ورنا الصباغ
الترجمة إلى العربية: غازي مسعود

بدعم من منظمة يونسكو – باريس



المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠٠٩/٨/٣٤٠٠)

الفهرس

مقدمة

استثمارنا في صحافة استقصائية عربية



يسري فوده
عضو مجلس أدارة شبكة أريج

بعد انطلاقة قناة الجزيرة بأشهر قليلة عام ١٩٩٦، حزمت أمري وقررت أن أطرح على إدارتها فكرة بدت للبعض "مجنونة": أن يسمحوا لي بالاختفاء شهرين كل شهرين كي أعود إليهم بتحقيق تليفزيوني مدته ٤٥ دقيقة. ولأن القاعدة في العمل التليفزيوني العربي حتى ذلك الوقت على الأقل كانت العكس تقريباً بشكل ساخر، وهي أن تختفي لمدة ٤٥ دقيقة كي تعود بما يوازي شهرين من المواد المصورة، فقد أشاحت الإدارة عني مستهزئة و كدت أدخل في دورة اكتئاب مهني.

بعدها بأشهر قليلة، لسبب ما، قرر رئيس مجلس الإدارة، الشيخ حمد بن ثامر آل ثاني، أن يمنحني فرصة لإعداد حلقة تجريبية يتم تصويرها في حدود محل إقامتي، لندن، بميزانية تكاد تكون صفراً. اخترت أن أبحث في موضوع الجمرة الخبيثة الذي كان محل اهتمام دولي آنذاك بعد تسريب معلومات عن تورط الحكومة البريطانية السابقة في تسهيل تصدير مواد مزدوجة الغرض إلى العراق. وقتها كان محظوراً تصدير تلك المواد المدنية التي يمكن تطويعها للأغراض العسكرية.

بمعايير الأمس كان ذلك التحقيق في رأي من شاهدوه «فتحاً» على طريق مفهوم عربي جديد للصحافة الاستقصائية، تحديدا التلفزيونية. ذلك إلى حد أن إدارة القناة قررت إذاعته أكثر من مرة، وهو ما لم يكن من المخطط له، كما عاد على القناة - المنبوذة من الحكومات

العربية وقتها بشكل خاص - بجائزة التحقيقات في المرة الأولى والأخيرة التي شاركت في مسابقات مهرجان القاهرة للإنتاج الإذاعي والتليفزيوني عام ١٩٩٨.

ورغم أن تاريخ الصحافة العربية المكتوبة يحتفظ ببعض المحاولات الخجولة في هذا المجال، فقد وضعت القناة الوليدة يدها على منطقة جديدة على أعين المشاهدين العرب وهذا ما نحاول أن نفعله في شبكة إعلاميون من أجل صحافة استقصائية عربية **اريج** في العالم العربي. كنت أدرك أن هذه المنطقة الجديدة مليئة بالأشواك، وأن هذه الأشواك تتسع في بلادنا كي تشمل النواحي المهنية والأمنية والقانونية والسياسية والثقافية، وحتى الذهنية والنفسية والاجتماعية.

فأولاً، من الناحية المهنية، لم تنتشر بعد في مؤسساتنا الصحفية ثقافة الجودة التي تتطلب إدارةً متفهمة وتدريباً متواصلاً وفريقاً متكاملاً وميزانية واقعية ووقتاً كافياً لعملية الإنتاج. ورغم أن من النادر أن تجد مديراً أو رئيساً للتحرير لا يتغزل في مزايا التحقيقات الصحفية المتعمقة فإن من النادر أيضاً أن تجده متحمساً لـ - وقادراً على - ترجمة ما يقول إلى واقع، لأسباب تتعلق به هو نفسه أحياناً وتتعلق أحياناً أخرى بما يعتقد أنه أكبر منه. وإذا لم نستطع التغلب على هذا النوع من المشاكل المرتبطة بمطبخنا نحن الصحفيين فلن نستحق ببساطة شرف البدء في مواجهة النوعيات الأخرى من المشاكل.

وثانياً، من الناحية الأمنية، لا تَصْدُق مقولة إن الصحافة «مهنة البحث عن المتاعب» بقدر ما تصدق على هذا اللون من الصحافة. وهو ما يضع مفهوم «حساب المخاطرة» في قلب العمل الاستقصائي انطلاقاً من مبدأ أنه لا يوجد خبر يستحق أن يموت الصحفي من أجله. ورغم بداهة هذا المبدأ فإن ثمة أسباباً كثيرة تدعونا إلى القلق خاصةً في منطقة من العالم حديثة العهد بهذا اللون الصحفي المتطلب، مليئة بصغار الصحفيين الذين يتلهفون على إثبات ذواتهم في ظل غياب أبسط درجات الاحتياط. إنها توليفة مبشرة لكنها يمكن أن تتحول بسهولة إلى توليفة مدمرة. يقع جانب من المسؤولية لتفادي ذلك على أقسام الإعلام في الجامعات وعلى المؤسسات الصحفية من خلال ما يمكن أن توفره من إعداد علمي و معنوي ومادي متوافق مع بيئة التحقيق. لكنّ الجانب الأكبر من المسؤولية يقع على عاتق الصحفي نفسه؛ فهو الذي سيموت إذا كان لابد أن يموت أحد وهو الذي يمكن أن «يقرر» أن يعيش كي يتمكن من كشف ملابسات موضوع آخر.

وثالثاً، من الناحية القانونية، لا يخلو أي تحقيق صحفي جاد من زاوية قانونية؛ فالصحافة الاستقصائية تركز بوجه خاص على أمور غامضة معقدة لها عادةً علاقة بالفساد والإهمال، وتسعى في معظم الأحيان إلى الإجابة عن أسئلة تبدأ بـ «كيف؟» و «لماذا؟»، و تطبق في سبيل الحصول على ذلك أحياناً أدوات وأساليب ربما لا تتمتع بالمستوى المثالي من الشفافية والقانونية. ولا شك هنا في أن التحدي الأكبر يكمن في أن تحصل

على سبق صحفي دون أن تضطر إلى كسر القانون أو إلى التخلي عن الأخلاق. يتطلب ذلك بطبيعة الحال ثقافة قانونية حادة وقراءةً متأنية لمعطيات التحقيق وتوثيقاً لا لبس فيه للمعلومة وصياغة دقيقة للكلمة.

ورابعاً، من الناحية السياسية، لا تزال غالبية الحكومات العربية ترى في تمكين المواطن من المعلومة خطراً على استقرارها، وهي حقيقة لا بد للصحفي الاستقصائي أن يفهمها وأن يضعها بذكاء في إطار الواقع دون أن يتخلى عن هدفه الذي خُلق من أجله: الوصول إلى الحقيقة وإيصالها إلى المواطن، حاكماً كان أو محكوماً. وبالنظر إلى واقع العالم العربي فإن ذلك يعني في معظم الأحيان تقلص مساحة احتمال الخطأ أمام الصحفي وهو ما يمثل تحدياً مشوقاً يضاف إلى التحديات الأخرى. لا تختلف كثيراً الآليات التي تحكم علاقة الصحفي بالسياسي عن تلك التي تحكم علاقته بأي مصدر آخر مهما ضعفت سلطته؛ فكلاهما يريد أساساً أن «يستخدم» الصحفي لغرض أو لآخر. لكنّ أمام الصحفي دائماً طريقاً ثالثة إذا استطاع تحديدها استطاع الوصول إلى ما يريد واستطاع أيضاً أن يعيش ليوم آخر.

وخامساً، من الناحية الثقافية، تمثل الثقافة العربية، وهي ثقافة شفهية في أساسها، تحدياً أمام صحفي يحاول الوصول إلى أرقام و نِسَب وإحصاءات أكثر من محاولة التطريب والنشوة وانتزاع آهات الإعجاب. ورغم أنه لا يوجد بالضرورة تعارض بين الاثنين فإن اقتناء حقيقة جافة يمثل في ثقافتنا العربية مجرد خطوة لا يكتمل تقديرها إلا بامتلاك القدرة على عرضها في صورة أصيلة جذابة، وهي مساحة صحفية فنية لا تزال في حاجة ماسة إلى الاستثمار. كما لا تزال مجتمعاتنا في حاجة إلى التعود على أن اهتمام الصحفي بمعرفة عدد الرجال المصريين الذين تزوجوا نساءً يحملن جوازات سفر إسرائيلية لا يعني بالضرورة أنه جاسوس.

أخيرا، أثبتت تجربة شبكة أريج خلال السنوات الثلاث الماضية أنه ليس بالضرورة أن تتطرق مواضيع التحقيقات الاستقصائية إلى قضايا تصنف في خانة القضايا السياسية الحساسة المرتبطة بفساد ما قد يمارسه نافذون في عالم المال والتجارة، أو في دهاليز السياسة كما حال فضيحة «وترغيت» (١٩٧٢-١٩٧٤) التي أطاحت بالرئيس الأمريكي الجمهوري ريتشارد نيكسون، أو بالجريمة المنظمة من الاتجار بالبشر، وتهريب المخدرات. ولكن بإمكان الصحفي الاستقصائي العربي معالجة قضايا وظواهر اجتماعية مهمة تبدأ بتلوث البيئة، سلامة مياه الري، صلاحية الحافلات العامة، وسلامة ألعاب الأطفال البلاستيكية، وانتهاء بالأخطاء الطبية المتكررة، ومكاتب خدمات طلابية غير مرخصة تدعي أنها تابعة لجامعة افتراضية في أوروبا أو العالم العربي، ليكتشف المنتسبون إليها لاحقا أنها مطابع لإصدار شهادات مزورة.

مقدمة

دليل أريج التدريبي

الهدف الأساس للصحافة الاستقصائية الاحترافية ليس البحث عن النجومية أو الثأر أو الابتزاز، وإنما كشف المستور وتوثيق المشكلة على أمل لفت انتباه إلى الجهات المتسببة - بقصد أو دون قصد - وتحقيق العدالة الشفافية، والمساءلة: وهي بعض من أعمدة السلطة الرابعة.

يُوفِّر هذا الدليل مُرشداً لأساليب وتقنيات تتعلق بأساسيات الصحافة الاستقصائية Investigative Journalism التي لم تتكرس بعد كمفهوم وتقليد في الإعلام العربي بأشكاله كافة - المرئي والمسموع والمقروء والمواقع الإلكترونية الإخبارية.

ويملأ المرشد عن قصد فجوة في أدبيات هذه المهنة خاصة في وسائل الإعلام العربي، المرئي، والمسموع، والمكتوب، والمواقع الإلكترونية. فأغلب المراجع التدريبية التي أنجزت حول الصحافة الاستقصائية تكرس حيِّزاً كبيراً لموضوع البحث عن المعلومات والعثور عليها. وتفترض أن الإعلامي حالما يعثر على المعلومات التي يسعى إليها، سيكون قادراً على كتابة قصة حيويَّة.

أما نحن، مجموعة القائمين على إعداد أول دليل تدريبي في العالم العربي من خلال منهجية تتبعها شبكة إعلاميون من أجل صحافة استقصائية عربية(أريج)، فلا نوافق على ذلك الافتراض. لأننا بصراحة لا نعتقد أن المسألة الأساس هي العثور على المعلومات. بل نعتقد أن المهمة المركزية هي رواية قصة مكتملة تتعلق بقضية عامة تمس أكبر عدد ممكن من الناس من خلال تطوير فرضية قابلة للنفي أو للتأكيد من خلال جمع معلومات تتحول إلى حقائق ساطعة لا لبس فيها.

ويقود ذلك إلى الابتكار المنهجي الأساس لدليل شبكة أريج: إننا نستخدم القصص (القضايا مثار البحث) باعتبارها الإسمنت الذي يربط ويمسك معاً كل

خطوة من خطوات العملية الاستقصائية، بدءا بالبحث عن المعلومات، وكتابة القصة، ومراقبة الجودة وإطلاع النسخة النهائية على محام متخصص قبل نشرها. في شبكة أريج نسمي هذه الطريقة بـ «أسلوب التحقيق القائم على افتراض» -- **Hypothesis-Based Inquiry** ، لنؤكد أن أية قصة (قضية) تظل فرضية إلى أن يتم إثباتها:

فبإثبات القصة أو دحضها، يستطيع الإعلامي أن يعرف، بسهولة أكبر، ما هي المعلومات التي يجب أن يسعى إليها، وكيف يفسرها.

ويستطيع أي مُحَرِّرٍ أو ناشر أن يُقيِّم، بسهولة أكبر، جدوى المشروع الاستقصائي وكلفته من حيث الجهد والمال، وعبر تنفيذه حسب المخطط المقترح لغاية تقديمه، وعوائد القصة على المجتمع.

وفيما يتقدم البحث ويتطور، سيساعد أسلوب شبكة أريج الفريق الإعلامي أو الاستقصائي في تنظيم وإعداد مواده لمرحلة التأليف، وتأليف أجزاء محدَّدة من القصة النهائية.

كما يسهّل هذا الأمر، بدوره، مراقبة الجودة، ويُمَكِّن للمعنيَّ النظرَ عن كثبٍ في مدى التزام القصة بالمعايير القانونية والأخلاقية.

وفي نهاية العملية، ستكون النتيجةُ قصةً يمكن اختصارها في بضع جملٍ فعالةٍ ومؤثرة و قصة يمكن أن تنشرها وتتذكرها.

نحن في شبكة أريج لا نزعم أننا ابتدعنا أسلوب التحقيق القائم على افتراض. فقد استُخدمت سابقاً أساليب مشابهة بدءا بأعمال تتعلق بتقديم الاستشارة التجارية وانتهاء بالعلوم الاجتماعية والعمل الشرطي. وما فعلناه ليس إلا العمل على تطبيقه في العمل الصحفي، ولتحقيق أهداف الصحافة الاستقصائية القائمة على تسليط الضوء على قضايا تهم المجتمع بحاجة إلى حل.

استغرقت عملية إعداد هذا الدليل أكثر من عامين وتطلبت تعاون جميع المحررين والمشرفين والصحافيين الذين تم تدريبهم على استخدام أسلوب عمل شبكة أريج. الفضل الأكبر يعود للبروفسور د.مارك هنتر، أستاذ الإعلام والصحافة الاستقصائية في كل من جامعة باريس ٢ وانسياد، ومؤلف عدة كتب استقصائية منها كتاب عن اليمين السياسي في فرنسا، بصفته كبير مدربي

المشرفين في شبكة أريج في البلدان العربية التي تعمل فيها الشبكة. وساندت جهوده الزميلتان الصحفيتان المسؤولتان عن تدريب الصحافيين العاملين مع الشبكة -- رنا الصبّاغ المديرة التنفيذية لشبكة أريج وبيا ثوردسن، عضو مجلس إدارة الشبكة وعضو مجلس إدارة جمعية الصحافيين الاستقصائيين في الدانمارك، واللتان وضعتا تصوّرا وحدّدتا فكرة إصدار دليل تدريبي حول العمل الصحفي الاستقصائي للعالم العربي. وبالنسبة للدكتور هنتر، جاءت تلك الفكرة في اللحظة المناسبة، سيما وأنها شكّلت استمراراً لعمل سابق قام به، وهو بالتحديد أطروحته لدرجة الدكتوراه التي قارنت بين الأساليب الاستقصائية الفرنسية والأمريكية. وأدّى ذلك، بدوره، إلى منصب شغلُه في معهد الصحافة الفرنسي Institut Francais de Presse في جامعة باريس/ بانثيون - أساس Universite de Paris\ Pantheon-Assas، حيث استفاد في الوقت نفسه، وعلى مدى الأعوام العشرة الماضية، من صحبة زملاء كرماء ملتزمين، وطلبة ماجستير متحمسين عمل معهم قبل أن يباشر العمل كمستشار مع شبكة أريج عام ٢٠٠٦. وسمحت له هاتان المجموعتان من الأفراد في الجامعة أن يقوم باختبار ميداني للعديد من الأساليب التي يتبناها ويدافع عنها في هذا الدليل.

في سنة ٢٠٠١، بدأ الدكتور هنتر ما ظنُ أنه سيكون إجازة عمل في إنسياد INSEAD، كلية التجارة الدولية، وتحوّل منصبُ بحثٍ مؤقتٌ إلى منصب أستاذيّة إضافي، والأهم أن ذلك مكن الدكتور هنتر من الاستفادة من وجهات نظر وخبرات زملاء كثيرين مثل إيف دوز Yves Doz ولودو فان دير هايدن Ludo Van der Hayden وكيفن كالسر Kevin Kalser حيث ساهمت أفكارهم في إعانته على إعداد دليل شبكة أريج. فقد أجبره هؤلاء الباحثون على التفكير بشكل أكثر تجريداً في ممارسات وسائل الإعلام، وعلى التفكير بالكيفية التي يمكن بها تحسين العملية الاستقصائية في مجالات أوسع، بما فيها الصحافة.

ومِثله مِثْلُ المؤلفين المشاركين في هذا الدليل، كان الدكتور هنتر في الوقت نفسه منخرطاً في ممارسة التغطية الاستقصائية. يستذكر الدكتور هنتر عام ٢٠٠١ عندما تأسست شبكة الصحافة الاستقصائية العالمية Global Investigative Journalism Network كمنتدى مدهش لتبادل أفضل الممارسات في عالم الصحافة الاستقصائية، حيث ظهر أن أسلوب التحقيق الصحفي الاستقصائي القائم على قصة ما أساسها فرضية كان منهاجا يجرب بشكل مستقل في عدة بلدان. كان هو والزميلة ثوردسون من بين الأعضاء المؤسسين لتلك الشبكة، إلى جانب اثنين من القياديين هما نلز ميولفاد Nils Mulvad من

المعهد الدانماركي للتغطية الإعلامية المدعومة بأجهزة الكمبيوتر Danish Institute for Computer-Assisted Reporting وبرانت هيوستن Brant Houston من منظمة محررون وإعلاميون استقصائيون Investigative Reporters and Editors.

وبالتالي استفاد دليل شبكة أريج مباشرة من خبرة شبكة الصحافة الاستقصائية العالمية لأن الأخيرة كانت المكان الذي التقينا فيه مع الذين ساهموا معنا في بلورة ذلك المنهج. فقد درَّس المؤلف المساعد الرئيس لهذا الدليل، السويدي نلز هانسون Nils Hanson، في الشبكة منذ تأسيسها. ويظهر اسمه أول ما يظهر في الفصول التي تصدَّر كتابة مسوداتها. واكتشف الهولندي ليوك سنغرز Luuk Sengers أن التحقيق الصحافي على أساس فرضية يمكن أن يُطبّق على إدارة المشروع من ألفه إلى يائه. وطوَّر الدنماركي فلمنغ سفيث Flemming Svith أدوات كومبيوترية فعّالة وبسيطة لتنظيم الاستقصاءات. وقام المُغترب الأمريكي في البلقان درو سوليفان Drew Sullivan بتقنين ممارسات تغطية تدور حول الجريمة المنظّمة يمكن أن تُطبّق على أوضاع أخرى عديدة. وربما ما هو أكثر أهمية من ذلك أن النقد والنُصح الإيجابيين اللذين قدمهما المشاركون في مؤتمر الشبكة الذي يُعقد كل عامين قد أكد وجود حاجة إلى المادة الموجودة في الدليل ورغبة بها قبل أن تتبناه شبكة أريج بدعم سخي من منظمة اليونيسكو.

وقد تم تعزيز عملية التطوير الجماعية بإنشاء مركز لندن للتغطية الاستقصائية Centre for Investigative Reporting of London ومدرسته الصيفية Summer School السنوية ساعد بتفحّص طرق جديدة لتعليم عملية تأليف القصص بناء على أسلوب الفرضية. وأخيراً، وفّرت عشرات من ورشات العمل التدريبي التي قامت بها شبكة أريج في العالم العربي فرصة لاختبار الأفكار المُقدّمة في هذا الدليل أثناء تأليفه، وفي إطار التنوع الثقافي. وقد تم تأسيس شبكة أريج بدعم من قبل البرلمان الدانماركي عبر مؤسسة دعم الإعلام الدولي International Media Support ومقرها كوبنهاغن.

وقد قرأ مسودة هذا الدليل وراجعه زملاء إعلاميون مخضرمون من العالم العربي أغلبهم يعمل كمشرف في الشبكة هم من الأردن رنا الصباغ، جورج حواتمة، سعد حتر، ومحمود الزواوي، ومن سورية إبراهيم ياخور، الدكتور مروان قبلان، علي حسون وحمود المحمود، ومن لبنان ندى عبد الصمد، بيسان الشيخ، وحازم الأمين، ومن مصر يسري فوده، وعمر كحكي.

إن الصحافة الاستقصائية هي مهنة ومهارة، وهي أيضاً عائلة منتشرة حول العالم، ترعرع الدكتور هنتر والزملاء الأجانب والعرب في كنف هذه العائلة، ورأوها تكبر. وهذا الدليل مدخلُكَ إلى العائلة. فنحن في شبكة أريج نرحب بك عضوا في عائلتنا. نتشرّف بك ونحترمك لحرفيّتك وأخلاقك المهنية الرفيعة والتزامك الخلقي تجاه مجتمعك.

أسرة أريج



دليل أريج الفصل الأول:

ما هي الصحافة الاستقصائية؟

ما هي الصحافة الاستقصائية: كيف تتم، ولماذا يتحتم علينا القيام بها؟



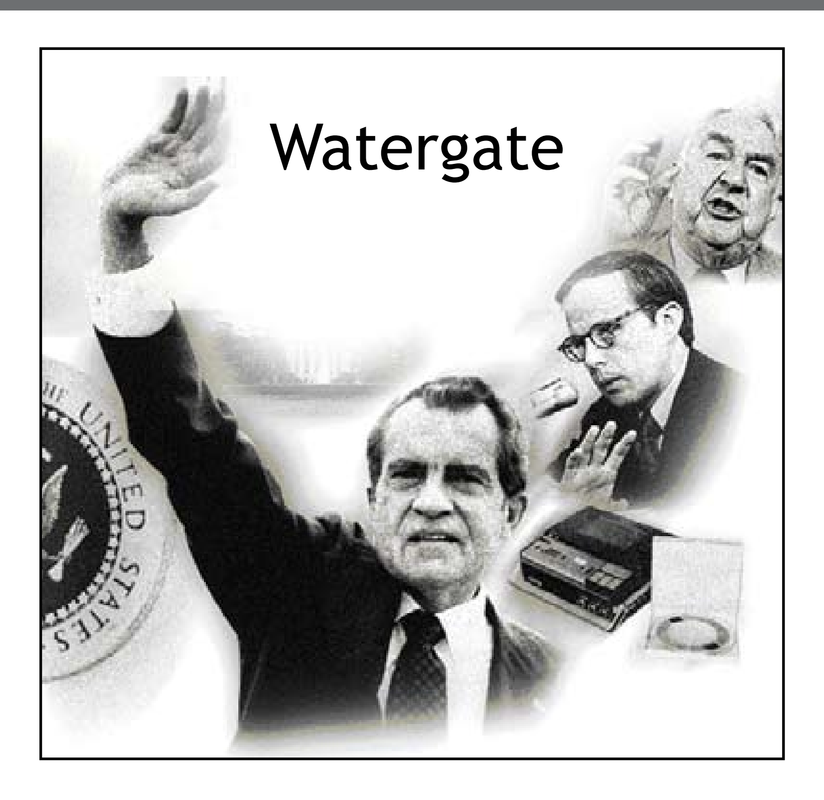
● مارك هنتر و نلز هانسون
Mark Hunter and Nils Hanson

ليست الصحافة الاستقصائية تغطية عادية لخبر ما. وبعد مضي أكثر من ٣٥ عاما على فضيحة ترغيت التي أنهت الحياة السياسية للرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون عام ١٩٧٤، ما زال الجمهور والصحفيون غير متفقين على الإجابات. وهذا ما نعتقده نحن مؤلفو هذا الفصل:

تشمل الصحافة الاستقصائية كشف أمور خفيّة للجمهور - أمور إما أخفاها عمداً شخص ذو منصب في السلطة، أو اختفت صدفة خلف رُكام فوضوي من الحقائق والظروف التي أصبح من الصعب فهمها. وتتطلب استخدام مصادر معلومات ووثائق سرية وعلنية.

تعتمد التغطية الإخبارية التقليدية، بصورة عامة وأحيانا كليّاً، على مواد ومعلومات وفّرها آخرون (في الشرطة والحكومات والشركات العامة والخاصة ... إلخ)، وتعتمد على جمع ردود فعل متعددة حيالها. وعلى العكس من ذلك، تعتمد التغطية الاستقصائية على مواد جُمعت أو استُقيت بمبادرة شخصية من الإعلامي. ولهذا فإنها تُسمّى أحياناً كثيرة «تغطية المشروع» (Enterprise Reporting).

تهدف التغطية الإخبارية التقليدية إلى خلق صورة موضوعية للعالم كما هو. أما التغطية الاستقصائية، فتستخدم بطريقة موضوعية، مواد ومعلومات حقيقية تتحول إلى حقائق يوافق أي مراقب عقلاني على أنها حقيقية. ويحرك



الصحافي الاستقصائي هدف ذاتي غير موضوعي يتمثل برغبة في إصلاح العالم. فمن المسؤولية أن نعرف الحقيقة كي يمكن تغيير العالم.

خلافاً لما يحب بعض المحترفين قوله، فالصحافة الاستقصائية ليست فقط صحافة تقليدية جيدة وحسنة التنفيذ. صحيح أن شكلي الصحافة هذين يركزان على أربعة عناصر هي: من وماذا وأين ومتى، ولكن العنصر الخامس للتغطية التقليدية "لماذا"، يتحول إلى عنصر "كيف" في الاستقصاء. ولا يتم تطوير العناصر الأخرى كمّياً فقط، بل ونوعياً أيضاً. "من" ليست مجرد اسم ولقب، بل وشخصية لها صفة وأسلوب ميزان. وليست "متى" فقط حاضر وقوع الأخبار، بل سياقا تاريخيا للسردً. وليست "ماذا" مجرد حدثٍ، بل ظاهرة لها أسباب ونتائج. وليست "أين" مجرد عنوان، بل موقعا أو مكانا تصبح فيه إمكانية وقوع أحداث أو أشياءٌ معينةٌ ممكنة أكثر أو أقل. هذه العناصر والتفاصيل تمنح الصحافة الاستقصائية، في أفضل أحوالها، ميزة فنيَّة تُعزز أثرها العاطفي على المتلقي.

باختصار، ورغم أن الإعلاميين قد يقومون بكلا النوعين: التغطية اليومية التقليدية والعمل الاستقصائي في مجرى مهنتهم، فإن النوعين يشملان أحياناً مهارات وعادات عمل وعمليات وأهدافا مختلفة جداً. وهذه الاختلافات مفصَّلة في الجدول التالي. ولكن يجب على القارئ أن لا يقرأ هذه الاختلافات على أنها تعارضات متناقضة. على العكس من ذلك، حين ينسجم عمل الصحفي بشكل أكبر مع الجانب الأيسر من الجدول، فذلك يعني أنه يقوم بتغطية تقليدية؛ وحين ينتقل عمله إلى وضع على يمين الجدول، يبدأ الإعلامي بالتصرف بأسلوب

الصحافة الاستقصائية ⟵⟶	الصحافة التقليدية
البحث	
تُجمع المعلومات وتُرسل وفق إيقاع ثابت (يومياً، أسبوعياً، شهرياً).	لا يمكن نشر المعلومات إلا إذا تم التأكد من ترابطها واكتمالها.
يكتمل البحث بسرعة، ولا يتم القيام بأي بحث آخر بعد أن تكتمل القصة.	يستمر البحث إلى أن يتم التثبت من القصة، وقد يستمر بعد نشرها.
تقوم القصة على الحد الأدنى الضروري من المعلومات ويمكن أن تكون قصيرة جداً.	تقوم القصة على الحد الأقصى من المعلومات المُحصَّلة، ويمكن أن تكون طويلة جداً.
يمكن لتصريحات المصادر أن تحلّ محلّ التوثيق.	يتطلب التحقيق الصحافي توثيقاً لدعم تصريحات المصادر أو إنكارها.
العلاقات بالمصدر	
الثقة في المصدر مُفترضة، وفي الأغلب دون التحقق منها.	لا يمكن افتراض الثقة بالمصدر؛ فقد يُقدم المصدر معلومات مزيفة؛ ولا تستطيع استخدام أية معلومات دون التحقق منها.
تُقدم المصادر الرسمية المعلومات للإعلامي مجاناً، لتُعزز دورها وتروج لأهدافها.	تُخفى المعلومات الرسمية عن الإعلامي، لأن كشفها قد يعرض مصالح السلطات أو المؤسسات للخطر.
لا مجال أمام الصحافي إلا قبول الرواية الرسمية للقصة، رغم أنه يمكن أن يعارضها بتعليقات أو بيانات من مصادر أخرى.	يتحدى الإعلامي بصراحة الرواية الرسمية للقصة أو ينكرها، بناء على معلومات يستقيها من مصادر مستقلة.

يتصرف الإعلامي بمعلومات أقل مما تتصرف بها معظم مصادره أو كلها.	يجمع الإعلامي ويتصرف بمعلومات أكثر مما يتصرف به أي مصدر منفرد من مصادره، وبمعلومات أكثر مما يتصرف بها معظم مصادره أو جميعها.
المصادر دائماً مُعرّفة تقريباً.	في الأغلب لا يمكن تعريف المصادر لضمان أمنها.
النتائج	
يُنظر إلى التحقيق الصحافي كانعكاس للعالم الذي يتم قبوله كما هو، ولا يأمل الإعلامي في الوصول إلى نتائج أبعد من مجرد إخبار الجمهور بموضوعه.	يرفض الإعلامي قبول العالم كما هو، فهدف القصة اختراق وضع معين أو تعريته، كي يصلحه، أو يدينه، أو، في حالات معينة، تقديم مثال لطريق أفضل.
لا يتطلب التحقيق الصحافي انخراطاً وحماسا شخصياً من الإعلامي.	دون انخراط شخصي وحماس من الإعلامي، لن تكتمل القصة أبداً.
يسعى الإعلامي لأن يكون موضوعياً قدر المستطاع دون تحيُّز لأي طرف في القصة أو حكم عليه.	يسعى الإعلامي لأن يكون عادلاً ومدققاً في حقائق القصة، وبناء على ذلك، قد يحدد ضحاياها وأبطالها ومذنبيها. وقد يقدم الإعلامي أيضاً حكماً على القصة أو يتخذ أو يصدر قراراً بشأنها.
البنية الدرامية ليست مهمة جدا في التحقيق الصحافي، وليس للقصة نهاية، لأن الأخبار مستمرة.	بنية القصة الدرامية ضرورية لتأثيرها، وتقود إلى استنتاج يقدِّمه الإعلامي أو المصدر.
قد يرتكب الإعلامي أخطاءً، ولكنها حتمية وعادة ليست مهمة.	تُعرِّض الأخطاءُ الإعلاميَ لجزاءات رسمية أو غير رسمية، يمكن أن تُحطِّم مصداقية الإعلامي والوسيلة الإعلامية.

استقصائي.

يحتاج العمل الاستقصائي الصحافي إلى مجهود أكبر بكثير من الصحافة العادية، لكنك تستطيع إنجاز كل خطوة من الخطوات العملية بكفاءة ومتعة وستشعر بأن مردود الاستقصاء كبير -- بالنسبة للجمهور، ولوسيلتك الإعلامية، ولك.

للجمهور : يحب المشاهدون القصة التي تُقدِّم لهم قيماً إضافية - أي معلومات لا يستطيعون العثور عليها في أي مكان آخر، ويستطيعون الثقة بها، وتمنحهم سلطاناً على حياتهم. يمكن للمعلومات أن تكون عن السياسة أو الشؤون المالية أو المنتجات التي يستخدمونها في منازلهم. وما يهم أن حياتهم يمكن أن تتغير بما يمكننا قوله عن هذه المواضيع. إذاً لاحظ كيف أن الصحافة الاستقصائية ليست فقط منتجاً إعلاميا. إنها خدمة تجعل حياة الناس أفضل.



لوسيلتك الإعلامية: لا تدعْ أي شخص يقول لك إن الاستقصاء ترف بالنسبة لوسائل الإعلام الإخبارية لأن وسائل الإعلام التي تقوم بالاستقصاءات وتديرها بكفاءة، وتستخدمها لإغناء قيمتها، قد تحقق أرباحا مالية. (ليست الأسبوعية كنار إنشين Canard Enchaine في فرنسا ومجموعة الإكونومست The Economist Group في المملكة المتحدة إلا مثالين مختلفين).



لك: في العقود التي صرفناها ونحن ندرِّب الصحافيين الاستقصائيين، كثيراً ما سمعناهم يقولون: "ألن أخلق لنفسي أعداء؟" والحقيقة هي أنك إن قمت بعملك بشكل صحيح، ستصنع أصدقاء أكثر مما ستخلق أعداء. وأيضاً ستجعل نفسك معروفاً بشكل أفضل في المهنة وخارجها. وسوف تُقيّم مهاراتك بشكل أكبر في سوق العمل؛ وسواء بقيت صحفياً أو لم تبقَ، لن تجد أبداً صعوبة في العثور على عمل آخر. فالصحافيون الذين يفتقدون المهارات الاستقصائية يمكن استبدالهم بسهولة.

الأهم أنك كفرد سوف تتغير بطرق عديدة مدهشة. سوف تصبح أقوى، لأنك ستعرف أنك قادر على العثور على الحقيقة بنفسك، بدلاً من انتظار شخص ما يُقدِّمها لك. وسوف تتعلم كيفية التغلب على مخاوفك وأن تنصت لشكوكك. وسوف تفهم العالم بطريقة جديدة أعمق. باختصار، المردود كبير جداً إلى حدٍّ سيجعلك، إن كنت مهتماً بالصحافة وبنفسك، تُقَدِّم لنفسك ولمشاهديك ولزملائك القيمة الإضافية التي يخلقها الاستقصاء.

اختيار قصة ليتم استقصاؤها

كثيراً ما يسأل الإعلاميون المبتدئون: «كيف نختار قصة لنستقصيها؟» فكثيراً ما يجدون صعوبة في العثور على واحدة من تلك القصص. ولكن كما قال لي أحد طلبتي ذات مرة، «المادة موجودة في كل مكان.» والمشكلة هي في رؤيتها. ولحسن الحظ توجد طرقٌ عديدة لاستشعار قصة تستدعي الاستقصاء.

تتمثل إحدى هذه الطرق في مراقبة وسائل الإعلام. فبشكل عام، من الأفكار الجيدة مراقبة قطاع إعلامي معين، كي تستطيع البدء بتحديد أنماطه، فتدرك، بذلك، متى يحدث أمرٌ غير عادي. إذا أنهيت قصة وفكّرت، "لماذا حصل ذلك؟"، فسيكون حظك جيدا في أن تجد المزيد لتستقصيه.

وتتمثل طريقة أخرى في انتباهك لما يتغير في بيئتك، وأن لا تعتبر التغير أمراً عاديّاً. بدأ الإعلامي البلجيكي العظيم كريس دو ستوب Chris de Stoop استقصاءً مَعْلَمَاً حول الاتّجار بالنساء بعد أن لاحظ أن العاهرات البلجيكيات في حيٍّ عَبَرَهُ وهو في طريقه إلى عمله قد أفسح المجال لعاهرات أجنبيات، وتساءل لماذا؟

وتتمثل طريقة ثالثة بالاستماع إلى شكاوى الناس. لماذا يجب أن تكون الأمور على هذه الشاكلة؟ ألا يمكن فعل شيء لتغييرها؟ ففي كل مكان يجتمع الناس فيه - أسواق قرية، منتديات إنترنت، حفلات عشاء - سوف تسمع أشياء تبدو غريبة أو صادمة أو مدهشة.



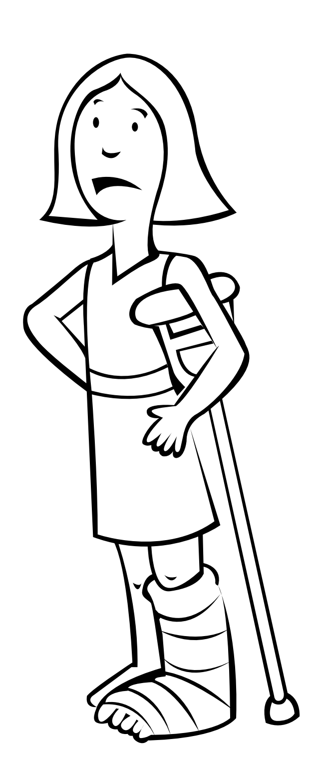
وأخيراً، لا تبحث فقط عن أفعالٍ خاطئة. فكثيرا ما يكون أكثر صعوبة أن تقوم بتغطية أفضل حول شيء يجرِي بشكل صحيح - كفهم موهبة جديدة، أو مشروع تطوير حقق أهدافه، أو شركة تخلق ثروة ووظائف. إن تحديد عناصر النجاح المتكررة، أو "أفضل الممارسات"، خدمة قيِّمة تُقدِّمها لمشاهديك. مثلا، بدأت الزميلة لينا العبد في سورية العمل على تحقيق استقصائي عبر شبكة أريج حيث افترضت استغلال الصيادلة ضعف تطبيق قانون ينظم عملهم لصرف أدوية طبية تحتوى على مواد مخدرة أو مهدئة تؤدي إلى الإدمان. لكن بعد شهور من التقصي عبر محاولة شراء نوعين من الأدوية التي تحتاج لوصفة طبية مسبقة، اكتشفت أن أغلب صيدليات دمشق تلتزم بعدم بيع الأدوية التي تحتوي على مواد مخدرة بدون وصفة طبية.



وتذكَّر، خصوصاً حين تبدأ، أنه لا يوجد شيء يُسمّى استقصاءً صغيراً. بناء على خبرتنا نستطيع أن نجزم بأن المهارات الضرورية للقيام بتحقيق في قرية نائية هي نفس المهارات التي تحتاجها في العاصمة. لذا، ابدأ بالعمل على قصص تشعر بها في محيطك الآني لتبدأ ببناء مهاراتك. لا تنتظر حتى تنخرط في استقصاء رفيع المستوى كي تتعلم ما عليك فعله.

أخيراً و أولاً، اتبع مشاعرك. ولهذا المبدأ بُعدان:

الأول هو ما ندعوه "عقدة الرجل المكسورة ." وندعوها كذلك لأنه إلى أن انكسرت رِجل أحدنا، لم يلحظ أبَداً كم من الناس تعرج. فبشكل عام، نحن لا نلحظ الظَواهر إلا إذا كنا حسّاسين تجاهها فعلاً. إذاً اسمح لمشاعرك القائمة أن تجعلك حسّاساً لقصص لا يبدو أن أي أحد آخر يأخذها على محمل الجِدّ.



والبعد الثاني هو: إن لم تُدهشك قصة، أو تُغضبكَ، أو تمنحك رغبة عارمة لرؤية شيء يتغير، يجب عليك أن لا تحاول استقصاءها لأنك لن تنجح. اقترح القصة على غيرك ممن قد تعنيه الفكرة أكثر منك. وفي حال كنت محررا مسؤولا عن صحافي يستقصي قضية معينة ولاحظت أن حماسه تغير ولم يعد يتعامل معها بالأهمية نفسها التي كان عليها سابقا، أسترجع المهمة منه وقم بإعطائها لشخص آخر.

لماذا؟ تذكّر دائما: يشمل الاستقصاء عملاً إضافياً. فإن لم تهتم بقصة بصورة خاصة، فلن تقوم بذاك العمل. وطبعاً عليك أن تستخدم عقلك النقدي لتنجزها، ويجب أن تحافظ على المهنية والموضوعية في مراحل العمل والظروف كافة. لكن إذا لم تَمَسْ القصة مثار البحث عواطفكَ، ستفشل في استقصائها.

ج. هل تستحق القصة كل هذا العناء؟

أُنجزت استقصاءات كثيرة لأسباب خاطئة. فرغم أن العاطفة مهمة، والثأر عاطفة، فإن بعض الإعلاميين والناشرين يستعملون التحقيقات ليحققوا ثأراً شخصياً. في أحيان أخرى أُنجزت الكثير من الاستقصاءات التي تطلبت عملا شاقا لأنها كانت أسهل القصص المتوفرة لإعلامي ما. وكثيرا ما ينسى المُستقصون إن كانت قصةٌ معينة يعملون عليها مهمةً لمشاهديهم، ولماذا.

إذاً اسأل نفسك الأسئلة التالية حين تكون في مرحلة تُقيِّم إذا كانت قصةٌ ما تستحق العمل الذي تتطلبه منك أو لا:



كم عدد الناس الذين سيتأثرون؟
(ونُسمي هذا "**حجم الوحش**" The size of the beast).

ما مدى قوة تأثرهم؟ (وهنا تعتبر النوعية مهمة بأهمية الكمية.
فإن مات شخص واحد، أو تحطمت حياته أو حياتها، تكون القصة مهمة.)

إن تأثروا إيجابياً، هل يمكن تكرار السبب (الفعل) في مكان آخر؟

أو، هل هؤلاء الناس ضحايا؟ هل يمكن تجنُّب معاناتهم؟ هل يمكننا أن نُبيِّن كيف؟

هل يوجد مذنبون يجب أن يُعاقبوا؟ أو على الأقل، أن يُدانوا؟

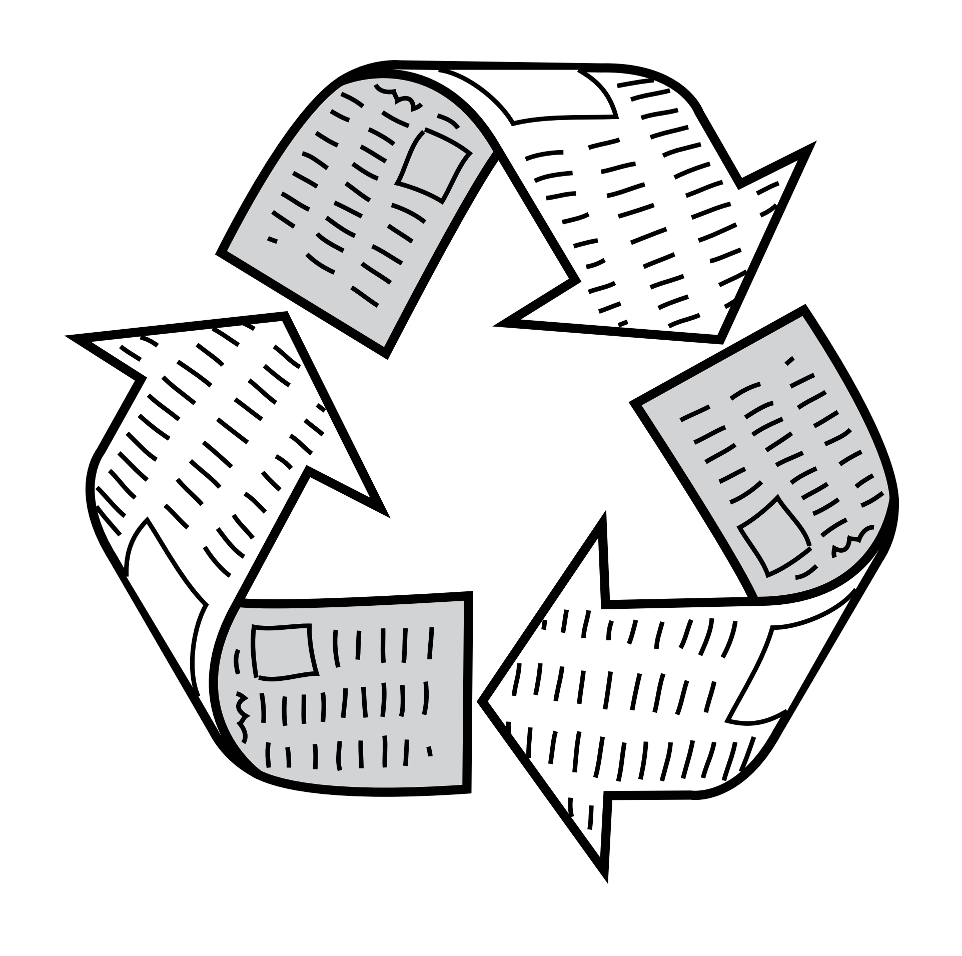
هل من المهم في أي حدث قول ما حصل، حتى يتكرر أو لا يتكرر مرة أخرى؟

وإليك كيف ينظر أحدنا إلى الأمر: العالم مليء بالمعاناة، ومعظم تلك المعاناة لا فائدة منها، وهي نتيجة للرذيلة والخطأ. فأي شيء يقلِّل المعاناة والقسوة يستحق الشروع به. ويستطيع الاستقصاء أن يؤدي إلى تقليل المعاناة.

حاول أن تضع تلك الخدمة نصب عينيك أولاً، قبل أن تستخدمها لتطوير مهنتك فقط. ولا تنسى أبداً أن الاستقصاء سلاحٌ، وأنك قد تؤذي آخرين به - عن عمد أو بسبب إهمالك. ففي مجرى مهنتك، سوف تكون أفضل وأسوأ شيء حصل أبداً لأشخاص آخرين. كن حذراً وأنت تختار الدور الذي ستلعبه، ولصالح من تلعبه، ولماذا. أنظر بعمق في دوافعك الشخصية قبل أن تستقصي دوافع الآخرين. فإن لم تكن القصة أكثر أهمية للآخرين مما هي مهمة لك، فربما يجب أن لا ترويها.

في مجرى حياتنا المهنية، قمنا بمئات الاستقصاءات. وفي كل منها، في لحظة، جاء شخص ما إلينا وقال: « لماذا تسأل هذه الأسئلة كلها؟ أو ماذا ستفعل بهذه المعلومات؟ وماذا يعطيك حق التصرف بها؟» ونحن نقول إن لم يكن لدينا جوابٌ جيدٌ عن ذلك السؤال أكثر من أن «للجمهور حقًّا في أن يعرف!» يكون الاستقصاء قد انتهى. فجواب كهذا غير كاف. عادة ما نقول شيئاً يشبه هذا: «ما يحصل هنا مهمٌّ، لك وللآخرين. سأروي تلك القصة، وأريد أن تكون حقيقية. وآمل أن تساعدني على كشفها وسردها.»

ومهما كان ما تقول في لحظة كهذه، يجب أن تؤمن به. الأهم أن ما تقوله يجب أن يكون معقولاً للشخص الذي تتحدث إليه، أياً كان. فالناس غالبا لا يحبون الصحفيين، وأحد أسباب ذلك أنهم لا يثقون بدوافعنا. ونحن نتوقع منك أن تسهم في تُغييِّرَ ذلك الانطباع.



دليل أريج الفصل الثاني:

استخدام الفرضيات:
جوهر الأسلوب الاستقصائي

استخدام الفرضيات:
جوهر الأسلوب الاستقصائي

● مارك هنتر، لوك سنغرز، بيا ثوردسن
Mark Hunter, Luuk Sengers and Pia Thordsen

العملية إلى الآن:

١. نكتشف موضوعاً.

٢. نطرح فرضيَّة لنتحقق منها.

أ. الفرضيةُ هي قصةٌ وأسلوبٌ لاختبارها.

يتذمر الإعلاميون دائماً من أن المحررين يرفضون أفكارهم القصصية العظيمة. من المؤكد أن ذلك يحصل. ولكن ما يرفضه المحرر، في الأغلب، ليس قصة على الإطلاق، بل دعوة لمصيبة – تحقيقاً خُطِّط له بشكل سيء وسوف يصرف مالاً ووقتاً لنتيجة مشكوك فيها. وهم محقون في ذلك.

وعلى سبيل المثال، حين تقول لمحرك المسؤول «أود إجراء استقصاء عن الفساد» لا تكون قد قدّمت له اقتراحاً عظيما. لماذا؟ لأن الفسادُ موجودٌ في كل مكان من العالم. وإن صرفت وقتاً كافياً في البحث عنه فستجد بعضاً منه. ولكن الفسادَ بحدِّ ذاته موضوعٌ، وليس قصةً، وما يفعله الصحفيون هو سرد قصص. فإن سعيت إلى موضوع وليس قصةً، قد تصبح خبيراً في الموضوع، ولكنك ستضيع وقتاً ومالاً وطاقة كبِيرة أثناء قيامك بذلك. وذلك هو السبب الذي يجعل أي محرر

عاقل يقول لك «لا.»

لكن إن قُلْتَ، بدلاً من ذلك، «إن الفساد في النظام المدرسي قد حطّم آمال الوالِدين بأن أطفالهم سيعيشون حياة أفضل،» فإنك تروي قصة مُحَدَّدّةً. وهذا الاقتراح بحد ذاته أكثر إثارة لمحررك.

وسواء عرفتَ أم لم تعرف، فإنك تكون قد طرحت فرضيَّة - لأنك لم تثبت بعد أن قصتك هي القصة الصحيحة. إنك تقترح أن الفساد في المدارس موجودٌ، وأن له آثاراً مدمِّرة على مجموعتين من الناس في الأقل، الآباء والأطفال. قد يكون ذلك صحيحاً أو قد لا يكون؛ فلا يزال عليك أن تحصل على الحقائق.

في هذه الأثناء، تطرح فرضيتك أسئلة محددة يجب الإجابة عنها إن كنت تريد أن تعرف إذا كانت معقولة أم لا. ويحدث هذا خلال عملية نُقطّع فيها الفرضية إلى أجزاء(أو محاور) لنجيب على الإدعاءات المحددة المتعلقة بهذا المحور والتي تحتاج أن تجيب عليها لتؤكدها أو تنفيها. بعد ذلك، نستطيع التثبت من كل واحد من تلك الادعاءات على حدة. أكثر من ذلك، سوف نرى أيضاً ما نعنيه بالكلمات التي نستخدمها لنروي القصة، لأن علينا أن نكتشف ونُعرِّفَ معانيها لنعرِفَ إلى أين نحن ذاهبون.

وفيما يلي طريقة واقعية للنظر في هذه العملية:

أولاً، نطرح الفرضيَّة: "الفساد في النظام المدرسي حطَّم آمال الوالِدين بأن يعيش أطفالهم حياة أفضل."

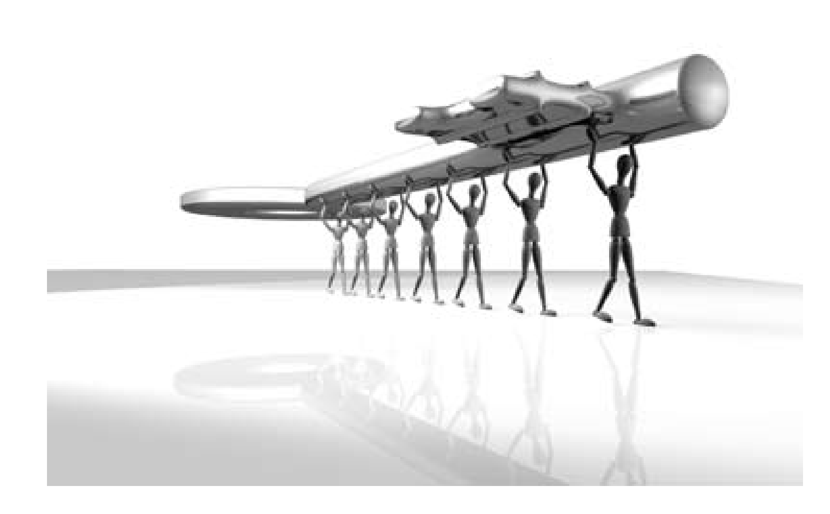
الآن نُجزىء أو نُقطع العناصر المختلفة التي يشملها: الفساد/ في النظام المدرسي/ حطَّم آمال الوالِدين/ بأن يعيش أطفالهم/ حياة أفضل/ .

بعد ذلك، نُحاول أن نعَرِّفُ كل عنصر عن كثب، ونرى أية أسئلة تُوَلِّدُها:

الفساد	"الفساد": ما الذي نعنيه بالضبط بكلمة "الفساد؟" هل هي الرشاوى، المحسوبية، المحاباة في التوظيف؟ كيف يتم ذلك في المدارس، في حال كان موجوداً أصلاً؟
في النظام المدرسي	أي نوع من المدارس؟ وكم عددها؟ هل يعمل الفساد بالطريقة نفسها في كل مدرسة؟ ما هي الأحكام التي يُفترض أن تُجَرِّم الفساد؟ لماذا تظل تلك الإجراءات غير فاعلة؟ أي نوع من الناس يعملون ضمن هذا النظام، وكيف توزع مراكز القوى والمكافآت بينهم
حطِّم آمال الوالِدين	أيِّ والِدين شهدا فساداً؟ ما هي آمالهم؟ كيف كانوا يعتقدون أن التعليم سوف يساعد على تحقيق أحلامهم؟
بأن يعيش أطفالهم	هل يعي الأطفال ما يحصل حولهم؟ إن كان الجواب نعم، كيف يؤثر ذلك عليهم؟
حياة أفضل	هل يجعل التعليم الحياة حقاً أفضل للأطفال؟ وكيف؟

يمكنك أن تجيب عن هذه الأسئلة وفق أي ترتيب تشاء، ولكن الترتيب الأسلم، دائما تقريباً، هو ذلك الذي يمكن أن تتبعه بسهولة أكثر. فأي استقصاء سوف يصبح صعباً عاجلاً أم آجلاً، لأنه يشمل جمع الكثيرَ من الحقائق من العديد من المصادر- الأمر الذي يعني ضرورة تنظيم موادِّك بشكل أكبر. كما ستواجه الكثير من مشاعر القلق حول ما إذا كنت قد وصلت إلى القصة الحقيقية قبل أن تخاطر بسمعتك كإعلامي محترف.

في مثالنا الافتراضي، قد تكون البداية الأسهل هي التحدث إلى الوالِدين والأطفال عن آمالهم وإحباطاتهم.



حالما تجد على الأقل أربعة مصادر تؤكد لك وجود فساد في المدارس - لأن أقل من أربعةٍ مصادر متطابقة قد تشكل أرضية خطرة جداً لتقف عليها - يمكنك البدء بالنظر في كيفية عمل النظام المدرسي. وسوف تكون بحاجة لدراسة أحكامه وإجراءاته ومثالياته وأهدافه المقررة ومهمته.

حين تعرف كيف يعمل النظام، سوف ترى المناطق الرمادية والسوداء التي يمكن أن يقع الفساد فيها.

وبعدها تستطيع مقارنة واقع ما سمعته واكتشفته مع ما يدعي القائمون على تطبيق النظام أو القانون.

ب . مزايا الاستقصاء القائم على الفرضية

هل يبدو لك أن المثال الذي ذُكِرَ أعلاه يتطلب كثيراً من العمل؟ قد يكون ذلك هو الواقع. لكن فقط إذا قارنته بالطريقة التي تكتب بها معظم القصص الإخبارية. أي بالتحدث إلى مصدر أو مصدرين أو بإعادة كتابة بيان صحفي. فإن قارنت الأسلوب الافتراضي بمعظم طرق الاستقصاء الأخرى. ستكون مزايا توفير الوقت في حالتنا واضحة.

١- يمنحكَ أسلوب الفرضية شيئاً لتتحقق منه. بدلاً من محاولة كشف سرٍّ ما.

الناس لا يكشفون أسرارهم بلا سبب وجيه. وهم أكثر استعداداً لتأكيد المعلومات التي بحوزتك لأن الناس يكرهون الكذب. فالفرضية تُمكنكَ من أن تسألَ سؤالا محددا لكي تؤكدَ شيئا ما. وهي تضعكَ أيضاً في موقف المُنفتح على اكتشاف وجود أكثر مما هو موجود في القصة التي اعتقدت أنه موجود فيها في البداية. لأنك مستعدٌّ لقبول وجود حقائق أبعد مما ظننت أنها موجودة عندما بدأت العمل الاستقصائي.

٢.تزيد الفرضية فُرصك في اكتشاف أسرار.

إن كثيراً مما ندعوه «أسراراً» هو. بكل بساطة. حقائق لم يسأل أحدٌ عنها أبداً. للفرضية أثر نفسي يجعلك أكثر حساسيّة واستشعاراً للمادة. بحيث تستطيع أن تسأل تلك الأسئلة بطريقة واضحة. فكما قال المُستقصي الفرنسي إدوي بلينل Edwy Plenel . "إذا أردت العثور على شيء. عليك البحث عنه."

٣.الفرضية تجعل إدارة مشروعك أكثر سهولة.

بعد أن تكون قد عرَّفت وحددت ما تبحث عنه. وأين تبدأ البحث عنه. تستطيع تقدير الزمن الذي تتطلبه خطوات الاستقصاء الأوليّة. تلك هي الخطوة الأولى للتعامل مع الاستقصاء كمشروع تستطيع إدارته. وسوف نعود إلى هذه النقطة في نهاية هذا الفصل.

٤. الفرضيّاتُ أدواتٌ تستطيع استخدامها مراراً وتكراراً.

عندما تعمل ضمن طريقة منهجية. ستشعر قطعا أن مهنتك تتغير. وأكثر أهمية من ذلك. ستتغير أنت. فلن تحتاج بعد ذلك شخصاً يقول لك ما عليك فعله. وسوف ترى ما يجب فعله لمواجهة بعض فوضى ومعاناة هذا العالم. وستكون قادراً على تحقيق نتيجة عبر لفت أنظار الرأي العام والمسؤولين. ألم

تصبح صحفياً لأجل ذلك في المقام الأول؟

٥. عملياً، تضمن الفرضية أنك ستسلّم قصة، وليس فقط كمية من المعلومات.

تذكر أن المحرّرين يريدون ضمان الحصول على قصة لينشروها بعد صرف فترة زمنية محددة واستثمار موارد محددة من خلال عملك الاستقصائي. والفرضيّة تستطيع أن تزيد فرصة الوصول إلى تلك النتيجة بشكل أكبر. إنها تُمكِّنُكَ من توقّع حدٍّ أدنى لعملك وحدٍّ أقصى، وبالمثل توقع الأسوأ.

الأسوأ هو أن يُبيِّنُ التحقق الأولي من الفرضية عدم وجود قصة، فيجري إنهاء المشروع دون تضييع موارد مهمة وجهد ومال.

يتمثل الحد الأدنى من النتيجة الإيجابية بأن تكون الفرضيَّة الأوليَّة التي وضعتها صحيحةً، ويمكن إثباتها بسرعة.

وفي الحد الأقصى إذا كانت هذه الفرضيّة صحيحة، فمنطقياً لا بد للفرضيَّات الأخرى أن تتبع المسار نفسه، وسوف ينتج عن ذلك إما سلسلةٌ من قصص متشابهة أو قصة واحدة كبيرة.

وهناك مزايا أكثر، ولكن قبل أن نذهب بعيداً، علينا أن نحذرك مما يلي:

ج. يمكن أن تكون الفرضيَّاتٌ خطرةً

الإعلاميّون المبتدئون يقلقون كثيراً لما سوف يحدث لهم حين يحصلون على قصة صحيحة. هل سيثأر أحد منهم؟ هل سترفع شكوى ضدهم؟ أما الإعلاميون من أصحاب الخبرة فيعرفون أن المشاكل الأسوأ تحدث حين يثبت أن القصة خاطئة. طبعاً يمكن أن يُحاكموا، ويمكن أحياناً أن يُلقى بهم في السجن، سواء أكانوا مُحقِّين أو خاطئين.

نرجوك إذاً أن تحتفظ بهذا الأمر في ذهنك: إن كنت فقط تحاول أن تثبت، وبأي ثمن، أن فرضيَّة ما صحيحة، خلافاً للوقائع، فسوف تلتحق بركب كذَابي العالم المحترفين. يتم الاستقصاء للبحث عن شيء أكثر من مجرد إثبات أنك محقٌّ بما تفترض. إنّه العثور على الحقيقة. والاستقصاءُ القائم على أسلوب الفرضيَّة أداةٌ للحفر والنبش عميقاً بحثاً عن الحقيقة، ولكنها تستطيع أيضاً حفر قبر

عميق للبريء أذا أصرّيت على حذف الحقائق التي تدحض فرضيتك. تذكر أن سوء استخدام الفرضيّة هو إحدى طرق ذهاب الصحفي إلى الجحيم. لذا عليك أن تكون صادقاً وحريصاً وأنت تستخدم الفرضيّات: حاول دحضها كما تحاول إثباتها. وسوف نشرح أو نفصّل المزيد عن هذا الموضوع في الفصل السابع تحت بند «مراقبة الجودة».

د . كيف تعمل الفرضيّات؟

١. لماذا ليس مهمّاً إن كانت الفرضية الأولى غير صحيحة؟

إن تشكيلَ استقصاء بناء على أسلوب الفرضيّة إجراءٌ قديمٌ قدم العلم نفسه، ويُستخدم بنجاح في مجالات مختلفة بدءا بعمل الشرطة وانتهاء بتقديم الاستشارات التجارية. (لذا، من غير العادي أن لا يكون قد استُعمل في الصحافة كمنهج واع إلا مؤخرا). في الجوهر، يقوم هذا الإجراء على خدعة عقلية. فأنت تبتكر بياناً لما تَعتقد أنه الواقع، بناء على أفضل المعلومات التي بحوزتك، ثمّ تسعى للحصول على معلومات أخرى يمكن أن تُثبت أو تدحض بيانك. وهذه هي عملية التَّحقق. وكما أوضحنا أعلاه، إن لم يكن ممكناً التثبت من الفرضيّة كلها، يمكن، رغم ذلك، التحقق من عناصرها المنفصلة. وإلا، عُد إلى الخطوة الأولى واطرح فرضيَّة جديدة. ففرضيَّة لا يمكن إثباتها كليّاً أو جزئياً ليست إلا تخمينا.

إذا تمّ التأكد من البيان ببرهان، فذلك شيء عظيم: وتكون قد حصلت على قصتك. وإذا اتضح أن الصيغة غير صحيحة، فذلك شيء عظيم أيضاً، لأن ذلك يعني احتمال وجود قصة أفضل من القصة التي تصورتها أصلاً . كما حصل مع الزميلة لينا العبد في سورية.

٢. بناءُ الفرضيَّةِ بطريقة ناجحة.

> **يجب ألا تتعدى الفرضيّة الأوليّة أكثر من ثلاث جمل، لسببين جيدين. فإن كانت أطول من ذلك، فلن تستطيع شرحها لشخص آخر. والأهم من ذلك أنها إن كانت أطول من ذلك فقد لا تفهمها أنت نفسك.**

لذا ابدأ بطرح الفرضيَّة كقصة، لأن ذلك يعني أنك تنتهي حيث بدأت - بقصة. فنحن لا نجمع حقائق فقط، بل نروي قصصاً نأمل أن تساعد على تغيير الواقع. والفرضيَّة سوف تساعدك في شرح القصة لآخرين، بدءاً بمُحَرِّركَ وناشِركَ.

ثم الجمهور.

في أكثر الصيغ شيوعا فإن القصة" دائماً تقريبا هي نوع واحد من هذه الجمل الثلاث:

- «إنّنا نواجه وضعاً يُسَبِّبُ معاناة كبيرة. (أو أننا نواجه وضعاً يستحق أن يكون معروفاً بشكل أوسع كمثال جيد».)

- إليكم كيف وصلنا إلى هذه النقطة».

- هذا ما سوف يحصل إن لم يتغير أي شيء ... وإليكم كيف يمكننا تغيير الأشياء إلى الأفضل."

لاحظ شيئاً في هذه الجمل: إنها تتبع ترتيباً قائما على تسلسل ضمني (كرونولوجيّاً chronological). لكن قد لا يبدو هذا الأمر واضحاً، لأن الترتيب ليس خطاً مستقيماً من الماضي إلى المستقبل، بل يخبرنا عن حاضر وماضٍ ومستقبل:

- أخبارُ المشكلة، أي الحاضر.
- سبب المشكلة، أي الماضي.
- ما يجب أن يتغيّر لإنهاء المشكلة، أي المستقبل.

ولذا، حين نؤلف فرضيَّة، نكون فعلاً قد بدأنا بتأليف سردٍ - قصة تشمل أناساً يتحركون في مكان وزمان معينين. ويتمثل أحد أصعب الأشياء في الاستقصاء بإبقاء تركيزك على السرد وأن لا تدفنك الحقائق الكثيرة التي تجمعها. فرضيّتك تستطيع مساعدتك: وحين تشعر أنك مغمور بالحقائق، توقف عن الحفر وابدأ النظر إلى القصة التي تحاول حقائقك قولها لك. وإذا لم تناسب تلك الحقائق الفرضيَّة الأصليَّة قم بتغيرها، فرغم كل شيء، فهي مجرد فرضية.

بالمناسبة، قد يكون من الصعب جداً أن نُبَيِّنَ كيف يمكن وضع حدٍّ لمشكلة معينة. فأحياناً، يكون أفضل ما تستطيع فعله هو أن تُدين ظُلماً. ولكن كثيراً ما يكون شخصٌ ارتبط بقصتك قد بحث عن حل قبلك. فلا تتردد في البحث عن ذلك الشخص.

٣. المفاتيح الأربعة لتفعيل الفرضيات

استخدام الفرضيَّات ليس خدعة معقدة، ولكن سوف تتطلب منك عدة محاولات قبل أن يصبح الأسلوب بالنسبة لكَ طبيعياً. وثمَة أربعة أشياء عليك الاحتفاظ بها في ذهنك كي يصبح الأسلوب فاعلاً:

أ . كن خلاّقاً.

يستجيب الصحفيون عادة للأوضاع من حولهم. ويغطون ما يرونه أو يسمعونه أو يقرؤنه، أو يتابعون أخبار أمس. أما الاستقصاءُ فهو محاولة لكشف شيء غير معروف إلى الآن. فالصحفيُّ لا يُغطي الأخبار فحسب، ولكنه يصنعها أيضاً. ولذا، فإنه يقوم بالضرورة بقفزة إلى مستقبل غامض، ما يتطلب محاولة تخيل القصة، وهذا عمل إبداعي بحد ذاته.

ب . كن مُحَدَّداً جداً.

إذا كنت تستعمل كلمة «منزل» في فرضيَّتك، عليك أن تكون دقيقا وواضحا، فهل المنزل فيلا أو شقة فاخرة في الطابق العلوي للمبنى أو كوخ؟ إن الجواب على ذلك مهم. فكلما كنت أكثر دقة في تحديد حقيقة مفترضة، كلما كان أسهل لك التحقق منها.

ج . استخدم خبرتك.

إذا كنت قد رأيت كيف يعمل العالم بطرق معينة، يمكن تطبيق ذلك على القصة التي تحاول إثباتها. فخبرتك يمكن أن تساعدك على الانتهاء من فرضيَّة. وأرجوك أن تتذكر أنه حتى أكثر الناس خبرة يمكن أن يندهشوا لشيء لم يروه من قبل، ويمكن حتى لأكثر الناس ثقة بأنفسهم أن يقللوا من قدر خبرتهم.

مثال: فشلت حملة مقاطعة كبيرة قام بها مستهلكو منتجات شركة ألبان في فرنسا، وفق ما قالته الشركة التي استهدفتها المقاطعة. قبلت وسائل الإعلام ما قالته الشركة كتحصيل حاصل. أما الدكتور هنتر فبدأ استقصاء أثبت العكس حين أدرك أن كل شخص يعرفه قد قاطع الشركة. فسأل نفسه: كيف لا يمكن أن يكون لذلك تأثيرات سلبية على الشركةِ.

د . كُنْ موضوعياً.

ونعني بالموضوعية ثلاثة أشياء محدَّدة:

الأول، علينا أن نقبل واقع الحقائق التي يمكن أن نثبتها، سواء أحببناها أم لا. أي بكلمات أخرى، نحن موضوعيون تجاه الحقائق. فإذا كانت الحقائق تقول إن الفرضيَّةَ خاطئةٌ، نُغيِّر الفرضيَّة. ولا نحاول جعل الحقائق تختفي.

الثاني، يجب أن نقوم بهذا العمل ونحن مستعدون لقبول أننا قد نكون مخطئين. فإن لم نحتفظ بذلك في ذهننا، فلن نحصل على المساعدة التي نحتاجها من آخرين. فهل تريدُ مساعدة شخص يعرف مُسبقاً جميع الأجوبة، ولا يستمع لما ستقوله؟

وحتى إن بقيتَ موضوعياً تجاه الحقائق - ويجب أن تبقى - توجد أسسٌ لهذا العمل لن تختفي. فمحاولة جعل العالم مكاناً أفضل ليست هدفاً موضوعياً. إننا لسنا مجرد مُسجلات صوتية ونحن نستقصي: إننا إصلاحيون نبتغي الإصلاح. إننا نستخدم الحقائق الموضوعية، ونتعامل بموضوعية تجاه الحقائق، لإنجاز ذلك الهدف. لأننا حَدَثَ وأن آمنّا بأن أية محاولة لإصلاح العالم سوف تفشل إن لم تكن قائمة على واقع. بكلمات أخرى، إننا نستخدم ذاتيّتنا غير الموضوعية كدافع للبقاء محايدين تجاهَ البرهان وأخذ كل برهانٍ بالحسبان.

٤- ماذا تفعل لو جاءت الحقائق معارضة لفرضيَّتك الرائعة؟

الجواب سهلٌ: إقبل الحقائق، واطرح فرضية جديدة كما حدث للزميلة لينا العبد في سورية.

تكمن الصعوبة في حال كهذا في أن لا تتشبّث بقوة بفرضيَّة خاطئة، وأن لا تقفز باتجاه جديد عند مواجهة الحقيقة المعاكسة لفرضيتك من المرة الأولى. تأتي أفضل إشارة على أن شيئاً ما خاطئ حين تجد قدراً جيداً من المعلومات، لكنها لا تبدو لك معقولة. وعندما يحصل ذلك، فإنه يعني إما أنك تنظر إلى المعلومات الخاطئة، أو أنها أصبحت معقولة فقط حين غيَّرت فرضيَّتك.

هـ . استخدام الصيغة الرسمية كفرضية

ليس من الضروري دائماً طرح فرضيّة. إذ يمكن أحياناً كثيرة التعامل مع بيان رسمي، أو معلومة جاءت من مصدر مجهول، كفرضيّة مفصّلة تتطلب تحقُّقاً - وهذا أسلوب بسيط يمكن أن تكون نتائجه مدهشة.

وتذكّر مبدأَ مهماً: تدور معظم الاستقصاءات حول الفرق بين وَعْدٍ حصل وبين ما إذا تمّ التمسك به أم لا. لذا، يمكن استخدام الوعد الرسمي كفرضيّة، وسوف يُظْهِرُ التحققُ الذي تجريه إذا تمّ التمسك بالوعد أم لا.

مثال: بدأت إحدى أعظم القصص في تاريخ الصحافة الاستقصائية بداية الثمانينيات من القرن الماضي مع كشف "فضيحة الدم الملوّث" في فرنسا، بهذه الطريقة: تم الاتصال بالإعلاميّة آن-ماري كاستريه Anne-Marie Casteret من قبل بعض المنظمات غير الحكومية التي دافعت عن حقوق المرضى المعرَّضين للنزف الدموي. وهؤلاء رجال مصابون بخلل جيني يمنع تخثر الدم، إلى درجة أن جرحاً طفيفاً في الجلد قد يؤدي إلى نزفٍ مميت لا يمكن وقفه. وفي بداية وباء الإيدز، زعموا أن وكالة حكومية فرنسية باعت، عمداً وعن علم، هؤلاء المصابين بالنزف الدموي وعائلاتهم منتجات دم خاصة كانت ملوّثة بفيروس الإيدز.

ذهبت كاستريه لمقابلة رئيس الوكالة الحكومية، الذي أخبرها: «صحيح أن المصابين بالنزف الدموي قد تلوّث دمهم بالإيدز الموجود في منتجاتنا، ... .»



لكن وقتها لم يعلم أحد أن الإيدز كان موجوداً في إمدادات الدم التي اعتدنا أن نصنع المنتجات منها .

- ولم يعرف أحدٌ كيف يمكن إنتاج منتجات أسلم، ولذا لم يتوفر مثل هذا المنتجات في السوق.

- كان أفضل ما يمكن أن نفعله هو التأكد من أننا لم ننشر الفيروس على نطاق أوسع، وذلك من خلال التأكد من أن أي شخص لم يتلوث بعد لم يتلقّ منتجات ملوَّثة."

تلك كانت القصة الرسمية، وهي تبدو متماسكة منطقياً. ولكن حين بدأت كاستريه التحقق منها واعتبرتها مجرد فرضية، اكتشفت تدريجياً أنه لا يمكن إثبات أي حقائق تضمنتها. على العكس من ذلك:

- بيّنت الدراسة العلمية أن مشكلة الإيدز في إمدادات الدم كانت معروفة آنذاك. (وفي الحقيقة أنه كان قد تمّ تحذير الوكالة بأن إمداداتها كانت مُلوَّثة."

- كانت هناك شركات صيدليَّة ووكالات حكومية أخرى تعرف كيف تصنع منتجات سليمة، ولكن أحداً لم يستمع إليها.

- لم يكن لدى الوكالة التي باعت المنتجات الملوّثة أية فكرة عمّا إذا كان الأشخاص الذين استخدموا المنتجات المصابة أصحاء أم لا، لأنه لم تجْر لهم أي اختبارات تتعلق بالإصابة بالأيدز. ومهما كان، فإنها لممارسة طبية مريعة أن تلوِّثَ مرة أخرى أشخاصا مرضىً بالفعل.

- في النهاية، وبعد أن تمّت مواجهتها من قبل كاستريه ببرهان لا يمكن إنكاره يقضي بأن جميع منتجاتها كانت ملوَّثة بالإيدز، قررت الوكالة أن تستمر ببيعها إلى أن يَنفد المخزون الملوَّث كله.

تطلب صياغة كل ما سبق في قصة أربعة أعوام من حياة كاستريه. فهل تستحق تلك القصة الجهد المبذول؟. حسناً، وضعت القصة بضعة مجرمين من موظفين من ذوي الياقات البيضاء خلف القضبان. ومنحت الضحايا شعوراً مريحاً بأنهم لم يكونوا لوحدهم، وقادت إلى هزيمة انتخابية للحكومة التي حاولت ستر الفضيحة، وأجبرت المعنيين على إجراء إصلاحات في النظام الصحي الذي أصبح ماكينة للقتل. لذا، إذا لم تكن مستعداً لقضاء الوقت اللازم للقيام بعمل كهذا، فيمكنك أن تظل صحفياً تقليديا، ولكن يجب أن لا تكون صحفيا مُستقصياً.

وقد تتساءلُ لماذا لم يقض أحدٌ الوقت اللازم إلا كاستريه. السبب الرئيس - بعيداً عن الحقيقة التي مفادها أن واحداً من منافسيها، على الأقل، عمل إلى جانب نفس الأشخاص الذين ارتكبوا الجريمة - هو أن أي أحد لا يمكن أن يصدق أن

الناس المحترمين يمكنهم فعل شيء كهذا. لذا، نود لفت انتباه الصحفيين إلى أن العديد من التحقيقات الاستقصائية تم نسفها على يد إعلاميين لا يستطيعون قبول الحقيقة التي عثروا عليها، بدلا من أن تنسفها أطراف متسببة تعمل على حماية نفسها.

و . ابدأ بإستراتيجية!

اقض وقتاً كافياً لوضع إستراتيجيتك - أي الترتيب والتنظيم الذي ستنفِّذُ على أساسِهِ مهمَّاتٍ محددةً، وكيفية تناسب بعضها مع بعضها الآخر. فالتجربة المهنية علمتنا أن طريقة عمل كهذه في النهاية ستوفر لك كثيراً من الوقت. وهذا التنظيم يتطلّب وضع قائمة أوليّة بالأسئلة التي يجب الحصول على أجوبة عنها. (على سبيل المثال: من يصنع منتجات الدّم؟ كيف يعرفون إن كانت منتجاتهم سليمة أم لا؟)

وإنها لفكرة جيدة أن تبدأ البحث بالأسئلة الأسهل، أي تلك التي تستطيع الإجابة عنها بمعلومات متاحة على الانترنت، وفي الأبحاث، والمجلات المتخصصة، وبرامج عمل المنظمات والحكومات التي لا تتطلّب التحدث إلى الناس. بصورة عامة، إن أول ما يفعله إعلامي إخباري هو أن يلتقط الهاتف وأن يبدأ بطرح أسئلة على المصدر المعني. إننا لا نقول، طبعاً، إنه يجب عليك أن لا تتحدث إلى الناس. ما نقوله هو أنك ستجد مزايا عديدة إن بدأت البحث بطريقة لا تثير ضجة وتلفت النظر. فحالما تسير في مشروعك، سيعرف أناس كثيرون ما تفعله وقد يحاولون عرقلته.

وذلك ما يجعلك بحاجة إلى معرفة ما إذا كانت هناك مصادر علنية متاحة تستطيع الوصول إليها أم لا - مثل وثائق حكومية، تقارير إخبارية، وهكذا. مصادر كهذه يمكن أن تخدمك في التحقق من أجزاء واضحة في فرضيّتك. إذا كانت هذه المصادر موجودة، استشرها أولاً. لكن قبل ذلك، سلح نفسك بالمعرفة وتحول إلى خبير في الموضوع. فهذا سيمكنك من فهم القصة قبل أن تتحدث إلى الناس، وسوف يقدِّرون لك ذلك.

في "مركز النزاهة العامة" Center for Public Integrity في الولايات المتحدة الأمريكية، يُطلب من المستقصين المبتدئين أن يصرفوا عدة أسابيع في البحث عن موضوع ما قبل أن يُسمح لهم بالاتصال بأي مصادر للمعلومات. قد لا تكون بحاجة إلى ذلك الوقت كله. ولكن عليك التخلص من عادة الاعتماد على

أناس آخرين للحصول على معلومات يمكنك العثور عليها بنفسك. في الفصل اللاحق، سننظر بالتفصيل في كيفية العثور على مصادر المعلومات العلنية واستخدامها.

ز . دراسة حالة من حالات التحقيق باستعمال أسلوب الافتراض: مأساة "الطفل الرضيع دو".

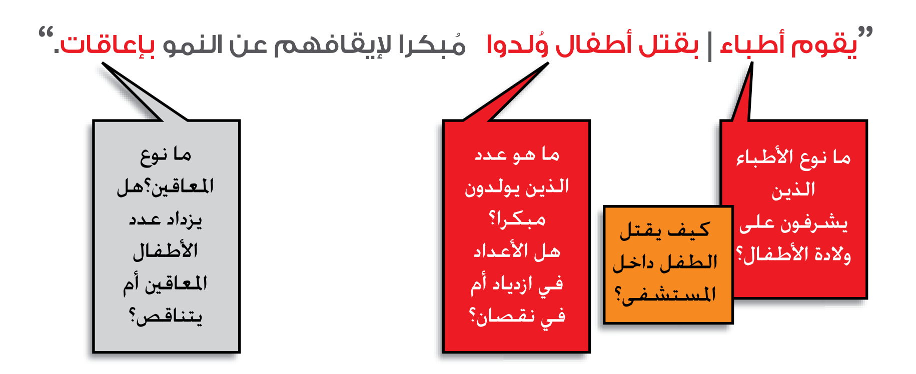
طلب مني رئيسي أن أستقصي معلومة وصلت إليه من أحد أصدقائه. قال الصديق: "يقوم أطباء بقتل أطفال وُلدوا مُبكراً لإيقافهم عن النمو بإعاقات." وشدد رئيسي على أنه في حال لم أحصل على القصة فسأخسر وظيفتي.

١- عزل العناصر والعثور على مصادر علنية

بدأت لسؤال نفسي ما هو الخطأ في هذه القصة؟ كبداية، هل تؤمن حقاً بأن مجموعة من الأطباء الجانين، المُدرَّبين على إنقاذ الحياة، قد تحوَّلوا فجأة إلى قتلة أطفال؟ وأين ستجدهم؟ هل شاهدت أبداً طبيباً يضع شارة على صدره تقول، «أنا أقتل الأطفال كخدمة عامة»؟ طبعاً لا.

أين تعتقد أنك ستجدهم، على فرض أنهم موجودون؟ هل ستتصل بمستشفى ما وتسأل «هل يوجد لديكم أطباء قتلة؟» طبعاً لا.

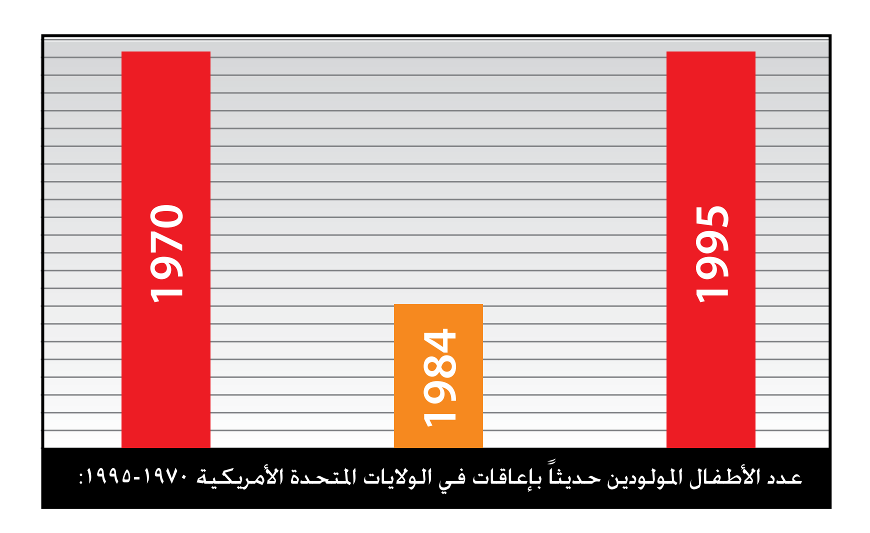
ورغم ذلك، في القصة ما هو صحيح من حيث أنها تتضمن عدة عناصر يُمكننا التحقق منها:



وأصعب ما يُراد التحقق منه في ما هو أعلاه هو كيف ستقتل طفلاً في مهجع ولادة. (كلا، لا تستطيع أن تتصل بمستشفى وتسأل: "هل قتلتم أي أطفال مؤخراً؟ وكيف؟") لذا وضعنا هذا الأمر جانباً. وبدلاً منه، بحثنا عن الجهات الطبية المتخصصة الصحيحة، التي ستمكننا من القراءة المتعمّقة لآخر المعلومات الطبيّة. وسعينا أيضاً للحصول على إحصاءات عن الولادة المبكِّرة والإعاقات. كل ذلك كان متوفراً بالمجّان في المكتبات المحليّة - المثال النموذجي لمصدر علني نلجأ إليه.

٢- التحليل الأول: هل تصمد الفرضية؟

كانت الخطوة الثانية هي أن نربط المعلومات بعضها البعض، لنرى إن كانت تدعم فرضيتنا. جمعنا كل الإحصاءات القومية عن أوزان الأطفال المولودين حديثاً، والمعيار الأساس للولادة المبكِّرة، وبحثنا في الدراسات العلمية التي أوردت معدّلات الإعاقة بين هؤلاء الأطفال . واكتشفنا منحنىً لاتّجاه بدا كالآتي:



عدد الأطفال المولودين حديثاً بإعاقات في الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٧٠-١٩٩٥:

بكلمات أخرى، من سنة ١٩٧٤ إلى سنة ١٩٨٤ هبط عدد الأطفال المولودين مبكراً بحدّة. ولأن الولادة المبكرة مرتبطة أيضاً بالإعاقات، هبط أيضاً عدد الأطفال المعاقين. بعدئذ، ومنذ سنة ١٩٨٤ فصاعداً، ارتفعت الأعداد مرة أخرى.

هل يؤيد هذا فرضيّتنا أم ينفيها؟ هذه المعلومات لا تقول لنا إن كان هناك قتلة أطفال طلقاء. فلربما كان ارتفاع عدد الأطفال المولودين حديثاً بإعاقات مرة أخرى بعد سنة ١٩٨٢ هو الذي دفع بعض الجانين لوقف المَدِّ. ولكننا لا نعرف ذلك إلى الآن. ولا نعرف أيضاً إن كان هؤلاء الأطباء الجانين قد فعلوا فعلتهم بين ١٩٧٠-

١٩٨٤، ومن ثمّ قرروا التوقف قبل أن يُقبض عليهم. كان كل ما نعرفه هو أن شيئاً ما تغيَّر سنة ١٩٨٤.

٣- تحقق آخر

عدنا إلى المكتبة لجمع مزيد من المقالات العلمية حول الأطفال المولودين مبكراً بإعاقات. أشارت إحدى المقالات إلى شيء يُدعى «الطفل الرضيع دو.» اتصلنا بالمؤلفة وسألناها ماذا يعني تعبير «الطفل الرضيع دو».

أجابت: «إنه قانون يتطلّب منا القيام بأي جهد ممكن لإنقاذ حياة الأطفال المولودين مبكراً، بغض النظر عن إعاقاتهم أو رغبات والِديهم.»

كان يمكن لهذه الحقيقة لوحدها أن تُدَمِّر فرضيتنا - في حال تم تطبيق القانون بطريقة إجبارية. لذا سألنا إن كان الأطباء يطيعون القانون. قالت لي: "يجب علينا ذلك. ويوجد في كل مستشفى خط ساخن للاتصال بالنائب العام. فإذا اعتقد شخص ما أنك لا تقوم بواجبك كطبيب، يتم اعتقالك." سألناها إن كانت تعرف أمكنة يحصل ذلك فيها. أجابت، نعم. (بعد ذلك، حصلنا على تقارير تفرض تطبيق القانون بالقوة من وكالة فدرالية.

ثم سألناها عن تاريخ بدء تنفيذ القانون. قالت أصاب تخمينك حيث بدأ التطبيق عام ١٩٨٤؟

في هذا الوقت، بدت الفرضيَّة الأصليَّة ضعيفة جداً. ولكن فرضيَّة جديدة أخذت بالتشكُّل: «منع قانون أجيز سنة ١٩٨٤ الأطباء من أن يسمحوا بموت الأطفال المولودين مبكراً بإعاقات حادة موتاً طبيعياً عند الولادة. والنتيجة هي ازدياد عدد قطاع السكان من المعاقين.»

في الأيام اللاحقة، وثّقنا الزيادة في قطاع السكان المعاقين، لأننا أردنا أن نرى حجم القصة ومدى كبرها. في البداية، حسبنا الأعداد الإضافية من الأطفال المولودين حديثاً الذين لم يموتوا، بفضل ذلك القانون، من سنة ١٩٨٤-١٩٩٥ أي الأطفال الذين كان سيُسمح بموتهم سابقاً. كان ذلك الحساب بسيطاً، يتمثل بطرح أرقام الولادات المبكرة في سنة ١٩٨٣، السنة السابقة لتطبيق القانون، من أرقام السنوات اللاحقة. ثم حسبنا كم عدد الذين سيولدون بإعاقات، بناء على دراسات علمية تربط الولادة المبكرة بالإعاقات.

بعد ذلك، تحققنا من الأمر مع علماء الأوبئة، لأننا لسنا أطباء أو علماء رياضيات، وقد نكون مخطئين. والأهم، أننا لم نستطع تصديق الأعداد التي حسبناها. بدا لنا أنه يوجد على الأقل ربع مليون من الأطفال المصابين بإعاقات حادة جداً - عُميان، مشلولين، متخلفين عقلياً بشكل مريع - بسبب ذلك القانون.

قال الخبراء إن أعدادنا تبدو صحيحة. ولكن كان هناك جزء حساس آخر من القصة، تطلَّب طرح فرضيَّة جديدة. الأمر الذي يوصلنا إلى الحديث عن جزء أساس من العملية:

٤- إطرح فرضيَّة فرعيَّة جديدة لتأخذ بالحسبان زوايا مختلفة من القصة.

غالبا ما يكشف البحث العميق احتمالات لقصص جديدة لم تكن معروفة حين بدأ الاستقصاء. وكثيراً ما تتطلب هذه الاحتمالاتُ فرضيَّاتٍ جديدةً يُمكن، بدورها، التحقق منها. إذا لم تكن هذه الاحتمالات مرتبطة باستقصائك الأصلي، فقد تختار تجاهلها الآن لكي لا تدخل في مسارات قد تشتت جهدك.

ولكنَّ، قد يكون الاكتشاف الجديد أحياناً أكثر أهمية مما كنت تسعى إليه في المقام الأول. وأحياناً أخرى، ستلقي الفرضيات الجديدة ضوءاً على فرضيَّتك الأوليَّة بطريقة مدهشة. لذا فإنك ستضيع فرصة الحصول على قصة رئيسة إذا قمت بتجاهلها.

في القضية التي بين أيدينا، نملك برهاناً إحصائياً قوياً يقول إن ربع مليون طفل مُعاق تُركوا أحياء بسبب قانون غامض. ولكن ذلك يطرح سؤالاً: ماذا حدث لأولئك الأطفال؟

لاحظنا أن الولايات المتحدة الأمريكية أصلحت لتوِّها قوانين الضمان الاجتماعي لتزيد من صعوبة تمتع الناس بفوائدها. فقطاعات السكان من الفقراء وبعامة غير البيض ممن يتلقون فوائد تعاني أيضاً من الولادة المبكرة وبشكل أكبر من نسبتها في المجتمع الأكبر. ولذا أصبحت فرضيَّتنا: «إصلاح نظام الرفاه الاجتماعي سيزيد صعوبة الاعتناء بالأطفال المعاقين المولودين مبكراً.» وبسرعةٍ كبيرة، حصلنا على تأكيدٍ من مصادرَ علنيةٍ.

لقد كنا ما نزال بحاجة إلى حقائق كثيرة أخرى، ولكن مع ذلك فإن القصة التي أردنا استقصاءها كانت جاهزة. ذهبنا لرؤية مديرنا وقلنا له: يا مديرنا، لا نستطيع إثبات قصَّتَكَ الأصلية ولكن إليك قصة نستطيع إثباتها:

- منع قانون أُقِرَّ سنة ١٩٨٤ الأطباء من السماح بموت الأطفال المولودين حديثاً بإعاقات موتاً طبيعياً أثناء الولادة». كانت النتيجة ربع مليون طفل مقعد. ثم قطع عنهم ضمانهم الاجتماعي. أي»أجبر القانون الأطفال المُقعدين على الحياة، وألقى بهم قانون آخر إلى الشارع».

وبعدها سألنا مديري:»هل تريد أن تساعد في تغيير تلك القوانين؟»

كانت الفرضيَّة الأصلية التي أسقطناها، فرضيَّة مديري. الصحفيون السَّيئون غالبا ما يحاولون جعل الحقائق تتواءم مع فرضيَّتهم. أما الصحفيون الجيدون فيغيرون الفرضيَّة لتوائم الحقائق، سواء أحبوا الحقائق أم لا.

نشر الدكتور هنتر القصة، وفاز بجائزتين عنها. ولكن القوانين ما زالت موجودة. فهل نأسف على ذلك؟ نعم. ولكننا كنا سنأسف أكثر لو لم نروِ القصة أبداً.

ح . استخدام أسلوب الفرضيَّة أو الفرضيات لإدارة المشروع الاستقصائي.

لا تعني الإدارة شيئاً غير صياغة الأهداف والتأكد من أنها، عبر المتابعة المتواصلة، أُنجزت. هذا إجراء معياري في كل منظمة حسنة الإدارة في العالم، باستثناء الصحافة.

ونقترح عليك، حالما تكون قد حددت فرضيَّتك وحصلت على برهان أولي على أنها تبدو مناسبة، أن تُحَدِّدَ أبعاد المشروع التالية:

١- **التسليم:** ما هو الحد الأدنى لما يمكن أن تلتزم بتسليمه، على شكل قصص مكتملة؟ وما هو الحد الأقصى؟

نقترح أن يكون الحد الأدنى قصة أصليَّة واحدة، قائمة على الفرضيَّة الأوليَّة أو على فرضيَّات مُختلفة اكتُشفت خلال التَّحقُّق. إذا تمتعت الفرضيَّة بقيمةٍ كافية يمكن أن توسَّع إلى مسلسل. لكن لا تعِدْ بأكثر مما تستطيع تسليمه، وحاول أن لا تقبل أقل مما يستحقه المشروع.

٢- **معالم زمنية مرتبطة بالعملية:** كم تحتاج من الوقت لتستشير أول مصادر علنية؟ متى ستتصل بمصادر بشرية وتجري معها مقابلات؟ متى ستكون مستعداً للبدء بكتابة مسودة القصة أو القصص؟

نقترح أن يجري الإعلامي وزملاؤه المشاركون في العمل مراجعات أسبوعية لمدى التقدم. وفي هذا المجال، يكون الاهتمام الأساس هو التحقق من الفرضيّة واكتشاف معلومات جديدة. ولكن من المهم أيضاً التأكد مما إذا كان المشروع يسير أو لا يسير في الطريق الصحيح من ناحيتي الوقت والتكاليف. ويجب عدم التسامح مع أي تأخير يُهدد مستقبل المشروع. والأفراد الذين لا يُسلِّمون موادهم وفق ما التزموا به يجب إخراجهم من فريق العمل.

٣- التكلفة والمردود: إلى جانب وقتك الثمين، قد توجد تكاليف للسفر والإقامة والاتصالات وتكاليف أخرى. ما هي؟ كن حريصا على تحديد أكبر قدر مستطاع.

إذا كان الإعلامي يعمل مُستقلاً، فيجب أن يأخذ بالاعتبار إن كانت تكاليف المشروع ستبرر من ناحية مدخولا إضافيا أو معرفة جديدة أو مهارة مكتسبة أو من خلال التعرف على مصادر جديدة والحصول على امتيازات وفرص أخرى. ويجب أن تقدِّر المؤسسة التي تعمل لديها إن كان يمكن تعويض تكاليفَ المشروع من خلال زيادة المبيعات أو تعزيز التميز والشهرة في التغطية الإخبارية المختلفة من خلال منتج متميز عن غيره. ويجب على جميع المشاركين في المشروع أن يُقدِّروا إن كان المشروع مُبرراً من منظور خدمة الجمهور. فكل هذه الأبعاد توفر شكلا من أشكال القيمة والتقييم.

٤- **التأييد**: من ستهمه هذه القصة؟ كيف يمكن زيادة وعي الجمهور بالقصة؟ هل سيشمل ذلك تكاليف إضافية (بما فيها تكاليف وقتك ووقت آخرين)؟ ما هي الفوائد التي ستجنيها أنت أو مؤسستك من هذا الاستقصاء؟

ليس معقولاً أبداً الاستثمار في استقصاء لا تؤيده وسيلة الإعلام التي تنشره. فضلا عن ذلك، يُقلّص التأييد مخاطر الهجوم المضاد شرط أن يكون الاستقصاء دقيقاً، لأنه يجذب انتباه حلفاء مُحتملين. ويمكن جلب الانتباه والحصول على دعم من خلال عنوان بسيط (مانشيت)، أو من خلال خلق اهتمام عبر فتح نقاشات في منتديات الانترنت المتعددة. وسوف نناقش هذا الأمر بالتفصيل في الفصل الثامن.

يمكنُ إساءةَ استخدام هذه العمليات. وعلى سبيل المثال، يمكن لرئيس تحرير أن يضع أهدافاً غير واقعية، بهدفٍ غير معلن لإفشال عمل إعلامي. ولكن من المهم جداً استبدال المواعيد النهائية اليومية daily deadlines ببنية أخرى توضع فيها توقعات يمكن تحقيقها حسب مواعيد زمنية قابلة للتطبيق.

عندما تجري الأمور كما يجب، ستخدمك الفرضيَّة وعملية إثباتها كمقاييس للتقدُّم وكمؤشرات لما يجب فعله لاحقاً. ومن الذكاء أيضاً التفكير بما هو أبعد من القصة نفسها، أي كيف يمكن أن يستقبلها الجمهور. إن فرضيتك، التي تُعبِّر عن قصَّتِكَ بجمل قليلة، هي الأداة التي ستُمكِّنك من إثارة اهتمام آخرين.

ط . ابْقَ مُركِّزاً على القصة

تذكّر دائماً أن كل فرضية يضعها إعلامي يجب أن تتشكل كقصة يمكن أن تكون صحيحة. إنها تتضمن أخباراً، وقضية، وحَلاًّ. وهذا يعني أن إبقاء الفرضيَّة نصب العينين، يجعل الصحفي مُركِّزا على القصة، وليس على الحقائق فقط.

قد تكون الحقائق أساس قصتك، ولكن الحقائق لا تخبرك بالقصة. والقصة تقول الحقائق. أي شخص لا يستطيع تذكر ثلاثة سطور من دفتر تسجيل عناوين وأرقام أشخاص يعرفهم، ولكن كل شخص يتذكر قصة ترتبط باسم شخص موجود في هذا الدفتر. من خلال تشكيل استقصائك كقصة (تذكر أنها قد تكون صحيحة أو لا تكون) منذ البداية، فإنك لا تساعد قُرّاءك أو مشاهديك المتوقعين على تذكرها فحسب، بل أيضاً تساعد نفسك على تذكُّرها. تذكر أن الجزء الأصعب في البحث الاستقصائي هو أن تتذكر القصة بينما تتراكم الحقائق.

خذ وقتك كي تصبح خبيراً في هذا المنهج الاستقصائي القائم على أسلوب استعمال القصة كفرضية. إتبع أصول الممارسة المهنية في كل مرّة تستقصي فيها.

والآن، دعنا نرى أين نستطيع العثور على مصادرنا العلنية - أو كما نحب أن نسميها، «الأبواب المفتوحة».



دليل أريج الفصل الثالث:

عُبور الأبواب المفتوحة:
خلفيات واستنتاجات

الفصل الثالث:

عُبور الأبواب المفتوحة:
خلفيات واستنتاجات

مارك هنتر
Mark Hunter

العملية إلى الآن:

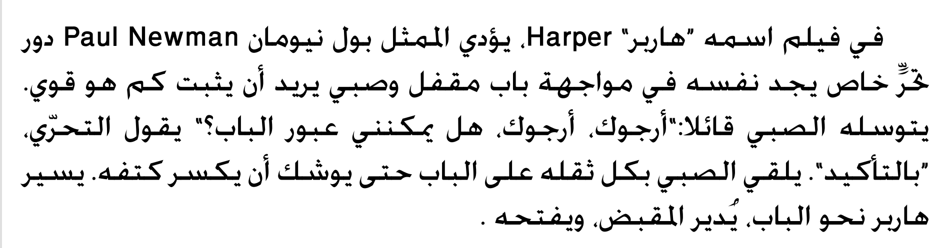
١. نكتشف موضوعاً.

٢. نطرحُ فرضيَّةً لنتحقق منها.

٣. نبحث عن معلومات من مصادر علنيَّة لنتحقق من الفرضية.

أ. مقدمة: خذ الباب المفتوح





في فيلم اسمه "هاربر" Harper، يؤدي الممثل بول نيومان Paul Newman دور تحرٍّ خاص يجد نفسه في مواجهة باب مقفل وصبي يريد أن يثبت كم هو قوي. يتوسله الصبي قائلا:"أرجوك، أرجوك، هل يمكنني عبور الباب؟" يقول التحرّي، "بالتأكيد". يلقي الصبي بكل ثقله على الباب حتى يوشك أن يكسر كتفه. يسير هاربر نحو الباب، يُدير المقبض، ويفتحه .

حسب خبرتي في تعليم الاستقصاء وممارسته، أرى كثيراً من الناس يتصرفون مثل ذاك الصبي، محاولين كسر العوائق غير المغلقة حقاً، أو تلك التي يستطيعون تجاوزها بسهولة. يعاني هؤلاء الناسُ من "وهم حيث يظنون أن أي شيء ليس سرّاً لا يستحق التعرف عليه. يصرفون جل وقتهم محاولين دفع الناس ليقولوا لهم أسراراً. وحتى الصحافيين الاستقصائيين المخضرمين من أمثال الصحفي الأمريكي

سيمور هيرش Seymour Hersh والنيوزيلاندي نِيكي هاغر Hager Nicky يعترفون لزملائهم بأنهم مُجبرون على السير ببطء وحذر في هذا الاتجاه.

لسوء الحظ،، فإن معظمنا يواجه صعوبة في التمييز بين سرٍّ وكذبةٍ. وفي الوقت نفسه، فإنك تضع نفسك في موقف محرج لأنك، كما هي العادة، حين تسأل أشخاصا أن يخبروك بشيء تجعلهم يشعرون بأنهم أقوياء جداً ويجعلونك تشعر أنك تستحق الشفقة.

فمثلا، عناصر المخابرات المحترفون يستخدمون أسلوباً مختلفاً يقوم على فرضيَّة مختلفة. برأيهم أن:

> معظم ما نسمّيه "أسراراً" هو، بكل بساطة، حقائق لم ننتبه إليها. ونحو ٩٠٪ من المعلومات متوفِّر لنا وسهل الحصول عليه من خلال مصادر أو مصدر "مفتوح" [علني] -- أي مصدر يُمْكِنُنَا الوصول إليه بحريّة.

كثيراً ما سمعنا من زملائنا العرب والغربيين أن المعلوماتِ المتاحة من المصادر العلنية في هذا البلد أو ذاك، محدودة وذات نوعية ضعيفة. قد يكون هذا الأمر صحيحاً بشكل أو بآخر، خاصة في الدول العربية حيث لا توجد نصوص قانونية - باستثناء الأردن - تسمح بحق الحصول على المعلومات من مصادر عامة وخاصة. ولكننا لاحظنا أيضاً أنه توجد دائماً مصادرُ معلوماتٍ علنيةٌ أكثر مما يستخدم الصحفيون. فوضع يدك عليها وكتابة قصص مستقاة منها كثيراً ما تكون مكسباً سهلاً، لأن منافسيك من الإعلاميين لا يقومون بذلك العمل، بل غالبا ما يكونون في مرحلة يرجون شخصاً أو مصدرا ما ليقول لهم سرا.

مثالٌ من بين أمثلةٍ كثيرةٍ: في ثمانينيات القرن العشرين، كُلِّف إعلامي فرنسي شاب اسمه هيرفي ليفران Herve Liffran من الأسبوعية "كنار إنشين" Canard Enchaine بتغطية نشاطات بلدية باريس. ولكنه اكتشف أن المسؤولين الرسميين كانوا يَخضعون لأمرٍ يقضي بأن لا يتحدثوا إليه. وكان المكتب الوحيد الذي يستطيع دخوله بحرية هو مكتبةُ المدينةِ الإداريةُ، حيث تم الاحتفاظ بنسخ من جميع التقارير والعقود الداخلية. كان السبق الصحفي الأول الذي حصل عليه هو اكتشاف أن المدينة وقَّعت عقوداً بتكاليف مالية فاضحة بالنسبة

لدافعي الضرائب مع شركات مياه كبرى. وعندما شعر أشخاص في البلدية أنه لا يمكن إيقاف ليفران عن القيام بواجبه كصحفي، بدأوا بالحديث معه. بعد ذلك، استخدم سجلات تصويت متوفرة مجّاناً ليُعرّي تزييف انتخابات في مدينة باريس، من خلال التدقيق في القوائم ليرى ما إذا كان الناخبون الذين سجلوا على أنهم يعيشون في عمارات تمتلكها الحكومة يعيشون فيها فعلاً.

القصد من وراء إعطائي هذه الأمثلة هو التأكيد على أن أية حقيقة مُسجَّلة في مكان ما، ومتاحة للجمهور، هي متاحة لك لتأخذها. لا تفترض أن كونها معروضة للجمهور، يعني أن هذه المعلومات قديمة أو لا قيمة لها أو معروفة لغيرك. فقد يكون لها، كما هي الحال أحياناً، تَبِعَات خطيرة لم يتوقعها أحد من قبل. لا تنظر فقط إلى قطع محددةٍ من المعلومات؛ فذلك ما يفعله الإعلاميون الهواة. بدلاً من ذلك، إبحث عَن أنماط متعددة من المصادر وأساليب للتعامل معهم بطريقة متكررة. وستكون قدرتك على استخدام المواد التي تصل إليها عنصراً مهماً في تعزيز سُمْعَتِك المهنيةَ.

ولا تنس أبداً: من الأسهل دائماً العثور على شخص ما يؤكد شيئاً ما تعرفه أو تفهمه من جعله يتطوع بمعلومات لا تمتلكها أنت كإعلامي . وسوف نعود إلى هذا الأمر لاحقا في هذا الكتيب عند التحدث عن بند "المصادر العلنية مصدر قوة."

ب . ما هي أنواع المصادر "العلنية"؟

في العالم المعاصر، المصادرُ العلنيةُ لا نهاية لها. وهي تشمل:

المعلومات التي نُشرت في أي وسيلة إعلامية يسهل الوصول إليها بحرية. وعادة ما يمكن الوصول إلى هذه المعلومات في مكتبة عامة أو في أرشيف الوسيلة الإعلامية المعنيَّة؟

- الأخبار (الصحف، المجلات، التلفزيون، الراديو، الإنترنت).

- منشورات متخصصة تخص الاتحادات، الأحزاب السياسية، النقابات، إلخ).

- المنشورات الأكاديمية من دراسات وأبحاث.

- وسائل إعلام مشتركة متخصصة (مثل منتديات مستخدمي الإنترنت.

المحللين الماليين، نشرات أو مجلات النقابات، مجموعات الاحتجاج، إلخ).

أمثلة:

- إشعارات الوفاة يمكن أن تساعدك في العثور على أعضاء عائلة أشخاص تبحث عنهم.

- قد تكون مجموعات احتجاج في المجتمع المدني تتابع قضايا تشريعية أو محاكم لتغيير الواقع.

- قد تُوَفِّر مكاتب الأحزاب السياسية أكثر من مجرد أدبيات الحزب فقط . قد توفر نشرات وكراريس ومنشورات ألفها أعضاء الحزب، إلخ.

- يُمكن لقصاصات الأخبار أن تخدم في ترطيب الأجواء أثناء المقابلات؛ فقد يسأل الإعلامي المصدر تأكيد إن كانت المعلومات الموجودة في القِصص دقيقة أم لا، وينطلق من هناك كقاعدة للحوار.

- المكتبات التربوية، بما فيها مكتبات الجامعات الحكومية أو الخاصة وكليات الطب (أو المستشفيات التعليمية)، والمعاهد التجارية، إلخ. فكثيراً ما تمتلك هذه المؤسسات مُعَدَّات أكثر حداثة ومصادر أعمق من المكتبات العامة، بما في ذلك قواعد معلومات الأخبار الأرشيفية الإلكترونية مثل فاكتيفا Factiva أو لكسس-نكسس Lexis-Nexis أو قواعد معلومات شركة مثل دن أند برادستريت Dun & Bradstreet . عليك دائما التفكير بكيفية التفاوض للحصول على المعلومات (وليس إذا كان بإمكانك أن تفاوض أحد المداخل إلى المعلومات.

مثال: اعتمدَ استقصاءٌ حول تأثيرات مقاطعة مستهلكين لشركة منتجات قالت إن المقاطعة لها فشلت، رغم أنها ألحقت ضرراً كبيراً بسوق الشركة، على تقارير مُحلِّل مالي موجودة في قاعدة معلومات مكتبة كلية التجارة الدولية INSEAD.

- تقدّم الوكالات الحكومية عموماً معلومات أكثر من أي مصدر آخر، وهذا صحيح حتى في البلدان التي نعتبرها مغلقة أو التي تفتقر لقوانين تضمن حق الحصول على المعلومات. ويمكنك دائماً، تقريباً، الحصول على معلومات منها أكثر مما تظن.

أمثلة:

- تقارير الحوادث: للوكالات قواعد عمل يُفترض أن تُتَّبعَ في حال حصول حوادث معينة. ولكن الموظفين يقعون في "أخطاء." وعادة ما توثق هذه الأخطاء أو الحوادث في تقارير تابعة للوكالة المعنية. حاول أن تحصل على هذه التقارير.

- تقارير التفتيش المركزي: تجمعُ وكالاتُ عديدةٌ مسؤولة عن تفتيش العمل من المطاعم إلى جسور معلقة وطرق عامة، تقارير عمل عن العمليات التي تقوم بها. اعثر على هذه التقارير ومؤلفيها - بخاصة إن وقعت كارثة ما. وإذا لم يتوفر تقرير، فتلك قصة: لماذا لم تراقب الوكالة الأمر؟ وإذا تَوَقَّعَ تقريرٌ كارثةً، فلماذا لم يتم شيء لمنعها؟

- الشكاوى أو التظلمات: غالبا ما يقدم الناس شكاوى تكون في أحيان كثيرة مبررة. قم بزيارة المؤسسات التي تتلقى الشكاوى مثل ديوان المظالم في الأردن أو مؤسسة حماية المستهلكين؟ حاول أن تعرف ما هي الجهة التي تتعامل مع الشكاوى، وهل تتخذ إجراءات للمساعدة، وما هي؟ وهل يؤدي ذلك إلى نتيجة؟

- المكتبات الحكومية: تملك الحكومات، على المستويين القومي والبَلدي، وبالمثل البرلمانات، مكتبات وأرشيفات خاصة. وتفعل وزارات عديدة الأمر نفسه. إن السجل البرلماني أو الجريدة الرسمية التي تصدر عن مجلس الوزراء سجلان يتم الاحتفاظ بهما في هذه المكتبات، ولكن توجد سجلات أخرى.

أمثلة :

- حصل إعلامي في سوريا على تقارير رفضت السلطات المعنية توفيرها له من المكتبة العامة.

- بدأ استقصاء حول لوبي الكحول الفرنسي بزيارة قام خلالها الصحفي بتصفح صفحات الجريدة الرسمية، أو ما يعرف عادة ب"سجلّ النشاط الحكومي"، لمراجعة سجلات التصويت. كانت الفرضيّة أن المسؤولين الذين اقترحوا تعديلات على قوانين حابت أعضاء لوبي الكحول قد تلقوا تبرعات لحملاتهم الانتخابية من شركات أعضاء في هذا اللوبي.

- المحاكم: في الحد الأدنى، تحتفظ المحاكم بسجلات لأحكامها. وفي بعض

البلدان، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، يوفرون للصحفي وغيره سجلات علنية لكل الأدلّة التي قُدِّمت للمحاكمة. إسْعَ دائماً إلى الحصول على أي وثيقة من وثائق المحكمة أو كلها من المحاكم في كافة البلدان التي تعاملت مع الشخصية التي يستهدفها التحقيق. تذكر أن الشهادة الحية في قاعات المحاكمات محمية من حق المقاضاة القانونية إلا في حالات محددة ينص عليها القانون. فإن كنتَ موجوداً في محكمة أثناء سيرِ عملها، قيد كافة تفاصيل الشهادة، لا سيَّما إن لم يكن كاتب الاختزال حاضراً في المحكمة لتوثيق الأقوال.

- مكاتب الترويج: توفر غرفة التجارة المحلية، عادة، كميات كبيرة من المواد المكتوبة والمنشورة عن منطقتها أو بلديتها تقدّم معلومات عن العمالة الموجودة وأنواع الصناعات والأعمال التجارية، إلخ.

> **مثال:** في استقصاء جرى عن وفاة رضيع في مستشفى، أعطت نشرة تصدر عن الغرفة التجارية اسم مجموعةِ مواطنين رفعوا قضية ضد المستشفى تتعلق بسياسات مهاجع الأمومة فيها. نتج عن القضية القانونية كتابة تقرير حكومي يتضمن معلومات جوهرية عن المستشفى.

- مكاتبُ تسجيل ملكية الأراضي: تجمع هذه المكاتب، ومكاتب أخرى ذات صلة، معلومات عن المِلكيَّة، وكثيراً ما تجمع معلومات مهمة عن القروض المتعلقة بالمِلكيَّة.

> **مثال:** في فرنسا، استُخدمت معلومات المِلكيَّة الخاصة بالسياسيين لإظهار أنهم جمعوا ثروة أكثر بكثير مما يمكن أن يوضحه كشف مداخيلهم الذي تتطلب الحملات الانتخابية إعلانه.

- تقارير شركات القطاع العام وبياناتها الصحفية. فالتقارير السنوية والملفات التنظيمية وما شابهها تتضمن ثروة من المعلومات عن الشركات. وكذلك البيانات الصحفية التي تشمل في العادة مبادئ الشركة التي تنظم أعمالها الإستراتيجية. فإذا كان للمؤسسة عمليات خارجية، فقد تحتوي ملفاتها الموجودة في الخارج على معلومات يكون الوصول إليها أسهل من الوصول إلى مثيلاتها المحليَّات.

مثال: مكّنت التقارير السنوية والملفات التنظيمية التي أودعها مُموِّل فرنسي سري لدى مفوضية تبادل السندات المالية الأمريكية إعادة بناء حقيبة سندات تم الحصول عليها في ظروف نزاع، وتبلغ قيمتها بلايين الدولارات. ووفرت الملفات التنظيمية أسماء شركاء كانوا ممثلين في مجالس إدارة الشركات التي أصدرت السندات.

- مراقب الشركات: يوجد في كل بلد مكتب يحتفظ بسجلات للأشخاص الذين يمتلكون شركات، سواء باعوا أم لم يبيعوا صكوكاً مالية. وقد تختلف كمية المعلومات التي يجب على مالكي الشركات التصريح بها. ولكنها عادة أكثر مما يتوقعه إعلاميون لم يستخدموا هذه المصادر. ففي فرنسا، على سبيل المثال، تشملُ المعلوماتُ المُصَرَّحُ بها عدد الموظفين، الدخول، الديون، الأرباح، الفوائد، إلخ. وتتضمن أيضا أسماء المدراء.

مثال: مُستخدِماً هذه المعلومات، بيَّن أحدنا أن أحد مواقع الإنترنت الذي تظاهر بأنه منظمة دفاع عن المستهلكين كان في الحقيقة لشركة تخصصت في الاستخبارات الاقتصادية على أعمال منافسين وعملت لصالح كبار الشركات.

- المؤسسات الدولية التي تُقدِّم مساعدة أو معلومات تتعلق بأوضاع محددة في بلدان معينة (مثل الاتحاد الأوروبي، الأمم المتحدة، البنك الدولي، منظمة الصحة الدولية، منظمة العمل الدولية إلخ...). هذه المعلومات توفر للصحافي مواد قيمة يستعملها للمقارنة بين نسب عالمية ونسب محلية.

مثال: استخدمت صحيفة في ساحل العاج محاسباً من الاتحاد الأوروبي لتُبيِّنَ أن الحكومة القومية أساءت استخدام ملايين الدولارات من المساعدات التي تلقّتها.

ونستطيع أن نستمر في هذه القائمة إلى ما لا نهاية. وسوف يجمع مُحترف جاد قوائمه الخاصة للمصادر العلنية، ويُجدِّدها بانتظام كلّما تطلب مشروع محدد ذلك. وهذه القوائم مهمة بمدى أهمية مصادرك البشرية.

ج . إستراتيجية المصادر العلنية للاستقصاء

ما تعنيه المصادر العلنية لمنهجنا الاستقصائي هو التالي: بدلاً من السعي إلى مصادر تَعِدُنا بمدخل إلى أسرار، فإننا نستخرج من حقائق متوفرة لنا ما قد يكون سرا. وتبدو العملية كلها كالتالي:

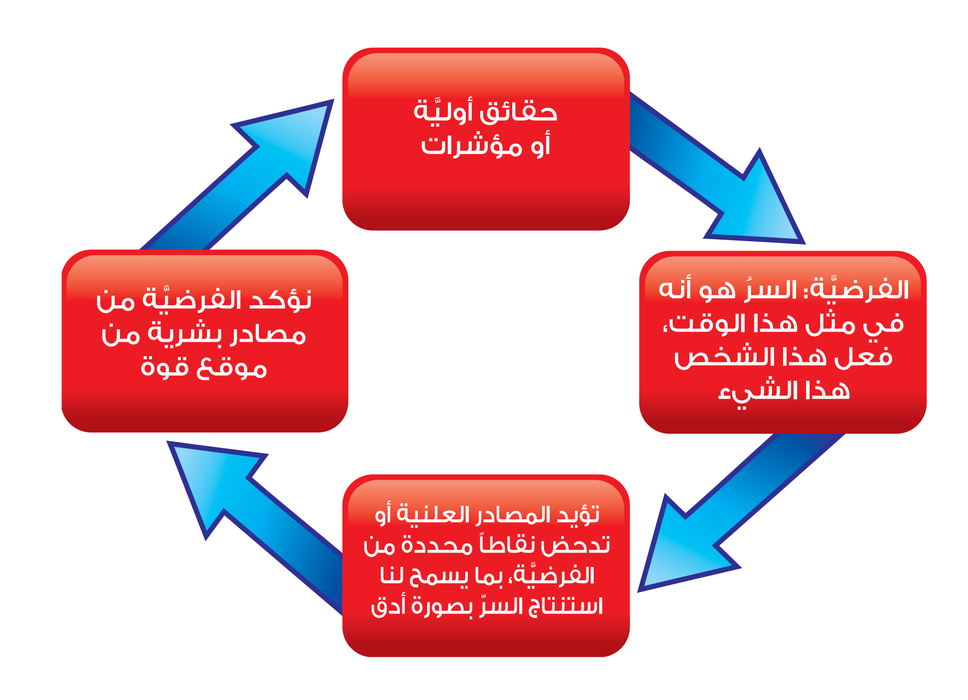
مرة أخرى، كمعادلة مُختصرة:

١- نبدأ ببضعة مؤشرات حقائق.

٢- تجعل الحقائق التي لا نعرفها فرضيّات.

٣- نسعى إلى تأكيد فرضيّتنا من مصادر علنية.

٤- نسأل أشخاصاً يمكنهم إكمال المعلومات التي عثرنا عليها في مصادر علنية.



مثال: الجبهة الوطنية الفرنسية، حزبٌ سياسي يميني متطرف، اقترح برنامج "الأفضلية القومية" يُمنح من خلاله المواطنون الفرنسيون التوظيف، الإعانات، وحقوقاً أخرى حتى قبل المهاجرين الشرعيين. مثل هذه السياسة غير قانونية في ظل القانونين الفرنسي والأوروبي اللذين يساويان بين جميع المواطنين. ورغم ذلك، أخبرنا مسؤول من الجبهة أن استراتيجيي الحركة يؤمنون بأنه يمكن تفعيل البرنامج باستغلال "المناطق الرمادية" في القانون الفرنسي الخاص بمجالس الحكم البلدي. وحين سُئِل عن مجالات محددة، توقف عن الكلام.

الخطوة الأولى: افترضنا أنه في المدن التي يسيطر عليها رؤساء بلديات الجبهة الوطنية، يتم تفعيل برنامج "الأفضلية القومية" غير القانوني، من خلال استغلال الغموض في القوانين ذات الصلة.

الخطوة الثانية: راجعنا برامج الجبهة الوطنية الانتخابية، وهي وثائق حصلنا عليها من مصادر علنية ومن مكتبات بيع الكتب، لنتعرف على مقاييس "الأفضلية القومية" ذات الصلة.

الخطوةُ الثالثة: عدنا إلى مقالات إخبارية، ونشرات بلدية، ومنتديات الإنترنت، ونشرات وتقارير جمعيات المواطنين، لنتحقق أوليّاً من أن هذا البرنامج يُطبَّقُ في المدن التي تسيطر الجبهة الوطنية عليها.

الخطوة الرابعة: واصلنا الخطوة السابقة بإجراء مقابلات مع مصادر بشرية من الجبهة ومن معارضيها. وأيضاً أجرينا مقابلات مع خبراء قانونيّين في كيفية تطبيق مقاييس الجبهة دون خرق القانون.

النتيجة: استطعنا أن نتحقق من الفرضية ونؤكد الممارسات الموجودة عندما سألنا مسؤولي الجبهة أن يؤكدوها فأجابوا بطريقة عفوية عنها وأكدوا أيضا ممارسات لم نكن نعرف عنها. ولكن لماذا؟ أنظر أدناه.

د. المصادر العلنية مصدر قوة

تضعنا المعلومات المستقاة من المصادر العلنية، مقارنةً بسؤال شخص معين

أن يخبرنا بقصة، في موقع قوة نسبي. فالأمر يختلف تماماً حين تطلب من شخص أن يؤكد لك قصة. إنه الفرق بين أن تقول، "ماذا حصل؟" وأن تقول، "هذا ما حصل، أليس كذلك؟"

وطبعاً، سيكون من الصعوبة على أحد أن يُضلِّلَ شخصاً (صحافيا) يسأل السؤال الثاني، كما أن انخراطك في محادثة مع مصدر محدد سيكون أكثر إثارة لأنه يستطيع تقدير قيمة المعلومات التي جمعتها ويستجيب لها بعمق أكبر مما يفعله مع شخصٍ لا يملك معرفةً مستقلّة. وذاك ربما كان السبب الذي جعل مسؤولي الجبهة الوطنية الفرنسية يقدّمون لنا أمثلة عن سياسة الأفضلية القومية لم نفكر فيها قبل إجراء المقابلة؛ لقد عرفوا أننا يمكن أن نقدِّر لهم عملهم.

وباستخدام المصادر العلنية، فإنك تُظْهِرُ لمصادرك البشرية:

أنك مهتمٌ بالموضوع إلى درجة ألزمت نفسك معها بوقت وطاقة كبيرين لتمكين نفسك.

١- أنك لا تتوقع منهم أن يقوموا لك بعمل تستطيع أن تقوم به أنت نفسك.

٢- أنك لا تعتمد عليهم في الحصول على معلومات.

٣- أن لديك معلومات لتشاطرها معهم.

٤- أنه لا يمكن منعك من تنفيذ القصة لأن أحداً ما لا يريد أن يتحدث إليك.

تعلَّم عبور الأبواب المفتوحة للوصول إلى المعلومات قبل أن تحملَ هاتفكَ لتتصل بشخص ما. (للتذكير، يمنع مركز النزاهة القومي في الولايات المتحدة الأمريكية باحثيه من استخدام الهاتف في الأسابيع الستة الأولى من أي استقصاء، وهذا هو الزمن الذي يكون عليهم فيه أن يسعوا إلى مصادر علنية ليثقفوا أنفسهم حول الموضوع). وهذا الأمر هو جزءٌ مهمٌ كي تُصبحَ شاهداً يستحق التقدير - شخصاً تُريدُ المصادرُ أن تتحدث إليه، لأنه يفهم ما يُقالُ ويُقدِّرُه.

هـ . العثور على مصادر علنية

١. رسم خريطة الموضوع

إن مُهِمَّتك الأولى هي الحصول على مُلَخَّصٍ عام للقصة مجال الاستقصاء.

أي كمن يريد رسم لوحة لمشروع افتراضي قبل التنفيذ. وتُسمى هذه العملية أيضاً "وضع الخلفيّة"، الذي يشير أولاً إلى العثور على ما يقع خلف الموضوع وحوله. وتشمل مُهِمّاتك هنا ما يلي:

حدِّد اللاعبين الأساس أو المفاتيح (أفراداً ومؤسسات).

حدِّد المسائل الأساس التي تهم اللاعبين.

أدرس وافهم تواريخ وأحداث مفصلية في تاريخهم - من الماضي إلى الحاضر.



في هذه الحالة توفر الحقائق التي جمعتها نقطة الانطلاق بين يديك. فإذا بدأتَ باسم لاعب أو مؤسسة، إبحث عن معلومات ذات صلة باللاعب أو المؤسسة. بعد ذلك، إتبع الإشارات أو الإلماعات الموجودة في تلك المادة التي جمعتها كي تُحدد مكان مواد أخرى.

أمثلة:

وجد شرطيٌّ شاهدةً أساسيةً في قضية قتل من خلال معرفة اسمها الأول.

وأنها كانت حاملاً في لحظة معينة؛ ذهب إلى سجلات الولادة في البلدية ليعرف أسماء النسوة اللواتي وضعن حملهن في الوقت المعلوم، وعثر على شاهِدته.

حين تجد الأبواب أمامك مغلقة، إبحث عن معلومات تتعلق بالقضية. حاول مرات عديدة لكي تتجنب وضع نفسك في موقف يتطلب منك بشكل مطلق معلومات محددة من مصدر واحد لكي تستطيع التقدم إلى الأمام. خلاصة القول: إذا حصرت نفسك في الزاوية فإنك تضع القوة كلها بين يدي المصدر.

بدلاً من ذلك، إجمع معلومات عن لاعبين أو مؤسسات أو أحداث تكون على بعد خطوة واحدة من الموضوع الآني مثار التحقيق. إذ يمكن لهذه المعلومات أن توفر لك منظوراً جديداً، وتفتح لك ممراً إلى مصادر جديدة. فكثيراً جداً ستجد أنه حين يدرك مصدرُكَ "الوحيد" العنيد أن كل شخص منخرط في القصة يتكلم إليك، إلا هو، فسوف يبادر بنفسه إلى التكلم معك.

من الواضح أن هذا العمل يمكنه أن يُنتج بسرعة معلومات كثيرة. أرجوك أن تقرأ الفصل الخامس، لترى أساليب تنظيم ذلك منذ بداية التحقيق. فأنت بحاجة إليها.

٢- استخدمْ مصادرَ عامةً لِتُوَجِّهُكَ للمصادرَ الخبيرةِ بالقضية مثار البحث.

للمصادر العامة التي وصفنا بعضها أعلاه مكانها، ولكنك بحاجة بالمِثْلِ إلى الحصول على مصادر علنية خبيرة. فعلى سبيل المثال، تعتبر مادة إخبارية عن اكتشاف علمي مصدراً عاماً. لكن مصدر البحث العلمي الأصلي، الذي قد يكون نُشر في جورنال متخصص، يعتبر مصدرا خبيرا يتوفر لديه مستوى أغنى من التفاصيل. ففي استقصاء، يمكن أن تكون تلك التفاصيل مهمة للنجاح، ليس فقط لأن الحقائق التي تعثر عليها مثيرة جداً، بل أيضا لأن معرفة هذه التفاصيل تُمكِّنُكَ من إجراء حوار مع مصادر تحتاج إليها بطريقة تعكس قوة وثقة بالنفس. وستشعر أن مصادرك هذه ستعترف بك على أنك شخص يبذل جهداً خارقا لفهم القصة، وليس مجرد شخص ينسخ عمل شخص آخر.

والطريقة الأفضل لاكتشاف مصادر علنية خبيرة هي سؤال المحترفين في قطاع ما عن المصادر التي يستخدمونها.

يستطيع المسؤولون الحكوميون أن يخبروك مَنْ يحتفظ بالتقارير المعينة التي تريدها، وبأي شكل وأين.

يستطيع المسؤولون المُنتخَبون أن يخبروك كيف تسير العمليات التشريعية، وما

هي أنواع الوثائق التي ينتجونها في مراحل مختلفة من دراسة التشريعات.

وكلاء الأملاك العقارية يعرفون أي مكاتب تحتفظ بسجلات تسجيل المِلكيَّة.

يستطيع المستثمرون المحترفون أن يخبروك أين تجد معلومات عن شركة ما، وكيف تقرؤها وتحللها.

وهكذا. وحين تتحدث مع تلك المصادر المحترفة، تأكدْ أن تسألهم عن مصدر الحقائق التي تجدها مثيرة. وينطبق هذا الأمر أيضاً على المحادثة مع مُستقصين آخرين، بمن فيهم الصحفيون أو الشرطة أو مدققو الحسابات. لا تجمع حقائق فقط: اجمع الطرق والتقنيات التي على أساسها يتم العثور على الحقائق.

مثال: طلب من مُستقص خاصٍّ من قبل أحد عملائه أن يكتشف العلاقة القائمة بين مؤسستين في بلَد أجنبي. راجع المستقصي قاعدة معلومات "دن آند برادستريت". وهي مصدر أساس للمعلومات التجارية. وبتكلفة بلغت ٧٠ دولاراً أمريكيا لتفعيل الخدمة المتوفرة، حصل على المعلومات المطلوبة خلال نصف ساعة.

إحتفظ بمعلومات في قائمتك عن هذه المصادر ومُنسقيها. وتأكد أن تستخدمها كثيراً كي لا تنسى كيف تستخدمها. فعلى سبيل المثال، في حال وجدت قاعدة بيانات مجانية تستخدمها للحصول على معلومات عن الشركات التجارية، وفي حال فرنسا اسم الموقع societe.com- قم بزيارة الموقع بين الفينة والأخرى لترى ما إذا طرأ أي تغيير على وضع الشركات التي تكتب عنها باستمرار.

٤- أحصد الوثائق المتاحة

أنت بحاجة إلى غرس وممارسة عادة جمع المعلومات في نفسك وحيثما تكون. إن المعلومات الأكثر صلة بنشاط معين موجودة دائماً، تقريباً، حيث يقع النشاط. إذاً إجمع كل الوثائق التي تقع تحت بصرك في أي وقت تزور فيه مكاناً كإعلامي.

مثال١: إذا ذهبت إلى مدينة للمرة الأولى، أدخل غرفة التجارة في إقليم ما. إجمع وثائق لها صلة بنشاطات الإقليم وصحة المشاريع. في واحدة من هذه الوثائق اكتشفنا، مبكراً في مهنتنا، كرَّاسَ دعايةٍ لمستشفى محلي كان منخرطاً بالقضية التي كنا نستقصيها. وقادنا الكرّاسُ إلى مصدر مهم وحاسم.

مثال٢: إن كنتَ موجوداً في مكتب ووجدت فيه وثائقَ معروضة على الرف أو على الطاولة حيث تجلس، إلتقطْها وادرسها. وأسأل إن كان بإمكانك الاحتفاظ بها. حين غطينا موضوع الجبهة الوطنية الفرنسية آنف الذكر، ذهبنا إلى مركزهم القيادي كل أسبوع، وجمعنا المجلات المعروضة. إلا أن العديد من المعلومات التي أردت العثور عليها لم تتواجد إلا بحوزة أعضاء معينين بالحركة ويحملون بطاقات الانتساب. ولكنها قُدِّمت لي حين طلبتها. وكانت تلك مصادر معلومات لا تقدَّر بثمن، تدور حول نشاط الحركة في المستويين المحلي والإقليمي، ولم تناقشها وسائل الإعلام الإخبارية أبداً.

استخدامُ خبراء لتطوير مصادرك

١- مسؤولو الأرشيف ملائكةٌ

إن كون المصدر علنيّاً لا يعني أنك تستطيع الوصول إليه بفاعلية، بخاصة حين تكون المكتباتُ المتخصصة والأرشيف هي المطلوبة. الحل: إبحث عمّن يديرون الأرشيف، واطلب مساعدتك.

من الجيد أن تحصل دائماً على اسم موظف أرشيف حين تدخل مكتبة ما. فخبرتنا تقول لنا إن المؤرشفين عادة ما يشعرون بأن الناس لا يُقدِّرونهم، ولذا، فإن أي شخص يعاملهم باحترام ويقدِّر خبرتهم يكافئونه ويساعدونه.





أمثلة:

لمتابعة استقصاء فضيحة الدم الملوَّث في فرنسا. كانت المهمة الأولى جمع كل الأدبيات العلمية حول نقل الدم والإيدز قبل أن تتفجَّر الفضيحة. مديرة مكتبة مستشفى باريسي تعليمي أساس، زودتنا بقائمة شاملة لمقالات ذات صلة من قاعدة المعلومات الموجودة في مؤسستها، واحتوت المكتبة على ما يقرب من جميع المجلات المُدرجة في القائمة. اكتملت المهمة في فترة لم تتعد بعد الظهر.

تحضيراً لاستقصاء عن بائع مواد فنيّة باريسي، اتصلنا بوزارة الثقافة الفرنسية لطلب معلومات عن الإعانات التي تُقدَّم لسوق الفن، فتم توجيهنا إلى موظفة معينة. وبينما كنا نتكلم معها على الهاتف، كان يُسمعُ صوت طباعة على لوحة مفاتيح كمبيوتر. عندما سألناها عمّا كانت تطبعه، قالت إنها كانت تستشير قاعدة معلومات للوزارة. سألناها إن كانت علنية، أجابت، نعم. احتوت قاعدة المعلومات على أسماء جميع الذين تلقوا إعانات من الوزارة، وكانت متوفرة في مكتبة عامة أرشدتنا الموظفة إليها.

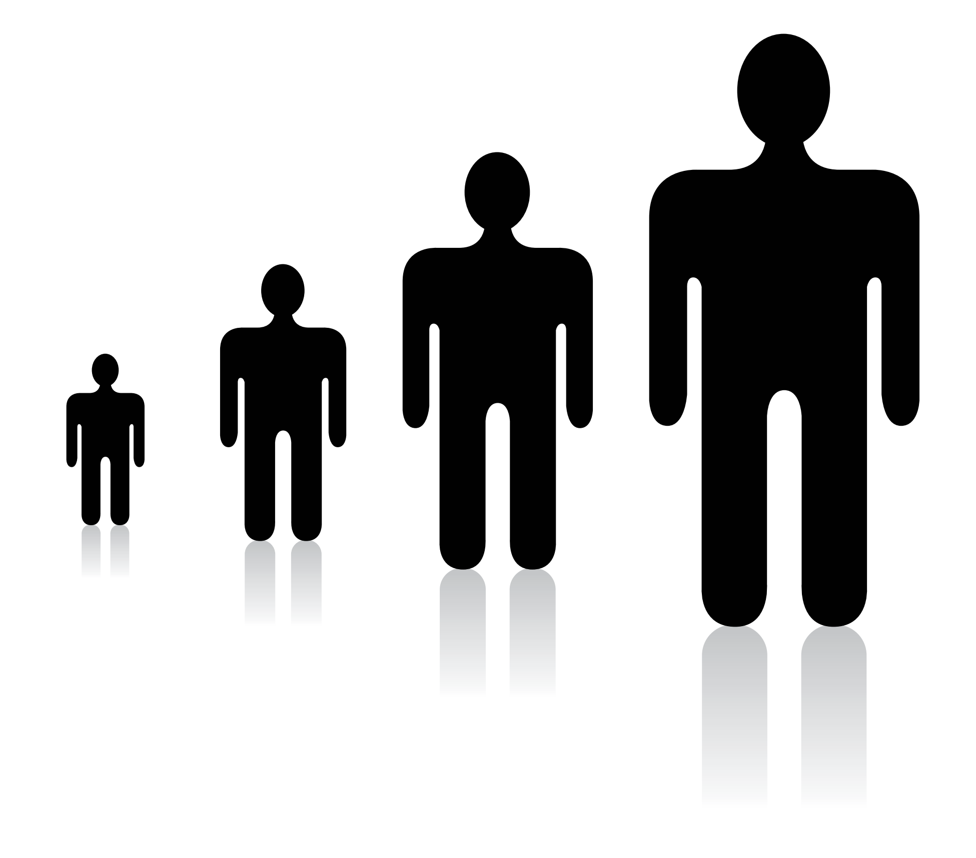
٢- فهمُ ما وجدته

ليس الحصول على وثيقة مثل فهمها. فكثيراً ما تكون لغة التقارير الرسمية في القطاع العام أو القطاع الخاص خاصة جداً، وتتطلب تفسيراً. وينطبق هذا الأمر على المصادر العلنية المتنوعة بتنوع التقارير السنوية أو محاضر الاجتماعات.

وحين تجد نفسك في مواجهة مثل هذه الوثيقة، تكون مهمتك اللاحقة هي العثور على مُفسِّر خبير للغتها وجوهرها. وبشكل عام، إبحث عن شخص منخرطٍ في القطاع الذي تستقصيه، ويستطيع العثور على القصة التي تستحق الاهتمام، ولا تتعارض مصلحته مع مصلحة القضية قيد البحث.

> **مثال:** لفهم كيفية استغلال الجبهة الوطنية الفرنسية لأموال المدينة للقضاء على مجموعات معارضة، حصلنا على تقرير مجاني حول الإعانات البلدية من مدينة تسيطر عليها الجبهة، بعد ذلك تفحّصناه سطراً بسطر مع موظف بلدية سابق من تلك المدينة كان يعمل في أمور الموازنة.

لا تَسْعَ إلى الحصول على رأي من شخص سيقوم بتقديم تقرير عن محادثتكما لآخرين، وتجنب ذلك قدر الإمكان. كما إعمل على تجنُّب النقاشات مع أفراد لهم عمل من أي نوع مع لاعبين في قصتك مثار التحقيق، إلا إذا كنت تُجري مقابلات معهم.



دليل أريج الفصل الرابع:

استخدام المصادر البشرية

استخدام المصادر البشرية

مارك هنتر و نلز هانسون
Mark Hunter and Nils Hanson

فمثل هؤلاء الناس يستطيعون مقايضة معرفتهم بما تفعل لمصلحتهم، وسوف يفعلون ذلك على حسابك.

إبدأ بسرعة ... لكن هوينا على نفسكً

نقترح بقوة أن تبدأ تحقيقاً بجمع أسهلِ المعلومات التي يمكنك الحصول عليها من أكثر المصادر علنيَّةً لأن الصعوبة ستزداد كلما تقدم مسار التحقيق. ولكن إذا كانت بدايات تحقيقك صعبة ومعقدة فالسبب يكمن في أن هناك خطأ في عنصر من عناصر فرضيَّتك مرتبطا بما صنفته أنت بمصادر علنية. تلك إشارة واضحة تدل على أن فرضيّتك خاطئة جداً، أو أن شخصاً ما يعمل بجِدِّية لإخفاء القصة مثار التحقيق.

وبالعكس، إذا كانت التأكيدات الأولى ناجحة، فتلك علامة على أنك تستطيع تسريع التحقيق وتوسيعه. وحين يبدأ هذا الزخم بالتراكم، إستفدْ منه. خُذْ معلومات المصدر العلني مهما كَثُرَتْ، إستنتج معناها، وأضفها إلى فرضيَّتك. في الخطوة اللاحقة، سوف تدخل المجال الذي لا تكون الحقيقة فيه مكتوبة أو موجودة في وثيقة.

العملية إلى الآن:

١- نكتشفُ موضوعاً.

٢- نطرحُ فرضيَّة لنستقصيها.

٣- نبحثُ عن معلومات من مصادر علنية لنتحقّق من الفرضيّة.

٤- نبحثُ عن مصادر بشرية لتعزيز فهمنا.

توجد المعلومات الأكثر إثارة عادة في ذاكرة وعقول الناس وليس في المصادر العلنية. فكيف نعثر على هؤلاء الناس؟ كيف نجعلهم يقولون لنا ما يعرفونه؟ لا تقلّل من قيمة هذه المهارات. فليس كل شخص يملكها، وعملُكَ كصحافي مُستقص سوف يطورها إلى درجة عالية. ولكن، لا تُسئ استخدامها أيضاً. ولا تنْسَ أبداً أنك قد تؤذي، كصحفي، بعض الناس – في مشاعرهم، في أرزاقهم، وحتى في سلامتهم الشخصية. تأكد أن لا تؤذيهم لمجرد أنهم كانوا على درجة من السذاجة في تعاملهم معك وكلامهم إليك.

في هذا الفصل، سوف نتناول كيفية تحويلك كصحافي متقص إلى شاهد جدير بالثقة – شخصٌ قد يتحدث مصدرٌ إليه باطمئنانٍ وبشكلٍ مفيد.

أ. رسم خريطة للمصدر

تتلخص الطريقة التي يستعملها معظم الإعلاميين التقليديين العاملين في مجال الأخبار ومتابعة ارتداداتها في العثور على شخص قادر على أن يوفر لهم اقتباسات يستطيعون استعمالها في إعداد تقاريرهم. غالبا ما يجدونهم من خلال قيامهم بقراءة أول قصة نُشرت حول موضوع معين، والتقاط أسماء الأشخاص المُستشهَدِ بهم فيها، والاتصال بهم. مثلُ هذه المصادر قد تتلقى مئات المكالمات في يوم واحد. فهل سيقولون شيئاً جديداً للمُتَّصِل المائة، هذا إذا رفعوا سمَّاعة الهاتف أصلاً؟ كلا. ولذا، لماذا لا يتم البحث عن شخص آخر لم يقم أحدٌ بطرح أسئلة عليه؟

سيزوِّدُكَ مصدرُكَ العلني بقائمة من الأسماء الأكثر أهمية لتتصل بهم. وعلى سبيل المثال، لتستقصي شركةً فقد تبدأ بقراءة تقاريرَ مُحلِّلين ماليين تصف وضع الشركة ووضع أقوى الشركات المنافسة لها.

بعد ذلك، تحدَّث مع المُحللين، ومن ثمَّ مع المنافسين.

من خلالهم، ومن خلال وسائل الإعلام التي تغطي عالم الصناعة والمال،

إعثر على أشخاص تركوا الشركة، إما لوظائفَ أخرى، أو للتقاعد (وجد سيمور هيرش العديد من مصادره عن المخابرات المركزية الأمريكية من خلال تتبع إعلانات التقاعد).

ومن خلال هذه المصادر، إعثر على أناس لا يزالون في الشركة ويرغبون في الكلام.

ننصحك أن ترسم خريطةَ مصادر بسيطة بأسرع ما تستطيع. فالخريطة تمثيل مرئي لكل الناس المنخرطين، أو الذين قد ينخرطون، مباشرة في قصَّتك. تبدو الخريطة مثل البيوت في قرية يعرف كل واحد من أهلها كل واحد آخر، والقرية هي المكان الذي تدور فيه أحداث القصة.

تستطيع أن تجعل خريطتك مُعقَّدة وغنيَّة بقدر ما تريد - وعلى سبيل المثال، تستطيع تدوين مواقع سُكنى المصادر الأفراد، تواريخ ميلادهم، وظائفهم، أو أي شيء تحب. ولكنك تستطيع في البداية أن تكون أكثر بساطة، وقد لا تحتاج إلى أن تذهب أبعد من ذلك. (وحتى وجود خريطة مصادر بسيطة جداً، تأخذ منك بضع دقائق لتحضيرها، ستمنحك مِزْيَةٍ على معظم منافسيك). وبالنسبة لقصة الولادات المبكِّرة في قصة "الطفل الرضيع دو" التي ذكرناها في الفصل الثاني، بدت خريطةُ المصادرِ الأساسُ كالتالي:



لاحظْ بعض الأشياء عن هذه الخريطة: الأطفال المعاقون في المركز، لأن القصة في النهاية هي عنهم. ولكنهم أيضاً أصعب ما يكون العثور عليهم، والتحدُّث إليهم، من الناس. وكل شخصٍ آخر قد نتكلم معه يدور حولهم، لأن كل مصدر آخر بطريقة أو بأخرى، مرتبطٌ بهؤلاء الأطفال. ولاحظ، بالمثل، أن الأطباء بين الوالِدين والمستشفيات. لماذا؟ لأنهم مَنْ يتحدثُ الأطباءُ إليهم أكثر من غيرهم.

وهذه هي النقطة الأساس: حين ترسم خريطة مصادر، إستخدمها لتُبيّنَ العلاقات بين لاعبي القصة، كي تستطيع، إذا أُغلقت الطريق أمامك إلى مصدرٍ ما، أن تذهب إلى مصدر آخر يستطيع رؤية ما هو أبعد من العقبة التي اعترضتك. فحين يقبلُكَ الناسُ في جزءٍ ما من خريطتك، تكون حظوظك في القبول في أمكنة أخرى من الخريطة أفضل.

ب. إعْطِ المصادرَ أسباباً لتتكلم

قد يكون عند الناس الذين لديهم حقائق أو قصص ليرووها أسبابٌ قويَّةٌ لعدم إجابتهم عن أسئلتك. فبمعنىً عام، هم لا يعرفون إن كنتَ مُحترفاً ومسؤولاً ومُنصِفاً (وعديد من الإعلاميين ليسوا كذلك). وحتى إن كُنت كذلك، فإنهم لا يستطيعون تقييد ما سوف تفعله بمعلوماتهم التي يعتبرونها قيّمة. وأخيراً، قد يؤدي استخدامك للمعلومات إلى الإضرار بمهنهم أو علاقاتهم أو حتى سلامتهم الجسديَّة.

إذاً احتفظ بهذه الحقيقة في ذهنك حين يتردد شخصٌ ما في التحدّث إليك: فقد تتحوّل إلى أحد أسوأ الأشياء التي تحصل لهم قط. بالرغم من ذلك، تذكر أن أغلب الناس لا يرفضون الحديث إلى الصحفيين.

لماذا يفعلون ذلك؟ يوجد سببان عامّان يُسَمَّيان: الكبرياء والألم. ولذا يجب أن تمنحَ مصدرك فرصة الاطمئنان والحديث عن أحدهما أو كليهما.

سيتحدث الناس معك لأن شيئاً يثيرهم - موهبة أو شيءٌ من الجمال اكتشفوه، نجاحٌ حققوه أو سيحققونه، خطةٌ أبدعوها لإنقاذ العالم. ومناقشة هذه المواضيع معهم تجعلهم يشعرون بالسعادة أو الأهمية أو كليهما.

أو، كما يعرف الأطباء، يتحدثون لأنهم يشعرون بالألم ويرغبون بأن يقوم أحدٌ

بمساعدتهم. وبصورة عامةٍ، الألم أقوى من الكبرياء، ولذا، فإن أول من يتحدث من الناس في معظم الاستقصاءات هم الضحايا - أولئك الذين تعرضوا للإساءة بطريقة ما، أو من انتُهكت قيمُهُم كثيراً بسبب ما شاهدوه.

ويوجد أيضاً سببٌ مُحدَّدٌ ليتحدث شخص إليك: فهو يعتقد أن الحديثَ إليك أمرٌ آمنٌ. وكي يحصل ذلك، ويظل يحصل، يجب عليك أن تخلق علاقة مع المصدر. وفي تلك العلاقة، يجب أن يعتمد كل واحد منكما على الآخر في فعل أشياء معينة. فقد تقوم أنت والمصدر بتزويد بعضكما بعضاً بالمعلومات، أو بالانخراط في نشاطات معينة. وسواء التزم المصدر بذلك أو لم يلتزم، عليك أنت الالتزام. فالأمر ليس مجرد التزام مهني، بل أيضاً أمرٌ يتعلق بالشخصية. إذ يجب أن تكون جديراً بالثقة غريزيّاً، وإلا شعر الناس أنهم لا يستطيعون الثقة بك.

ج. الاتصالات الأولى: التحضير والدعوة

١- التحضير للقاء

إن أسلم طريقة للاتصال بمصدر ما (إلا إذا شكَّل المصدر خطراً جسديًّا لكَ) هي اللقاء به وجهاً لوجه. فغرضُ اتصالك الأول هو أن تجعل ذلك اللقاء يحصل.

قبل أن تقوم بالمكالمة الهاتفية الأولى، يجب أن تقوم ببعض البحث حول الشخص والمسائل التي ستتكلم عليها معه.

في ما يتعلق بالشخص: إن الحد الأدنى الذي يجب أن تقوم به هو أن تبحث عنه أو عنها في الإنترنت. وهنا يجب الرجوع إلى أية مواد إخبارية أو كتابات أخرى ذُكر فيها اسم المصدر؛ إذا وجدت الكثير منها بحيث لا تستطيع قراءته كله، اقرأ القليل منه. والغرضُ هنا هو إظهار اهتمامك بالمصدر، ومعرفة مهنته أو مهنتها. لا تذهب أبداً لإجراء مقابلة وتسأل مصدراً له تاريخ عام أن يذكر مهنته. يجب أن تكون عارفاً بها قبل وصولك.

إذا كان المصدر قد كتب مقالات لوسائل الإعلام أو لمنشوراتٍ متخصصة، إحصل عليها واقرأها. فحتى أكثر الأفراد سريَّةً أو خجلاً يكشفون شخصياتهم وقيمهم واهتماماتهم حين يكتبون. يمكن لهذه المواد أن تزودك بفرضيَّات يمكن أن تُختبر لاحقاً في مقابلة.

وعلى سبيل المثال، افترضنا من مقالاته وخطبه المنشورة أن مسؤولاً رفيعاً

معيَّناً في فرنسا يكره الكذب. ولكنه كان خبيراً في تجنُّب المواضيع التي يعتبرها حسَّاسة أو خطرة. ولذا، بمراقبة كيف ومتى يُغيِّر المواضيع، تمكنَّا من تعيين النقاط المحدَّدة التي رغب بتجاهلها، وبعد ذلك استقصيناها أكثر. وعندما سألناه أن يؤكد استنتاجاتنا مباشرة، ملتزمين بفرضيَّتنا حول شخصيته، لم يكذبْ.

في ما يتعلق بالمسائل: يجب أن تكون واعياً بآخر الأخبار والبيانات العلنية المتعلقة بالمسائل التي تريد الكلام عنها. طبعاً، لا تحتاج إلى أن تكون خبيراً. ورغم ذلك، يجب أن تكون واعياً بعناصرَ معيّنة تتكرر في مناقشة المسائل عادة، ويمكنك سؤال مصدرك أن يوضحها.

يجب أن تُظهرَ وعياً، إن لم يكن فهماً، بعناصر أساسية في اللغة التي يستخدمها المصدر، وبعد ذلك يمكن أن تسأل المصدر أن يشرحها لك.

٢- القيام بالاتصال

يمكن القيام بالاتصال بواسطة الهاتف فقط مع المصدر في بيته. لا تتصل به أو بها في مكان العمل، إلا إذا كنت متأكداً بشكل مطلق أن لا حرج من فعل ذلك. فقد يكون رئيسُ الشخص المعني يستمع، كما أن بالإمكان تتبع مصدر المكالمة (وسنقول المزيد عن ذلك لاحقاً). وينطبق الأمر نفسه على البريد الإلكتروني، حتى وإن كان المحتوى غير ضارٍّ. فمن السهل جداً على مدير ما أن يعرف من استلم بريداً إلكترونيّاً من صحفي. كما بإمكانك أن ترسل رسالة بالبريد إلى المصدر في منزله.

إننا لا نتكلم نظريَّاً هنا. رأينا ذات مرَّةٍ فريقاً استقصائياً استهدف مسؤولاً رسمياً قيل إنه استبداديٌّ وشكَّاكٌ وفاسدٌ. كتب الفريق إلى سكرتيرته، وهي في مكتبها، سائلين إيَّاها مساعدتهم. رفضت. ولكن حين علِم الرئيس باستقصائهم، كما يفعل المُستهدفون دائماً قام بطردها.

فكِّر بكيفية تقديم نفسك قبل أن تُجري اتصالاً. يجب أن تُخبر المصدر من أنت، وماذا تعمل، وأن تشعره بأنك واثقٌ من مُهمَّتك وقدرتك على النجاح لكن بدون أن تقول ذلك صراحة. تستطيع أن تشعره بالثقة، وأن تطمئنه أنك ستحصل على تلك القصة وسترويها وتؤكد له أن الواقع المعاش سيكون أفضل حين تفعل ذلك. خذ بالاعتبار هذه الأمثلة عن الطرق الصحيحة والخاطئة للاتصال:

من الخطأ أن تقول للمصدر "أريد أن أسألك شيئاً، إن لم يكن في ذلك مشكلة

كبيرة لك". ذلك خطأ لأنك لا تريد أن تسأل. بل تسأل. إنك لا تريد أن تقول للمصدر إن الحديث معك يعني مشكلة. وإنك مُحرج من أن تسأل».

الصحيح هو أن تعمل ما يلي: "السلام عليكم. اسمي ... أنا صحفي. أعمل في وسيلة إعلام اسمها ... وأنا أعمل على قصة ... أعتقد أنها قصة مهمة. وأريد أن أرويها كاملة وبدقة. متى نستطيع اللقاء لمناقشتها؟" تلك الطريقة تعتبر سليمة لأنك عرَّفت على نفسكَ وغرضك بالكامل. وأعطيت المصدر سبباً وجيها ليتحدث معك. لم تسأله إن كان اللقاء ممكناً. سألته متى. لم تستخدم كلمة "مقابلة" interview بل "لقاء" meeting لأن كلمة مقابلة تجعل المصدر يربط اسمه أو اسمها بالعناوين الرئيسة وبمستقبل قد يجلب مشاكل. إذا لم تكن تعمل لوسيلة إعلام محددة. يمكن أن تقول اسم وسيلة عملتَ فيها. وإن لم تعمل لأية وسيلة. قُلْ ما هي الوسيلة التي ستعرض القصة عليها. وتذكَّر: ليس المهم مَنْ تعمل لحسابه. بل كيف تعمل.

X "أرجوك ساعدني. فأنت الوحيد الذي يستطيع مساعدتي!"

الخطأ هو: إذا لم يوجد أي شخص آخر يريد مساعدتك. وإذا لم تكن قادراً على مساعدة نفسك. فلماذا يجب علينا أن نساعدك؟

✓ "أعرف أنك خبير حقيقي في هذا الموضوع. وأقدِّر لك كثيراً نظرتك فيه."الصحيح هو: أنت تمدح المصدر. وإذا كان المدحُ مُبرَّرًا. فلا يوجد سبب يمنعك من إبدائه. وأنت أيضاً تدعُ المصدرَ يفهم أن لديك مصادرَ أخرى. قد يكونون خبراءَ مثله.

المبدأ الأساس: افترض دائماً أنك شخصٌ مثيرٌ تقوم بعمل مهم. وأن أي شخص سوف يسعدُ بلقائك. وإذا كان هذا صعبا عليكَ. أرجوك أن تبحث عن عمل آخر يناسب وضعك.

٣- مكان اللقاء

إن لم يكن بالإمكان العثور على المصدر لطلب لقاء. أو إذا كان يرفض لقاءك. أو يؤخر اللقاء إلى آجال غير معقولة. فكِّر في تقديم نفسك في مكان لا يستطيع المصدر أن يتهرب منه. إذا كان المصدر في محاكمة. اذهب إلى قاعة المحكمة. إذا كان المصدر أستاذاً جامعياً. اذهب إلى محاضرة. ذات مرَّة. رفض مسؤول فرنسي

رفيع أن يرانا لشهور. إلى أن ذهبنا إلى مكتب يجري فيه لقاءات أسبوعية مع ناخبيه. وجلسنا في مكاننا في خط الانتظار. لمّا حان وقت دخولنا المكتب قُلنا: «نحن الأخيرون في الخط. وما زالت لديك عشرون دقيقة. دعنا نتحدث الآن.» ضحكَ وقال: نعم.

إذا كان المصدر مُستعدّاً للقائك. اذهب إلى بيته أو إلى أي مكان آخر يشعر فيه بالارتياح والأمان. إذا كان الاستقصاء يتعلق بعمل المصدر. وكانت منظمتُهُ تعرف بالمقابلة. يكون مكتبه عادة هو الموقع الأفضل. وسوف يُقدِّم المكتب كمّاً كبيراً من المعلومات عن المصدر - ما يقرأ. أذواقه. ردّ فعله على المقاطعات خلال اللقاء. إلخ.

د. بَدْءُ العلاقة: أهداف وأدوار

في عالم الأخبار. كثيراً ما تكون العلاقات مع المصادر شبيهة بعلاقة تدوم لليلة واحدة تترك شريك الغرام مستاءً. وهذا الأمر صحيح بخاصة في مشهد كارثة. حيث يصل كثير من الإعلاميين. فيقلبون كل شيء في الموقع. ومن ثمّ يغادرون بعد أن يكونوا قد علّقوا على سوء الطعام والشراب المحليين وسوء تصرف الناس. طبعاً. لا يحاول المُستقصون أن يكونوا عشّاقاً مثاليين. ولكن المصادر تسعى دائماً إلى علاقات مستقرة طويلة الأمد. ولذا. فإن بداية العلاقة لحظة مفتاحيّة. تعَرِّفُ عموماً ما سيلحقُ؟.

١- أولاً وأخيراً: حماية سرية المصدر

إن أهم شيء يمكن أن تفعله في استقصاءٍ هو حماية سريّة المصادر التي يمكن أن تتعرض للخطر لأنها اتصلت بك. وهذا الشّرط مُلِحٌّ بخاصة عندما يطلب المصدر عدم التصريح باسمه. ويعني الوعدُ الذي تقدمه بإغفال الاسم أنه يجب عليك أن تفعل كل شيء كي لا تترك أية آثار للمصدر قد تساعد على كشفه. ويشملُ هذا الأمرُ الأمكنة التي يمكن للشرطة أو المحامين أن يعثروا فيها على ملاحظاتك التي دوّنتها. وفي هذا المجال. يمكن استخدام الأساليب التالية:

- لا تتصل بالمصدر في مكان عمله. إذ يمكن تتبع هذه المكالمات. وكي تكونا آمنين عليكما استخدام هاتف متنقل ببطاقات مدفوعة سلفاً.
- تجنّب الاتصال عبر البريد الإلكتروني. فهذا العملُ مثله مثلَ إرسالِ بطاقة بريدية. والاتصال الآمن بالبريد الإلكتروني يتطلّبُ تشفيراً

Encryption ، وحتى هذا الأسلوب يمكن أن يجلب انتباهاً غير مرغوب فيه.
- قابلْ المصدر في مواقعَ آمنةٍ، حيث لا توجد إلا فرصة ضئيلة جداً لأن يُعْرَفَ أي منكما.
- إعطِ المصدر اسماً مُستعاراً أو اسماً مُرَمَّزاً ("المصدر أ"، "المصدر ب" مثلاً). ولا تستخدم اسم المصدر الحقيقي أبداً في النقاشات الداخلية.
- احتفظ بكل المواد المتعلقة بالمصدر في مكان آمن، والمكان الآمن المثالي هو الذي لا صلة لكَ به أبداً.

٢- تحديد أهدافك

قبل اللقاء الأول، حدِّد لنفسك ما ترغب في تحقيقه. وفي الحد الأدنى يجب أن يشمل هذا ما يلي:

الأصول Assets التي ترغب في الحصول عليها. وقد تشمل الأصولُ الوثائقَ، والموادَ الخاصة، وتحليلات أو تفسيرات، وأسماء مصادر أخرى ليتم الاتصال بها.

يمكنك أن تسعى للحصول على أصول محدودة فقط في اجتماع معين. يقول صديقنا فيليب مادلين Philip Madelin، وهو مُتخصص في شؤون المخابرات السرِّية الفرنسية، إنه يسعى في الحصول على مقابلة نمطية لتأكيد معلومة واحدة فقط أو للحصول عليها.

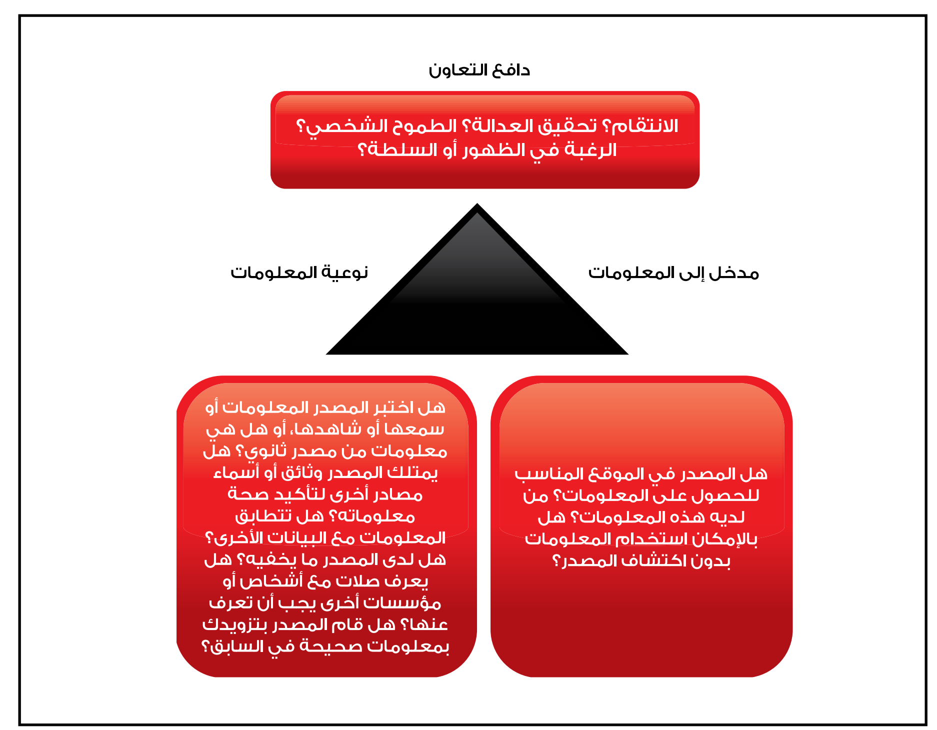
أو، يُمكنك أن تسعى إلى الحد الأقصى، فتأخذ كل وثيقة يقع عليها نظرك. في ذلك الحال، تأكد من أن المصدر يعرف لماذا تأخذها.

عموماً، إن آخر الأصول التي نسعى للحصول عليها في لقاء هو اسم الشخص اللاحق الذي يجب أن نتكلم معه وأية معلومات تفيد الاتصال به. ونقول عادة: "مَنْ تحترم لنظرته في المسائل التي ناقشناها؟ هل تعرف كيف يمكننا الاتصال بهم؟"

ما ترغب في أن تكشفه للمصدر عن مشروعك. يجب أن تتوقع أن تُسأل - إن لم يكن من هذا المصدر، فمن غيره - لماذا أنت منخرط في هذا المشروع بحماس، وماذا تأمل أن تحقق منه. ومهما كان الجواب الذي ستعطيه عن هذا السؤال، فيجب أن تعطيه فوراً، وبإخلاص. ونقترح أن تتبع قواعد الدبلوماسية البريطانية الثلاث التالية:

- لا تكذب أبداً. لا تُعطِ معلوماتٍ مزيفةً إلا إذا كنت مضطراً لذلك بشكل مطلق. وتذكّر أن اكتشاف كذبة يُعرِّضك لنتائج تمتد من إلقائك خارج الغرفة إلى إطلاق الرصاص على قدميك إلى تعذيبك (وهذا ما حصل مع إعلامي برازيلي تم اكتشاف كاميرته المخبّأة في لقاء مع تجّار مخدرات).
- لا تقل الحقيقة كلها أبداً. وعلى سبيل المثال، عندما عملنا مع اليمين الفرنسي المتطرف، كنا نقول: "لا تبدو صورة حركتكم في وسائل الإعلام دقيقة لنا، ونريد أن نعرف الحقيقة." لكننا لم نقل لهم، "قد تكون الحقيقة أسوأ."
- إن كنت لا تستطيع الإجابة عن سؤال، قُلْ ذلك
- وقُلْ متى ستجيب عنه.

ما ترغب في معرفته عن المصدر. ما هو نوع الشخص الذي نتعامل معه؟ ما هي التلميحات أو المحفِّزات التي يستجيب لها؟ ما هي أهدافه من الحديث معنا؟ هل يريد أو يحتاج إلى، بكل بساطة، رواية قصته، أم أنه يستغلنا لأهداف أخرى؟ تستخدم المخابرات البريطانية شكلاً توضيحياً ثلاثي الزوايا ينسجم مع معاييرنا في شبكة تلفزيون إس. في. تي. SVT السويدية:



تذكّر من فضلك ما يلي وأنت تستخدم هذا الشكل التوضيحي:

يهم ما قد يكون الدافع المعين. المهم أن يكون مفهوماً ومقنعاً.

في ما يتعلق بنوعية المعلومات: في التغطية الإخبارية، يُفترض أن تأتي أفضل أنواع المعلومات من أرفع مصدر. أما المستقصون فإنهم يفترضون أن أرفعَ مصدر هو أقلُّ اهتماماً بالحقيقة وأكثر اهتماما بتحقيق أهداف شخصية أو تنظيميةً. ومن ذلك المنظور، سوف تأتي المعلومات رفيعة النوعية ممن هم في المستوى الأدنى من المنظمة، لأن أولئك الذين يعارضون الطموحات الشخصية أو الأهداف التنظيمية.

في ما يتعلق بالمدخل إلى المعلومات: كما هو مُقترحٌ أعلاه، يتمثّل المصدر المثالي في معظم الاستقصاءات في شخص يعمل في المراتب الوسطى من منظمة ما، في المستويين العملياتي أو التخطيطي. فلمثل هؤلاء الناس مداخل إلى وثائق مهمة، لكن تأثيرهم قليل جداً على وضع السياسات أو تطبيقها. وبالمثل، تراهم ضعفاء جداً داخل تنظيماتهم.

ولذا، حين يعطيك هذا المصدر وثائق سريّة، إسأله/ اسألها فوراً: "من يعرف عن هذه الوثيقة أو المعلومة أيضاً؟" واشرح أنك لا تريد أن تستشهد بمعلومات يمكن تتبع مصدرها مباشرة. إذا لاحظت وجود معلومات سريَّة في لقاء، ضع علامة إلى جانبها لتشير إلى أنك يجب أن لا تقتبسها (إننا نستعمل العلامة «NFC»، أي «Not for Citation» ليس للاقتباس أو الاستشهاد")، وقُلْ للمصدر إنك تفعل ذلك. باختصار، دَعْ المصدر يرى أنك تُفكِّر في كيفية حمايته/ حمايتها، ثم احرص على أن تفعل ذلك.

٣- اختيار أدوارك

يوجدُ دوران أساسيان يمكن أن تلعبهما أثناء مقابلاتك:

يعرف «الخبير» معظم الإجابات، ويُمكنه أن يُقدّر تماماً المعلومات التي تتضمن تعابير تقنية أحياناً، تلك التي يمكن أن يُقدِّمَها مصدر خبير مشابه. فعند الخبير، تقع المحادثات مع المصادر على أعلى مستوى قد يجد الأشخاص العاديّون صعوبة في فهمها. لقد سمعنا مصادر تقول، «إنه لأمر جيد أن أتحدث مع شخص يعرف القضية حقاً، فذلك يعني أنني أستطيع اختبار أفكاري.»

ورغم ذلك، إذا بدأت باعتبارك "الخبير"، كُنْ متأكداً جداً من أنك لن تُجْبَرَ على الاعتراف، في لحظة لاحقة من المقابلة، بأن معرفتك أقل عُمقاً مما تظاهرت به. في ذلك الحال، ستفقد ماء الوجه.

يتكلم "البريء" (أو الصريح) إلى المصدر لأنه بالضبط يعرف القليل، ويتطلع إلى أن يتنوَّر. ولا يعني ذلك أن "البريء" غبيٌّ، رغم أنه يُفضل أحيانا أن يقوم المصدر بالتقليل من شأنه. إذا شاهدت من قبلُ التَّحري كولومبو Colombo في مسلسله التلفزيوني، فقد رأيت "البريء" وهو يعمل. وقد يكون هذا الدور، ربما، أقوى دور، لأنه يسمح لك أن تسأل أسئلة بسيطة، ساذجة، وبالمثل أسئلة أكثر تعقيداً. ولأن "البريء" يحتاج إلى أن يسأل عن كل شيء تقريباً، فعليه أن يتجنب خطر أن يشير إلى المصدر ما يسعى الصحفي إليه وكم يعرف فعلاً.

كثيراً ما يبدأ المُستقصون مقابلةً بدور "البريء"، ثم يكشفون أنفسهم، بعد أن تتقدم المحادثة، بدور "الخبير". إن كنت تفعل هذا، كُنْ حريصاً على أن لا تعطِ المصدر انطباعاً بأنك كذبت عليه، إلا إذا كان هدفُك المحدَّد نصبَ كمينٍ لمصدرٍ لن تراه مرة أخرى أبداً.

يُمكنك أن تستخدم أيا من هذين الدورين أو كليهما أثناء مقابلة واحدة. والمفتاحُ هو أن تشعرَ بالثقةِ من الدور الذي تمارسه في أي وقت.

في مجرى العلاقة مع مصدر ما، قد يتطور دورك. وإنها لمتعة عظيمة لدى كثير من المصادر أن يروا أن «البريء» أصبح، أكثر فأكثر، قادراً على طرح أسئلة «خبير»، لأن ذلك يُبيِّن أن المُستقصي يستمع ويتعلم. وعادة ما يسير التطور الطبيعي لعلاقة مع مصدر ما في هذا الاتجاه.

هـ . تكتيكات المقابلة

يملكُ كل إعلامي مخزوناً شخصياً من تكتيكات المقابلة، ولا يقوم كثير من الإعلاميين بتغييرها، مثلهم مثل الغواة الذين لا يعرفون إلا طريقة واحدة للإغواء. كمُستقص، إصرف وقتاً مع أناس يشمل عملهم طرح أسئلة - ليس إعلاميين آخرين فقط، بل ورجال شرطة ومُدَّعين عامّين ومحامين وبائعين ومدقّقي حسابات. وهكذا، إسألهم كيف يستجيبون لأوضاع مُحددة، أو أن يرووا لك قصصا عن مواجهاتهم. إن أفضل تكتيكات المقابلة تعكس شخصية الذي يجري المقابلة، فخذ ذلك في حسبانك وأنت تُطَوِّرُ ذخيرتك الخاصة من التكتيكات. وفي هذه

الأثناء، إليك بعض أفضل خِدَعِنا:

١- إحضر الأخبار معك

يتدخل المُستقصون في الأغلب بعد أن تكون قضيَّة ما قطعت مشواراً، الأمر الذي يعني أن وسائل الإعلام الإخبارية راكمت، بهذا القدر أو ذاك، سِجلاً أساساً. ولكن ذلك السجل عادة ما يكون مليئاً بالأخطاء. ولِتبدأ مقابلة وعلاقة، حاول إحضار عدد من قصاصات الأخبار معك، واسأل المصدر أن يراجعها معك، كي تريا ما هي الحقائق الصحيحة.

٢- سيطر على الوضع

قرأنا ذات مرة مقالة في مجلة رولنغ ستون Rolling Stone كتبها شخص وجد نفسه ذات يوم يستضيف موسيقار ومغني الروك مِيك جاغر Mick Jagger. كان متوتراً جداً إلى حدٍّ نسي معه أن يعرض على الضيف شراباً بارداً في يوم حار. عندما جاء دورنا لإجراء مقابلة مع جاغر، حرصنا على أن نقدم له شاياً - لا كي نُدَلِّله بل لنشعره أنه في رحابنا. شكرنا على لطفنا، وسارت المقابلة بشكل جيد.



فكِّر في ما يجري في المقابلة على أنه صراع قوة ، لأن ذلك ما هو عادة. حاول أن تختار البقعة التي ستجلس أو تقف عليها؛ تحرَّك إلى أن تشعر بالراحة. سيطر على أدواتك؛ لا تسمح، على سبيل المثال، للشخص الذي ستجري المقابلة معه أن يقترب من جهاز التسجيل أو دفتر الملاحظات خاصتك. إذا حاول مسَّها قل "هذه أدواتي. ولا تقل، "هل أستطيع تسجيل هذه المقابلة؟" قل، "إنني أسجل هذه المقابلة لأتأكد أنها دقيقة." شَغِّل الجهاز، أذكر تاريخ المقابلة ومكانها واسم الشخص. إذا ظننت أن المصدر سيعترض، إحضر شاهداً إلى المقابلة وقل للمصدر إنك أحضرته معك "لنتأكد أن محاضِرنا دقيقة. لذا طلبت إلى زميلي أن يساعدني."

٣- أترك مسافةً بينك وبين مصدرِك

يُصبح بعض الناس صحفيينَ ليقابلوا أناساً ويتزلفوا لهم. هذا أمرٌ حسنٌ، ولكن إذا كان مُستقص بحاجة لصديق إلى هذه الدرجة، فالأفضل له أن يشتري قطة. وإذا أصبحت صَّديقاً لمصدرك، فسِّينتهي الأمر بك إلى خيانته. فالضحايا التي يبدو أنها بريئة ليست دائماً بريئة بقدر ما تبدو، والسياسيون الخلاّقون هم أحياناً دجّالون. وقد يُغْرِقُ القباطنةُ بحَّارَتَهم. فلا تغرق معهم.

٤- استعمل دفاع المصدر ضده

بدأت مقابلةُ الصحفيَّةِ الإيطاليةِ أوريانا فالاتشي Oriana Fallaci الكلاسيكيةُ مع وزير الخارجية الأمريكية الأسبق هنري كيسنجر Henry Kissinger بمواجهة مُذلَّة: أدار لها ظهره، ثم سألها إن كانت ستقع في حبِّه. غضبت فالاتشي وأدركت أن كيسنجر يعاني من مشكلة معينة مع النساء. واستنتجتُ أيضاً أن شخصاً لا أخلاقياً كهذا، يستغل صحفيَّة وهي تقوم بعملها، لا يستحق شفقتها. وفي المقابلة التي تلت تلك المواجهة، تعاقبت أسئلتها من التي تركِّز على جزيئات مُحددة من المعلومات إلى أسئلة استخدمت خدعة الاستفزاز أو الإطراء الأنثوي (من مثل: "أسألكَ الآن ما سألتُ روّاد الفضاء: ما الذي تستطيع فعله بعد أن سرت على القمر؟"). شيئاً فشيئاً، أصبح كيسنجر غير متوازن وفقد سيطرته على المحادثة، وفي النهاية فقد سيطرته على نفسه. وما أفضى به كنتيجة، فتح مدخلا لها إلى صميم القوة.



كُنْ مثلَ فالاتشي: لا تحمل شفقة حيال الأقوياء، بخاصة حين لا يلعبون بشكل عادل. إذا رأيت ضعفهم، استغله. وعلى سبيل المثال، إذا كان سجلُّ شخصية عامة يبيِّن أنه يُفضِّل الجُمل المبدئية على الحقائق الصلبة، تقدّم إليه جاهزاً بحقائق من سِجلِّهِ تُناقضُ المبادئ الكبرى التي يحب تكرارها.

٥- فاجئ المصدر

إذا كنت تجري مقابلة مع شخصية عامة، فالأرجح أنه قد أجرى مقابلات عديدة حول المواضيع نفسها. تستطيع أن تستخدم تلك الحقيقة لتُجَهِّزَ مقابلة بطريقة تساعدك على أن تشقَّ أرضيَّة جديدة. راجع، بكل بساطة، ما تمَّ سابقاً، وافعل شيئاً مُختلفاً. ستُدهشُ أحياناً حين ترى ما تجاهله الإعلاميون عن ذلك الشخص.

٦- دَعْ المصدر يُفاجئك

إعلاميّو الأخبار دائماً على عجل، وتتمثل إحدى الطرق التي يظهر ذلك بها بقيامهم بصياغة سؤال لا يسمح للمصدر بقول ما يعتقد أنه مهم. أما أنت فتستطيع أن تتميز عنهم بالإصغاء إلى ما يعتقد المصدر أنه مهم. وبالتخصيص، كثيرا ما يقول المصدر شيئاً كهذا، "أستطيع الإجابة على سؤالكَ، ولكن يوجدُ سؤالٌ أكثر أهميّة لم تسأله." والرد الخطأ هو: "لاحقاً." والرد الصحيح هو:"أخبرني به الآن. وسوف يُظهر الجواب لك أحياناً قصة مختلفة كليًّا، وقد تكون أكثر أهمية من القصة التي كُنتَ تعمل عليها.

٧- إجعل المصدر يعمل

في الحالات التي يكون فيها من الضرورة التدقيق بتسلسل معين لحدث ما، تستطيع أن تبدأ سلسلة من المقابلات المتعاقبة لتأخذ المصدر في رحلة عبر الأحداث التي نوقشت، للتحقق من مواقيت وتفاصيل كل حدث (من مثل: من كان هناك في هذه المرحلة وماذا قال لك؟). فنادراً ما يتذكر مصدرٌ ما حدثاً بدقةٍ أو كليًّا في أول نقاش له عن الموضوع. يجب تحفيز ذاكرته، ويجب إطلاق خبراته المؤلمة من ذاكرته ولا تُصدم حين تتغير القصص نتيجة هذا العمل.

٨- إصغِ إلى المغزى

في اللغة المسرحيةِ فإن "النص" (Text) هو الحوار الصريح الذي يُدور على خشبة المسرح؛ أما "المغزى" (Subtext) فهو ما خلف الحوار. كُنْ حذراً بحيث لا تتجاهل المغزى في مقابلة مع المصدر، وبخاصة:

إصْغِ للحظاتٍ عندما يتغير فيها صوت الذي تقابله قليلاً، وهذا التغير علامة أكيدة علَى التوتر.

إنتبه للحظات تُصبح لغةُ المصدرِ فيها غامضةً أو مُكرَّرة، دون إضافة أية

معلومات إضافية. (التكرار يساعد الذاكرة، ولكن يجب أن يؤدي إلى تفاصيل جديدة لم يتم كشفها من قبلُ.)

أخيراً، كُنْ منتبهاً حين يجيب المصدر عن سؤال لم تسأله. هل يحاول المصدر أن يُخبرك ما هو مهمٌّ حقاً، أو يحاول تجنب منطقة معينة من الموضوع؟ إذا كان الأمر هو الأخير فقد تكون تلك المنطقة هي المنطقة التي تريد استكشافها أكثر من غيرها، الآن أو لاحقاً. إذا كنت تستعمل مُسجلاً، كُنْ منتبهاً جداً لهذه اللحظات عندما تُعيد سماع المقابلة من المُسجل.

٩- دَعْ المصدر ينخرط معك في الموضوع

تذكّر أن العلاقة مع مصدر ما قد تكون أكثر أهمية من أي معلومة محددة يزودك بها خلال مقابلة معيَّنةٍ. ومع الوقت، تخلق تلك العلاقة بينك وبين المصدر روابط والتزامات مشتركة. وأثناء ذلك، قد يشعر المُستقصون المبتدئون بالذنب لأنهم يخترقون بالعمق خبرات مصادرهم، بغير وعي. وبنفس اللاوعي هذا، سوف يتجنبون المصدر.

وهذا هو بالضبط الشيء الخطأ الذي تفعله. بدلاً من ذلك، كُنْ على اتصال دائم بالمصدر. اتصل به لتتشاركا المعلومات، لتسأل عن آخر الأخبار، أو لتأخذ منه تعليقاً على شيء يعرفه. لا تنتظر للّحظة التي تحتاج فيها إلى الحصول على قطعة مهمة من المعلومات لتُذَكِّرُ المصدر بأنك لا تزال موجوداً.

إذا فعلتُ ذلك، فسوف تجعل المصدر ينخرطُ في المشروع، أكثر فأكثر، وبعمق. وحين تجعله على اطلاع دائم بتقدمِكَ، وتطورِكَ، وبالسعي لمعلوماته ونظراتهِ، تكون قد أعطيت المصدر شطرا من نتيجة القصة. وفي الحقيقة، يُصبح المصدر مُتشاركا حول مسألة مهمة جداً.

١٠- راجع ملاحظاتك فوراً

حاول أن تتيح وقتاً بعد المقابلة فوراً - ربع ساعة قد يكون كافياً - لمراجعة ملاحظاتك بسرعة لترى إن نسيت أن تكتب شيئاً. الانطباعات والغوامض وتفاصيل أخرى ستخطر لك فور مغادرتك الغرفة. أحصرها وسجّلها.

١١- إسترح قليلاً حينما تستطيع

الإعلاميون المُعتادون على تغطية الأخبار السريعة يتعبون جداً إذا انخرطوا

في محادثات طويلة مع المصادر. فقد لا يُجري إعلاميّو الأخبار أبداً مقابلة أطول من ساعة أو ساعتين. ولكن المقابلاتِ الاستقصائية قد تطولُ لأيام. لذا، يجب أن يكون الإعلامي واعياً أن تعب وتوتر الشخص الذي يقابله قد يجعله، خلال هذا الزمن، عدوانياً. وحين يحصُل هذا، كُنْ حذراً أن لا تقول شيئاً بذيئاً لمصدرِكَ، دون سببٍ.

و. للنشر، ليس للنشر أو مصدرٌ مجهول؟

- تُحب المصادر أن تقول، "هذا ليس للنشر **Off the Record**. والمشكلة هي أنهم عادة لا يعرفون ما يقولون. ولسوء الحظ، ولا حتى أغلب الإعلاميين. فيما يلي أصناف المجهول أو المنسوب إلى مصدر ما:

ليس للنشر **Off the Record** : يَعدُ الإعلامي أن لا يستخدم المعلومات التي زوده بها المصدر إلا إذا أتت من مصدر آخر مختلف تماماً. فالمصدرُ لا يستطيع أن يمنعَ الإعلاميَ من استخدام المعلومات في ظل هذه الظروف إذا طابقها مع معلومات من مصدر أخر.

- عدم ذكر المصدر **Not for Attribution** : في هذه الحالة يستطيع الإعلامي أن يستخدم المعلومات، ولكنه لا يستطيع عزوها مباشرة إلى المصدر. وفي حال اختار تسمية أخرى من مثل "مصدرٌ قريبٌ من السلك القضائي"، يجب أن يتم الاتفاق على ذلك بين الإعلامي والمصدر.

- رسميّاً **On the Record** : يستطيع المصدر استخدام المعلومات ونسبتها إلى المصدر.

- والأمر الحاسم الذي يجب أن تعرفه هنا هو: حين تقول مصادرُ عديدةٌ، "ليس للنشر"، فإن ما يقصدونه حقاً، "أريد منك أن تنشر هذه المعلومات، لكن دون أن تنسبها لي". إسأل المصدر، "هل تقصد أنك لا تريد مني أن استخدم هذه المعلومات، أم أنك لا تريد مني استخدام اسمك؟" إذا قال المصدر، "لا أريد أن تستخدم اسمي"، إسأل: "كم عدد الناس الآخرين الذين يعرفون هذه المعلومات؟ وإذا استخدمتها، هل يستطيع أي شخص أن يكون متأكداً من أنها أتت منك؟" إذا كان الجواب لا، إسأل: "كيف نُشير إلى المصدر؟" ولا تقل، "إذاً ماذا نُسَمِّيك؟"

وبالطبعً، فإن المصدر هو الذي يختار أن يظلَّ مجهولاً أو لا. فبالكاد يمكننا توقع أن يزودنا الناس بمعلومات، لتنشر باسمهم، إذا كان ذلك يعني المخاطرة بمهنتهم

وسلامتهم. وهم في العادة أفضل من يعرف المخاطر التي قد يتعرضون لها. ومن مسؤوليتك أن تتأكد من أن خيار المصدر قد احتُرِمَ من جانبك. ويجب استخدام الحقائق بطريقة لا يمكن تتبعها إلى مصدرها. وبالمثل، كُنْ حريصاً جداً على أن لا تسأل أسئلة بناء على معرفةٍ لا يمكن أن تأتي إلا من مصدر واحد أو قلّة قليلة جداً من المصادر.

إن استخدام مصادرَ مجهولة يحوِّل مخاطر استخدام المعلومات من المصدرِ إليكَ. وستكون مصداقيتك في خطر إذا كانت المعلومات خاطئة. وإذا تمت مقاضاتك، لن يكون لديك دليل على صدق نواياك أو دقّة معلوماتك. ولذلك السبب، ننصحك بقوة أن لا تنشر مادةً قائمة على مصادر مجهولة، إلا إذا توفّر أحد الشروط الآتية:

دليلٌ وثائقي يمكن أن يتم العثور عليه من مصدر آخر.

المعلومات التي زودك بها المصدر المجهول يتناسب نمطها مع معلومات استطعت التحقق منها من مصادر أخرى.

المصدر كان موثوقاً في السابق.

إذا كان المصدر يستند فيُ معلوماته/ معلوماتها إلى وثيقة بحوزته، ومن الصعب لأحد تتبع الوثيقة إلى مصدرها، أطلب نسخة من الوثيقة. ولا تسمح لمصدرٍ أن يقتبس من وثيقة دون أن تعرف سياق الاقتباس الكامل. (في فضيحة الدم المُلوَّث الفرنسية، تأذت مهنةُ مراسل صحيفة اللوموند Le Monde الطبي جزئياً لأن مصدراً ما استخدم هذه الخدعة معه.)

إذا كنتَ لا تستطيع العثور على مثل هذا الدليل، إسأل المصدر الأصلي إن كان يقبلُ أن يُذْكَرَ إسمه، كي يمكن سرد هذا الجزء من القصة. في مناسبة واحدة على الأقل، شعرنا أن مصدراً ما كان على شفا السماح لنا بعزو المعلومات إليه. فقلنا له: "سنكتب هذه القصة واسمك فيها، وسوف نجعلك تراجع الأجزاء التي استشهدنا فيها باسمك قبل النشر. إذا لم تقتنع بما سوف ترى، سنزيل اسمك." وكثيراً ما قررت المصادر السماح لنا، بعد ذلك، بعزو بعض الحقائق إليها.

ز. إستخدم العواطف (بدلاً من أن تستخدِمُكَ)

طوال هذا الفصل، قد تكون لاحظت وجود خيط متواصل: أهمية العاطفة

والسيكولوجيا في علاقاتك مع المصادر. دعنا الآن نتناول عدة أبعاد من هذه الخيوط.

١. العاطفةُ معلوماتٌ

ثَمَّة خطأٌ كلاسيكي يعاني منه الإعلاميون المُدَرَّبون على قواعد التغطية "الموضوعية"، أو الإعلاميون المستعجِلون. هو الاستماع إلى المصادر من أجل المعلومات فقط، وليس من أجل استكشاف العاطفة . ويميل هؤلاء إلى اعتبار العاطفةِ ضجيجاً - بما في ذلك عواطفهم الخاصة. في عمله الكلاسيكي "القوى الحيَّة" The Powers That Be يقول ديفيد هالبرستالم David Halberstalm إن هذا هو سبب حصولُ إعلاميّيْن قليلي الخبرة من صحيفة الواشنطن بوست Washington Post على قصة واترغيت Watergate، وليس منافسيهم. سمح هذان الصحفيان الشابان لنفسيهما أن يتأثرا من خوف مصادرهما، وأن يشعرا به نفساهما: قال الخوف لهما إن القصة كبيرة ورئيسة.

في الحد الأدنى، تُخْبِرُكَ العاطفة أن شيئاً ما يحصلُ، وأن ما يحصلُ مهمٌ. وفي الحد الأقصى، تشير إلى اتجاه لتتبعه.

مثال: في اجتماعات الجبهة الوطنية الفرنسية، وجدنا أنفسنا منجذبين باستمرار إلى جانب واحد من الغرفة، حيث تجمّع أناس متشابهون. كانوا أعضاء في جناح الجبهة المُسمى جناح الكاثوليك الشرفاء الذين تم توثيق ميولهم العنصرية العنيفة بشكل جيد. تساءلنا لماذا كُنّا في الواقع نتجنَّب الناس الموجودين في الجانب الآخر من الغرفة؟. ومن كانوا؟ ولماذا كنّا خائفين منهم؟ أظهر الاستقصاء لنا أنهم وثنيّون - يعبدون آلهة النرويج القدماء. وعكسُ الكاثوليك، كان عنفهم غير مُقيّد بالالتزام بـــ»الوصايا العشر». كانوا موضوعياً أكثر خطراً من الكاثوليك، وذلك سبب تجنُّبنا لهم. وقد جعلهم حضورهم الواضح في التسلسل الهرمي للحزب ونزاعهم المرئي مع الكاثوليك، مُهمّين لنا جداً. كُنّا سنفقد تلك الحقائق لو أننا أنكرنا مخاوفنا.

٢- التناضح العاطفي Emotional Osmosis

كما قيل أعلاه، فإن أول المصادر في كل استقصاء تقريباً هم الضحايا، الذين عندهم أسباب مُلحَّة ليسعوا إلى المساعدة والمواساة. وإلى المدى الذي ينفتح فيه الإعلامي لقصصهم، سيقومُ هو نفسه بتشرّب ألمهم وغضبهم. كُنْ

حريصاً على أن لا تتذمر من هذا الألم الذي تشربته، بخاصة مع المصادر. ولكن لاحظ أنك قد تصبح حزيناً في لحظة ما من استقصائك، عادة قبل أن تكون جاهزاً لكتابة القصة التي ستساعدك على تفريغ مشاعرك. كريس دو ستووب Chris de Stoop الإعلامي البلجيكي الذي قضى عاماً كاملاً متخفياً في نوادي الجنس في أوروبا الشمالية ليقوم باستقصاء رائع للعبودية الجنسية، أخبرنا أنه، قرب نهاية ذلك العام، مرَّ ببضعة أسابيع عانى فيها من الاكتئاب، ولم يخرج خلالها من منزله أبداً.

تتمثّل إحدى طرق التعامل مع هذا الخلل بالعمل مع فريق يمكن لأعضائه أن يوفروا منظوراً مختلفا وتوازناً لبعضهم بعضاً.

٣- **متلازمة الرجُل المكسورة** The Broken Leg Syndrome يُصبح الإعلامي الذي يقوم باستقصاء طويل الأمد حسَّاساً بشكل غير مألوف للأشياء التي تُحفِّزُ أو تُثيرُ أو تُكْربُ مصادر القصة، ويبدأ بالتقاطها كما يلتقط الورق المُصَمَّغُ الذبابَ. وإحدى علامات ذلكَ أن الإعلامي يبدأ برؤية إشارات لأبعاد القصة في الأخبار التي يسمعها، لم يلحظها من قبل. وعلامة أخرى هي أن سَمَعَ الإعلامي سيتغير: سيبدأ بالتقاط محادثات في غرف تنطلق فيها كلمات مفتاحيّة معينة. (نعم، حصل هذا لنا، وسوف يحصل لك.)

وهذا إحساس مثير غير اعتيادي، يمكن أن يزيدَ من طاقتك، ولكنه مُقلِقٌ أيضاً. إن لم تكن حريصاً، يمكن لهذه الحساسية الجديدة أن تعميك عن العالم الموجود خارج قصّتك، فتخسر حسّك تجاه ما هو عادي، وبأن المجتمع يعمل عادة بشكل حسن لمعظم الوقت، لأنك اعتدت على التعامل مع ناحية من الحياة أصابها خلل. إن شعرت أن هذا يحصل لكَ، تأكد من أن تَصرِفَ بعض الوقت في التفكير بأشياء أخرى غير قصّتك.

٤. الإحساس بالضعف

قبل بضعة أعوام، وسطَ استقصاء استمر لخمسة أعوام، أدركنا أن المصادرَ التي أحببناها، المحترمة جداً، الناس الساحرين، حدث وأن كانوا مذنبين بجرائم، وكان واجبنا أن نثبت ذلك. كانوا أيضاً أفراداً ذوي نفوذ، ما جعل قول الحقيقة أمراً مُرعباً. في مثل هذه الأوضاع، يمرض بعض الإعلاميين جسدياً. وتميل هذه الأزمات إلى أن تَضْربَ في اللحظة التي تكون تسأل فيها نفسك، كما يفعل كل إعلامي شريف، إن كان لديك كل حقيقة تحتاج إليها لإثبات قضيتك، وإن لم تكن فقدت جزئية مهمةً. فمن جهة، أنت رأيت وسمعت ما يكفي ليجعلك مريضاً؛ ومن جهة أخرى، لا يزال جزء منك يريد أن يؤمن بأن الأمر ليس كذلك، ما يقودك للتفكير بأنك لن تحصل أبدا على المعلومات الكافيةً.

تذكَّر هذا: إن لم تنشُرْ، فأنت في وضع أسوأ من وضعك إن نشرتَ. ابْقَ ضمن حدود ما

عثرت عليه، ولكن إظهِرْ احتراماً لعملك، وأخرجه للعلن.

٥- إجعل المشاعر موضوعيَّة.

يوجد أسلوب بسيط للتعامل مع هذه الأنواع من ردود الفعل العاطفية: أكتب عواطفك في مجرى التحقيق. مثلا: أكتب ما تشعُرُ به في لحظة ما. وما قادَ إلى هذا الشعور. مع من كنت تتحدث؟ ماذا قالوا؟ ما هي الأفكار التي خطرت على بالك. بكتابة مشاعرك، تحوِّلُها إلى مادة يمكن أن تعالجها بطريقة موضوعيَّة. وأن تتحقق منها مثلها مثل غيرها. إستخدمها لتعرِّفَ أنماطاً معينة من تفاعُلِكَ مع المصادر، وبالخصوص نقاط الخطر في استقصائك. فالقلق أو الخوف يميلان إلى البروز في لحظات محددة. ويمكن لهذه العواطف أن تشير إلى حاجة لبحث جديد أو، يمكنها أن تشير إلى أنك تشعر بالعزلة، دون دفاعات. وأي ما كان الحال، يمكن أن تتصرف - بالسعي إلى حلفاء، أو بتأكيد معلوماتك.

ح. لا تنسَ الغَد

كثيراً جداً ما ينسى الصحفيون مصادرهم بعد النشر. لا تكن واحداً منهم. فإذا قطعت اتصالك بهم حالما نُشِرَتْ القصة، فسوف ينظر المصدر إليك كخائن. إذا واظبت على الاتصال، ستبدأ ببناء شبكة مصادر لمشاريع استقصاء مُستقبليَّة. إن لم تكن ذكيّاً بما فيه الكفاية لتقوم بهذا العمل الأخير، فإنك في الأغلب لست ذكياً بما فيه الكفاية لتكون صحافيا استقصائيا.

شيء أخير: كثيراً ما يقول تلامذتُنا من الصحفيين، "ألا نخلق أعداءً بالاستقصاء؟" وأقول لهم "بالتأكيد". ولكن إن قمت بالعمل بشكل صحيح، وإن تعاملت مع الناس بطريقة تحترم حقوقهم وحقوقك، فسوف يحترمك حتى أعداؤك. وما هو أكثر أهمية أنك ستخلق أصدقاءَ أكثر من الأعداء، وسيكون الأصدقاءُ، ربما، من نوعيَّة أرقى.



دليل أريج

الفصل الخامس:

التنظيم:

كيف تُنظم نفسك لتنجح

التنظيم: كيف تُنظم نفسك لتنجح

مارك هنتر وفلمنغ سفيث

Mark Hunter and Flemming Svith

العملية إلى الآن:

١- نكتشفُ موضوعاً.

٢- نطرح فرضيَّةً لنستقصيها.

٣- نسعى إلى الحصول على معلومات مصدر علني لنتحقق من الفرضيَّة.

٤- نسعى إلى مصادر بشرية.

٥- ونحن نجمع المعلومات، نُنظمها – كي يكون سهلاً تفحُّصَها، تأليفها في قصة، وتدقيقها.

يتطور البحث الاستقصائي إلى مادةً أكثر بكثير مما تنتجه تغطية الأخبار التقليدية. ويجب أن تكون هذه المادة مُنظمة بفاعلية على أسس مستمرة. وهذا العمل التنظيمي هو جزءٌ من عملية منهجية للكتابة والنشر.

فأنتَ لا تقوم بالبحث. ثمَّ تُنظِّم. ثمَّ تكتب.

بدلاً من ذلك. أنت تُنظِّمُ وأنت تبحثُ. وهذا التنظيم يُجَهِّزُ الأرضية لعمليَّة الكتابة.

إن لم تأخذ الوقت الكافي لتنظِّم، سوف تحتاج، في النهاية، إلى ضِعف الوقت لتكمل المشروع (وذلك حدٌّ أدنى). وسوف يكون عملك صعباً عند كتابة القصة وشرحها والدفاع عنها. إلى جانب ذلك، لن تحظى بالمتعة، لأنك ستكون قلقاً طوال الوقت وغير مُنظم ومتوتراً ومحبطاً. ولذا، إليك بعض الخطوات السهلة التي يمكن أن تجعلها جزءا من روتين خاص بك.

١- نظِّم وثائقك

كان على زميل، ذات مرة، أن يتخلى عن استقصاء لأنه نسي حقيبة يد تحتوي على ملفات أساس في سيارة أجرة. وصرفت زميلة أخرى عاماً كاملاً وهي تبحث عن دليل يثبت أن من استهدفتهم في عملها قاموا بدراسة معينة، وبعد ذلك أدركت أنها تملك ذلك الدليل في ملفاتها.

يستطيع التنظيم مساعدتك على تجنُّبِ هذه المشاكل. والتنظيم الاستقصائي هو التأكد من:

- أنك تعرف أي نوع من التوثيق الذي لديك، والمعلومات التي تحتوي عليها ("الأصول"assets).

- أنك تعرف مكان أصل asset معين، وتستطيع أن تجده فوراً (أي خلال ٣٠ ثانية).

- أنك تستطيع إقامة صلات بين حقائق مشتركة موجودة بين أصولك.

إن كنت تعرف ما تملك وتستطيع الوصول إليه بسرعة، فسوف لن ينهار استقصاؤك. وبالقدر نفسه من الأهمية، تستطيع الوصول إلى المعلومات نفسها لمشاريع مستقبليَّة؛ والأمرُ هنا مثلُ بناء رأسمال. فإذا كنت لا تستطيع ذلك، فسيكون عملك ومهنتك أفقر. إذاً من فضلك لا تظن أن هذا جزء ثانوي من العمل لا تحتاج أن تصرف وقتك كله عليه. ولكن يجب عليك أن تصرف وقتاً كافياً كي تحافظ على تحكمك بمعلوماتك وبالتوثيق في كل خطوة من خطوات التحقيق.

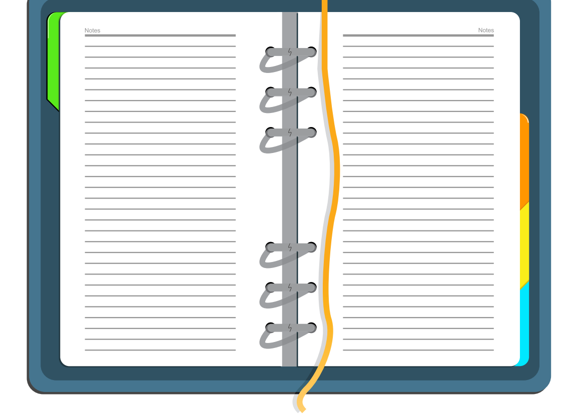
ولهذه العملية جزءان

الجزء الواضح هو أنك تبني قاعدة معلومات - أو أرشيفاً تستطيع البحث فيه بسهولة وانتظام، أو مكتبة لوثائقك.

الجزء الأقلُّ وضوحاً هو أنك وخلال بنائك لقاعدة معلوماتك، تكون في طور بناء قصتَكَ وثِقَتَكَ بها.

I. بناء قاعدة معلومات

يمكن أن تبنى قاعدة المعلومات أو الأرشيف من ملفات ورقية، أو ملفات إلكترونية، أو كليهما. ورغم ذلك، لا معنى لبنائها إن لم تستخدمها، لذا يجب أن يكون البناء قوياً وسريعاً. ونقترح العملية البسيطة الفعّالة الأساس التالية.



١- إجمع الوثائق. إن بطاقة تعريف العمل وثيقة. وكذلك أي تقرير رسمي أو قصاصة خبر أو محاضر مقابلة أو مسودات، إلخ.

٢-راجع الوثيقة كي تُقيّمَ محتوياتها. ضَعْ خطاً تحت، أو إبرز المقاطع التي تبدو ذات أهمية خاصة، وضَعْ علامة واضحة على المقطع. وإذا بدت لك وثيقة ورقيّة ذات أهمية خاصة، إنسخ منها نسخة واحدة، ورقية أو إلكترونية، على الأقل.

٣- إعْطِ كل وثيقة عنواناً أو رقماً، هذا في حال لم تكن تحمل واحداً بالفعل. وأي عنوان سيكون مفيداً طالما كان يُذكرك بما تحتويه الوثيقة. (وهذا الأمرُ مهمٌ بخاصة في صفحات الإنترنت! إن حفظ صفحة إنترنت تحت عنوانها الأصلي يكون أحياناً الشيء نفسه كإخفائها في مكان واضح على القرص الصلب (hard drive) . تأكد من أنك إما أن تُغيِّر العنوان لتخزنه وأنت تُسجل عنوان الإنترنت URL الأصلي، في مكان آخر، أو دوّن المحتوى الذي أثار اهتمامك في وثيقة أخرى بالإشارة إلى عنوانه. أما بالنسبة للمقابلات، فأقترح عليك أن تستخدم اسم الشخص الذي قابلته. وإذا كان يتطلب إبقاؤه سريًّا إعطه اسماً رمزيًّا.

٤. ضع الوثائق في ملفاتها.

ضعها وفق ترتيب يبدو لكَ طبيعيا ومتناسقاً. من الأفَضِّل وضع الوثائق في ملفات حسب الحروف الأبجدية، سواء في خزانة ملفات عادية، أو في كمبيوتر. ثم فتح ملفات وفق الموضوع: سأفتح ملفا لموضوع بوثيقة واحدة، ثم أوسعه وأجزِّىء الموضوع إلى عناوين فرعية حين تأتي وثائق جديدة. وضمن ملفات الموضوع الواحد، أُرَتِّب الوثائق زمنياً، بحيث يكون الأجدد منها في البداية.

٥- راجع الوثائق دوريًّاً.

يكفي أن تتم المراجعة مرة كل شهر. تأكد من أن الوثائق المختلفة وُضعت في الملفات الصحيحة. إذا بدت لكَ وثيقةٌ غير مألوفةٍ، خُذْ لحظةً من وقتك واقرأها. وغرضُ هذه الممارسة ليس تجديد ملفاتك فحسب، بل لتتأكد من أنك تعرف ما تحتويه.

٦- نَقِّلْ الوثائق بين الملفات.

إذا قفز حدثٌ معينٌ، أو سلسلة أحداث، من ملف ليقترح قصة منفصلة، إنسخ الوثائق ذات الصلة من جميع الملفات ذات الصلة وابدأ ملفّاً جديداً. تأكد من أن تترك نسخاً من جميع الوثائق في ملفاتها السابقة. وهذا تكنيك يستخدمه مكتب التحقيقات الفدرالي الأمريكي FBI. كُلَّما أشارت وثيقة إلى أخرى (على سبيل المثال، إذا كانتا تحتويان على اسم الشخص نفسه)، تُوضع نسخٌ من كل وثيقة في كلا الملفين. وسبب هذا التكنيك هو أنه يزيد من فرصِكَ في القيام بملاحظة روابط أو تداخلات بين أجزاء مختلفة من المعلومات.

٧- إذا كانت الوثائق حسَّاسة، جهِّز نسخاً احتياطية منها واحتفظ بها في مكان ليس بيتكَ أو مكتبك، يُمكنك، أنت أو زميلك الذي يعمل معك، الوصول إليه. لا تحتفظ بمعلومات حسَّاسة، كأسماء مصادر سريَّة، في كمبيوترك لأن ذلك لا يمكن اعتباره مكانا آمنا.

II. تنظيم المعلومات: عَمَلُ ملفٍّ أساس

لن تنفعك أصولك Your Assets إلا إذا أضافت شيئاً إلى قصتك. صحيح أن فرضيَّاتك ستساعد على تذكيرك بجوهر قصتك وإرشاد بحثك تجاهها. لكن لكي تفعل ذلك بطريقة أفضل، ستحتاج إلى أداةٍ أساس أخرى اسمها "الملف الأساس".

في الجوهر، ليس الملف الأساس إلا «مخزن معلومات متعدد الأقسام» Data Department Store - وهو مكان تُلقي فيه كل الأصول التي جمعتها. الأساس هنا هو أن تحتفظَ بجميع المعلومات التي قد تستخدمها في قصة واحدة وبشكل واحد.

أ. أسس وقواعد بناء الملف الأساس

١- افتح ملف معالجة نصوص

Word Document جديدا أو ملف قاعدة معلومات Data Base في كمبيوترك.
فأي واحد منهما ينفع؛ إستخدم الملف الذي تشعر أنك مرتاح له أكثر من غيره.

٢- أنقل معلوماتك إلى هذا الملف.

أقصد بمعلومات «Data» كل الحقائق التي تحتاج إليها لتكتب القصة: مصادرك، مسودات مقابلات، مقتطفات من مقابلات، ملاحظات، إلخ. وأقترح أن تضع المصادر أولاً، كي تستطيع العثور عليها بسهولة.

إذا لم تكن المعلومات محفوظة بشكل إلكتروني (مقتطفات من وثائق أونلاين Online أو صفحات إنترنت أو رسوم توضيحية مُصوّرة Scanned Illustrations، إلخ) إنسخها مباشرة وضعها في الملف.

إذا كانت المعلومات بشكل وثائق ورقيّة، صوّر الوثيقة إلكترونيّاً، إحفظها في موقع يسهُل الوصول إليه في القرص الصلب hard disk، وأدخل وصلة تشعبيَّة Hyperlink في موقع الوثيقة من ملفك الأساس. وطبعاً، قد تُدخل وصلات تشعبيَّة في صفحات الإنترنت أو أي مصادر أونلاين أخرى.

لطفاً، لا تَكُنْ كسولاً في نسخ وتدوين مقاطع أساس من المقابلات. فكل ساعة تصرفها على هذا الجزء من جمع وتدوين المعلومات ستوفر عليك عدة ساعات لاحقاً.

تأكد من أن كل قطعةٍ من المعلومات تضعها في الملف تحتوي على معلومات عن مصدرها. ضَعْ جميع المعلومات الببليوغرافية عن المصادر التي نَشَرَتْ المواد.

تأكد أيضاً من أن توثِّق اتصالاتك مع المصادر. ويجب أن يحتوي الملف الأساس على معلومات مثل: متى تم اتصالك الأول بالمصدر، ماذا قال لكَ، متى قدمتَ وعداً لمصدر، وهكذا. ويمكن لهذه المعلومات أن تكون ذات أهمية حاسمة إذا تحدّى أحدٌ نتائج استقصائكَ، لأنها تُظهر أنك قمت بجهد بحثي جاد.

أُكَرِّر: لا تضع معلومات في الملف الأساس قد تُعَرِّضُ أمن مصدركَ للخطر. إفترض أن أي شيء في كمبيوترك يمكن أن يصل إليه شخصٌ ما.

٣- عندما تقوم بإدخال المعلومات في الملف الأساس،

إن كان له موقع محدد، (كحافظة ملفات) لاحظ أين يمكن أن تجدها. وسيوفر لك ذلك مساعدة قيمة لاحقا. وإذا كانت لديك أسئلة حول وثيقة معينة فسوف تتمكن من إيجادها بسهولة. ولا يقل عن ذلك أهمية أنه إذا أراد محاموك أن يطلعوا على البرهان المتوفر لديك قبل نشر القصة، فسوف تكون قادرا على تزويدهم بالوثيقة خلال ثوان. (هذه تجربة طيبة وودودة يجب ألا يحرم أي محامٍ منها، خاصة المحامي الذي قد يدافع عنك في حالة اتخاذ إجراء قانوني ضدك).

٤- حين تنقل المعلومات، ضع لها نظاماً أوليّاً.

إن أبسط وأفضل نظام من وجهة نظر تنظيمية هو النظام الزمني. ضع أحداثك وفق الترتيب أو التسلسل الزمني الذي حدثت فيه. أدخِلْ صوراً أو معلومات ببليوغرافية عن اللاعبين في القصة في اللحظة التي يظهرون فيها لأول مرة.

٥- أثناء بناء الملف الأساس، سوف تتضح الصلات بين نقاط معلوماتية مختلفة، وبالمثل بين أحداث وحقائق لم تكن تعني لك أشياء واضحةً قبل ذلك، وكذلك حال جُمل أو فقرات تفسيرية كاملة لمادتك. لاحظ ذلك في الملف الأساس. عَرِّفه بكلمة رمزية (على سبيل المثال، قد تستخدم كلمة «لاحظ» NOTE، بحروف كبيرة، أو TN أي «to note»).

٦- تأكد دائماً من أن تُدخل التواريخ مستخدما الترتيب نفسه في كل مرة (اليوم، الشهر، السنة، على سبيل المثال). وتأكد أيضاً من أن تُدخل الأسماء بالطريقة نفسها كل مرة. وإلا لن تكون قادراً على البحث في الملف الأساس بشكل ملائم.

ب. تقسيم الملف الأساس

قام فلمنغ سفيث Flimming Svith، المؤسس المُشارك سابقاً في المعهد الدانماركي للتغطية المدعومة بالكمبيوتر Danish Institute for Computer-Assisted Reporting (DICAR) الذي لم يعد موجودا الآن للأسف، بتطوير طريقة أكثر تفصيلاً لهذا النظام المذكور أعلاه. فبدلاً من استخدام ملف معالجة نصوص Word Document File لجمع وتتبع المعلومات، يستخدم فلمنغ برنامج قاعدة معلومات المصدر العلني Open-Source Spreadsheet Software لإيجاد فهرست وملف أساس لأبعاد مختلفة لاستقصائه.

والمنهج بسيط: يوجد قاعدة معلومات للاستقصاء. بعد ذلك، يوجد صفحات

منفصلة بالعناوين التالية:

١- قائمة وثائق. يُفضِّل فلمنغ استخدام متوالية زمنية لوثائقه. وفي أي حال، تراه يُصِرُّ: «إعطِ كل وثيقة رقماً واحتفظ بالوثائق الورقية بترتيب رقمي». وإذا وُجِدت وثائق إلكترونية في هذه القائمة، يُدخل وصلة تشعبيّة Hyperlink في موقع الأونلاين أو القرص الصلب. ويضع أعمدة للمعلومات المتعلقة بالوثائق كما يلي:

التاريخ	كانون أول ديسمبر 2005
من	الأسم الأخير / الاسم الأول
الى	الأسم الأخير / الاسم الأول
الموضوع المحتوى كلمة مفتاحية	كلمة مفتاح كلمة مفتاح كلمة مفتاح
الشكل	بريد / رسالة / هاتف

قائمة المصادر. هنا يتتبع فلمنغ الأشخاص الذين يتصل بهم. تبدو قاعدة المعلومات مثل هذا (كلها متناسقة إلا الاسم فقد تغيّر!):

اللقب	رئيس تحرير
الشخص	فلمنغ سفث
المنظمة	أولوف بالمزأيل 11
الرمز البريدي	8200
الدولة	الدانمارك
تليفون المنظمة	+4589440493
تليفون محمول	+4523827217

٣. تعطي قاعدة المعلومات الزمنية متوالية الأحـداث التي تظهر في الاستـقصاء، بما في ذلك جميع الاتصالات مع المصادر. وتبدو كالتالي:

التاريخ	2 كانون ثاني / يناير 2003
المصدر	الاسم الأخير / الأسم الأول
المنظمة	الاسم
الحدث	مقابلة مع / لقاء بين
المحتوى	الكلمة المفتاحية: الفساد
المصدر	المصدر

٤. بعد ذلك سِجِلّ اتصالاتٍ يبدو كما يلي:

التاريخ	2 كانون ثاني / يناير 2003
الوقت	AM 13:22
الباحث	الاسم
المصدر	الاسم الأخير / الأسم الأول
المنظمة	الاسم
اتصل	نعم
الجواب	المقابلة تمت
المحتوى	الفساد

كما ترى، يُفَصِّلُ فلمنغ أنواع المعلومات المختلفة التي يضعها إعلاميون آخرون (مثلي) في ملف واحد. وإحدى مزايا أسلوبه هو أنه يضيف أية زيادة في المعلومات إلى النظام: تنتهي المعلومات بالذهاب إلى أكثر من مكان واحد. (يكمن عيبه في أن فُرص الوقوع في أخطاء تزداد). ومزية ثانية أخرى لأسلوبه هي أن تطبيقات قاعدة المعلومات تسمح لك بالبحث في الملفات بسرعة لتعثر على وتجمع الإشارات عن مصدر معين أو عنصر في الاستقصاء. وأنت لا تستطيع فعل هذا الأمر في مُعالج نصوص Word Document File.

ونقترح أن تستخدم أي برنامج إلكتروني ترتاح معه لحين تشعر أنه أصبح غير كافٍ لحاجاتك. في تلك الأثناء، إذا كانت مُعالجاتُ النصوص أدواتِك المُفضَّلة، استخدمها. وإذا كنت تحسن العمل في قواعد المعلومات، استخدمها. ولكن استخدم شيئاً يسمح لقوة الكمبيوتر الشخصي Personal Computer أن تدعمك.

ج. لماذا عليك الاهتمام؟ ومتى؟

لستَ بحاجةٍ، طبعاً، إلى أن تذهب إلى هذه الحدود في كل قصة. ولكنك إن لم تفتح ملفاً أساساً، بشكل من الأشكال، لاستقصاء يشمل، لِنَقُلْ، أكثر من دزينة وثائق أو مصادر، ستندم لاحقاً. والتمييز الأساس بين الاستقصاء والتغطية اليومية هو أن الاستقصاء يشمل معلومات واتصالات، وأنواعاً ونوعيّاتٍ مختلفةً من المعلومات -- أكثر من تغطية الأخبار العادية. وسوف تساعدك الأنظمة المُقدَّمة هنا في التعامل مع ذلك الوضع. وتستطيع، طبعاً، تحسينَ هذه الأنظمة أو تبديلها، أو أن تجد نظاماً أفضل تضعه بنفسك.

ولكن لا تظن أنك إن قفزت عن هذه المهمة ستكون أسرع. إذا قفزت، فإنك إما أن تُبطئ أو تنهار. وأوضح مزايا استخدام كمبيوترك لتضع أحد الأنظمة الموصوفة أعلاه هي:

حين يأتي وقت الكتابة، ستساعدك معلوماتك القريبة من يدك والمنظمة على تجنُّب نسيان كل شيء إلا الشيء الأخير الذي عثرت عليه.

حين يأتي وقت التدقيق في الوثائق، سوف يوفر عليك احتفاظُكَ بمعلوماتك ومصادرك في مكان واحد قدرا كبيرا من الوقت والكَرَب.

باختصار، سوف تكتبُ بشكلٍ أسرعَ وأفضلَ.

III. إقامة صلات بين الملفات

بِجَعْلِكَ وثائِقَكَ أسهل على الجمع والتتبع والمراجعة، تجعلُ من السهل على عقلك إقامة صلات بين المعلومات. وسوف تلاحظ بالتأكيد أن المعلومات تثير أسئلة لم تتم الإجابة عنها. إذاً يُخبركَ أرشيفك بنوع المعلومات التي يحتاجها ليكتمل. وسوف تُصبح أيضاً أكثَرَ حساسية للمعلومات الجديدة التي لها علاقة بفرضيَّتك، ولذا ستصل إلى اكتشافات غير متوقعة.

مثال على عملية إقامة صلات جديدة:

الخطوة الأولى (البدء):

لاحظنا ونحن نعمل في الاستقصاء عن الجبهة الوطنية (الحزب اليميني المتطرف الفرنسي) أنهم كثيراً ما تعرضوا لمحاكمات لأفعال مختلفة، وافترضنا أن النشاط القضائي كان جزءاً مهماً لإستراتيجيتهم. جمعنا وثائق عن مشاكلهم القضائية، بما في ذلك قصاصات الأخبار وصُحف المحاكم.

الخطوة الثانية (التنويع):

عندما ازداد عدد الأصول، قسّمناها على أساس النوع. برزت ملفات جديدة لقضايا تشمل اتهامات بالتزوير الانتخابي، وجريمة عنف انخرط فيها أعضاء من الجبهة مشتبه بهم، وهكذا.

الخطوة الثالثة (التركيز):

لأن بعض المتهمين في قضايا الهجوم كانوا حليقي الرؤوس - أي، نازيّين جُدُداً بجماجم حليقة - افترضنا أنه رغم الإنكارات الرسميَّة، احتفظت الجبهة الوطنية بنوع من الاتصال بحركة حليقي الرؤوس. فتحنا ملفاً عن الرؤوس الحليقة أيضاً. وفي النهاية، لاحظنا تقريراً يتعلق بمحاكمة اثنين من حليقي الرؤوس ومُرَشَّح لمجلس بلدي من الجبهة الوطنية كانوا قد هاجَموا رجلاً

طويل الشعر بمضرب بيسبول، تاركين ضحيَّتَهُم بإعاقة دائمة. اتصلنا بمحامي الضحية.

الخطوة الرابعة (رؤية الصِّلات): عرض المحامي مدخلاً إلى المعلومات، قائلاً إن عدداً آخر من المهاجمين كانوا منخرطين في الجريمة، ولكن لم يتم التَّعَرُّف عليهم أبداً. وبدا أن هؤلاء المهاجمين من الوثنيين (في هذه القضية المحددة، كانوا من عُبّاد آلهة النرويج القدماء). كنا نحتفظ بملف آخر عن منظمة الوثنيين السريَّة التابعة للجبهة الوطنية. أضفنا له الآن وثائق من ملف حليقي الرؤوس. كانت فرضيَّة عملِنا، القائمة على معلومات مصادرنا داخل الجبهة الوطنية، أن الوثنيين كانوا عنصر الارتباط بحليقي الرؤوس.

الخطوة الخامسة (المراجعة وإعادة التجميع) جمعنا المادة من ملفات متنوِّعة، باحثين عن صلات بين المنظمة الوثنية السرية، وحليقي الرؤوس، وأعمال العنف التي شملت أعضاء الجبهة الوطنية. تضمَّنت المعلومات التي بين أيدينا مقابلات مع مسؤولين من الجبهة الوطنية حول حليقي الرؤوس، وقصاصات إخبارية من منشورات الجبهة الوطنية، ومقابلات مع وثنيين من الجبهة الوطنية، وأصولا أخرى. أصبح هذا الملف أساساً لفصلٍ في الكتاب الذي فصَّلَ الهجوم الموصوف أعلاه، واستخدمناه لتعرية الصلات بين منظمة الوثنيين السريَّة، وحليقي الرؤوس، والجبهة الوطنية.

مراجعة: مبادئ مفتاحيَّة وأدوات العملية التنظيمية

نَظِّم الوثائق، والقصاصات الإخبارية، إلخ، بطريقة تسمحُ بوصولٍ سهلٍ لنقاطٍ مُحددةٍ.

سَمِّ المعلومات، وراجعها، وضعها في ملف، حالما تصل.

إفتح ملفاً أساساً يجمع أصولاً ومرجعيات في متوالية واحدة.

ستخدم العملية التنظيمية لتتعرَّف على ثغرات في البحث وفي مواضيع دراسات أخرى.

قارن المعلومات الموجودة في ملفات محددة بمعلومات من ملفات أخرى، وذلك بالمراجعة وإعادة التجميع.

كتابة الاستقصاءات

● مارك هنتر
Mark Hunter

العملية إلى الآن:

١- نكتشفُ موضوعاً.

٢- نطرح فرضيَّةً لنستقصيها.

٣- نسعى إلى الحصول على معلومات من مصادر علنية لنتحقق من الفرضيَّة.

٤- نسعى إلى مصادر بشرية.

٥- أثناء جمع المعلومات، نُنظمها – كي يكون سهلاً تفحُّصَها، وتأليفها في قصة، وتدقيقها.

٦- نضع المعلومات بترتيب سرديٍّ ونؤلِّفُ القصَّةَ.

لا تُشبهُ كتابةُ قصةٍ استقصائيةٍ كتابةَ قصةٍ إخبارية. ناقشنا إلى الآن كيف يلعب التنظيم دوراً حاسماً، وكيف يُحوّل البحثَ إلى جزءٍ من عملية الكتابة. وعندما يحين وقت تأليف (كتابة القصة النهائية)، يصبح المطلوب مهاراتٌ مختلفة وقواعدُ مختلفةٌ لا تشملها كتابة الأخبار، أي استخدام قواعد السرد بطرق أكثر تعقيداً. فعلى الإعلامي أن يقوم، في الوقت نفسه، باستخدام عناصر الكتابة القصصيّة وتجنُّب كتابة قصة خيالية. وأخيراً، تدخلُ حالتك العاطفية.

أ. عناصر الأسلوب

١. لا تكن مُملاً

دُرِّبَ مُعظَمُ الإعلاميين ليعتقدواَ أن وظيفتهم هي تقديم الحقائق والسماح للمتلقي بالوصول إلى استنتاجات. ولذا، يجب أن لا تكون الحقائق مُلَوَّنَةً بصوت الإعلامي أو مشاعره، أو أية طريقة أخرى لن تبدو "جادَّةً."

بطبيعة الحال، سيكون لمثل هذا الأسلوب وقع كبير إذا ما تم استخدامه بطريقة ملائمة وواعية. إلا أن ذلك لا يعني أن التحقيق الاستقصائي يجب أن يخلو من التعبير عن حواس وشخصيات وقيم الصحفيين المتقصين. ولكي يستوعب القراء والمستمعون والمشاهدون المعنى كاملا ويعيشوا واقع ما يحدث فيجب أن يطلقوا العنان لحواسهم وأن يشعروا، بطرق مختلفة، أثر ما يقرأونه ويسمعونه ويرونه، وإلا فإنهم لن يفهموا حقيقة ما يحدث. وسوف يخفق الإعلامي إذا لم يتح لهم هذه الفرصة. لكن احذر من المبالغة.

لكن ذلك يجب ألا يتعارض مع النهج الموضوعي للصحافي الاستقصائي: أي التقيد بالحياد والأمانة حيال جميع الحقائق المتعلقة بوضع معين. غير أن مثل هذا الحياد لا يعني ولا يمكن أن يعني عدم المبالاة بالعواقب المترتبة على حقائق معينة، وهو ما يرغب كثير من السياسيين أن يثبتوه عندما يتهمون الصحافيين بالافتقار إلى الموضوعية. إن غرض التغطية الاستقصائية الجوهري هو الإصلاح، والرغبة في إصلاح العالم مُلازمة دائماً للفردية والذاتية.

إن الحقائقَ الموضوعيةَ - الحقائق التي لا يُمكن الشك في وجودها بشكل جاد، بغض النظر عمّن يُلاحظُها - تبقى الوسيلة لتنفيذ العملية وليس الغاية. فالقراء والمستمعون والمشاهِدون لا يحتاجون إلى المعلومات فحسب، بل يطلبون المعنى أيضاً، وعلى شخص ما أن يوجد ذلك المعنى. وجزءٌ من المعنى يأتي من أهمية

القضية التي تثيرها القصة الاستقصائية. باختصارٍ، اسْرُدْ القصة بطريقة تجذب الانتباه مدعومة بالحقائق.

يَقْلَقُ معظمُ الكُتَّاب كثيراً على الأسلوب. في اعتقادي أنا أن الأسلوبَ الأصيلَ هو أسلوبٌ شخصيٌّ يعبِّر عن الشخصيَّة وسوف يبرز بشكل طبيعي مع الزمن. لكن أسلوبك يجب أن لا يتغلب على المادة؛ وإن فَعَلَ، فستبدو المادة غير مهمة.

وتذكَّر أن الأسلوبِ البسيط يمكن أن يُكتب بطريقة تجعله أكثر تعقيدا. أما الأسلوب المُعقَّد فمن الصعب أن يُبَسَّط.

فلا تترك أدواتك وأساليبك الشخصية تُقَيِّدُكَ. إن الإيقاعَ المبسط مفتاحُ الكتابة الاستقصائية، وسوف يُبْطِئُ الأسلوبُ المعقَّدُ ذلكَ الإيقاعَ.

٢. خَطَرُ الشَّكِّ

يُعَامَلُ معظمُ الإعلاميين كتوابع أو كمستضعفين من قبل مصادرهم من أصحاب الثروة أو النفوذ. وهذا هو أحد الأسباب التي تجعل بعضَ الإعلاميين يفقدون الثقة بأنفسهم أو بعملهم. وكثير من الناس يصبحون صحافيين لمجرد أن يقابلوا أشخاصا يعتقدون أنهم أكثر إثارة ونشاطاً وأهمية منهم.

مثل هذه المواقف كثيرة الشيوع وتحكم على الاستقصاء بالفشل التام. ففي كل عام، أجِدُ من بين الصحفيين الذين أدربهم عديدين يجدون مواضيع جيدة جداً، ويقومون ببحث رائع، وبعد ذلك يشككون بصحة ما وجدوه. يكتشفون حقيقة غير سارَّة ولكنهم يسمحون لمصدرٍ متنفذ بإقناعهم وبعد كل ما بذلوه من مجهود، أن ما وجدوه ليس هو الحقيقةً. وبشكل نمطي، يتحدثُ ذلك المصدر المتمكن بلهجة تمزج الحكمة بالتحذير، فيخضَعُ الإعلامي له دون وعي.

على سبيل المثال، استمع إلى هذا الطبيب المشهور وهو يتكلم في نهاية استقصاء عن حالات الحمل التي أنهيت طبيًّا: «أحياناً يمكن للشك أن يقودَ زوجين إلى اختيارات مقبولة عند بعض الناس، وأقل قبولاً عند آخرين.» يبدو الطبيب لطيفاً جداً، ولكنه يُنكر الحقائق التي اكتشفها الإعلاميون والتي تقول إن الأطباء، وليس الأزواج، هم الذين كانوا يقررون مسائل الحياة والموت تلك. وبإعطائِهِ الكلمة الأخيرة، قام الإعلاميون بتدمير عملهم. فانتبه إلى لحظات الشك الذاتي هذه.

وتنويعٌ آخر على هذا المثال، هو الإعلامي الذي يشنُّ هجوماً عنيفا على من

يستهدفه في استقصائه، ثم يقول في السطور الأخيرة لتحقيقه الاستقصائي شيئاً مثل، "إنه، رغم كل ذلك، ليس سيئا لهذه الدرجة". وهذا تعبير عن خوف الإعلامي غير الواعي ورغبته الشديدة في انتزاع موقف مؤيد لما قام به. إذا وجدت الحقيقة، أسردها. قاوم رغبتك في الحصول على مديح مصادر تفعل ذلك لإيهامك بأنك عالي الذكاء مع أنهم يعتقدون في قرارة أنفسهم بأنك لست على هذه الدرجة من الذكاء.

٣. كن قاسياً، وليس مقززاً

يمكن للتوتر الذي يخلقه إجراء استقصاء وإنهاؤه، أن يقود إلى الإرهاق والإحباط والغضب. وكل هذه تقود إلى خطرِ أن يتبنّى الإعلامي لهجةً عدوانيةً مُهينة كآلية دفاع عن النفس، ولكنها تشير إلى ضعف عند المشاهد والمُستهدف بالاستقصاء، وإلى سوء نيّة إذا رُفعت على الإعلامي قضيّة تشويه سمعة في محكمة.

لا تلوِّث الاتهامات الجادة بإهانات تافهة توجهها هنا أو هناك. وإلا سوف تدفعُ ثمنا غالياً لذلك. تأكدْ من أن تُعيدَ قراءةَ مسودّاتِك باحثاً عن الإساءات غير المُبرَّرة، واشطبها.

ب. دعم أسلوبك: استخدام النماذج المثالية

قام العباقرة تاريخياً، بمواجهةِ وحلِّ ما يقرب من كل مشاكل فن السرد. وحتى العباقرة تبنّوا تكنيكات ومصادر اتبعها آخرون. (استعار شيكسبير، على سبيل المثال، حبكات من كُتّاب مسرح ومؤرخين آخرين). وتستطيع أنت فعل الشيء نفسه، سواء كنت موهوبا أم لاً. والتطلع إلى مثل هذه النماذج المثالية يجب أن يكون جزءاً من بحثك، وبنفس مستوى البحث عن معلومات.

عندما تشرعُ في مشروع مُحدَّدٍ، حَدِّدْ أسماء كتاب أو أدباء في السرد تعاملوا مع مسائل مشابهة لعملكَ في عملهم، وادرس أسلوبهم لتكتشف العناصر التي تُهمُّك. وهذا الأمر مهمٌّ خصوصا حينما تتعامل مع عمليات سرد طويلة. فبكل بساطة، لن يكون لديك الوقت حينئذٍ لتتدبر المعلومات ولتخترع أدوات السرد المطلوبة.

وعلى سبيل المثال، يشكل كشف وتعريةُ الإجـراءات القضائية مهمةً أساسية للمستقصين، لأن لهذه الإجراءات والقضايا أثر ضرر مباشر. ومُشكلةُ كيفية جعلها مثيرة مشكلة أبدية، ولم يحلها أحد بأفضل مما حلَّها الروائي

الفرنسي أونوريه دو بلزاك Honore de Balzac في عمله "أُبَّهة وبؤس البغايا" Splendors and Miseries of the Couriesans. وتتمثَّل مشكلة راهنة للمستقصين ليحلّوها بكيفية التعامل مع عدد كبير من الشخصيات، لأن الإعلامي لا يستطيعُ، مثل كاتب القَصَص، قتل شخصياتٍ تصرف الانتباه من أجل تبسيط السرد. طوَّر الروائي الإنجليزي أنطوني ترولوب Antony Trollope بُنية سردية تعتمد تسلسل المشاهد وتحل هذه المسألة، من خلال تجزوء الشخصيات إلى وحدات أصغر. وطوَّر المؤرخون الإيطاليون مثل تاسيتوس Tacitus وسوتونيوس Suetonius، على التوالي، سرد الحركة غير القَصَصي والشخصية السياسية إلى مستويات عالية. وأجرى المخرج السينمائي كنغ فيدور King Vidor تجارب متواصلة على استخدام أدوات إيقاعية في التمثيل والتصوير والمونتاج.



ومهما كان التقليد الأكثر أُلفة إليك، استخدمه. أدرس أساليب فنَّك، وليس حرفتك فقط. خُذْ ما تحتاج، وتأكد من أن تعزو لفضلِ لما تأخذ.

ج. تعريف بنية السرد: زمنيَّة أم أوديسيَّة؟

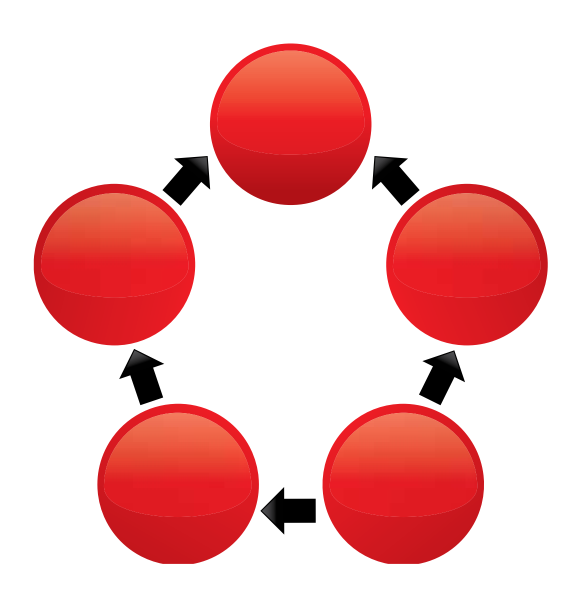
تتغلَّب الاستقصاءات على بنية (عناصر القصة الإخبارية النمطية -- حروفَ الدبليو الخمسة الشهيرة «Five Ws» - مَنْ Who ماذا What متى When أين Where ولماذا Why. ويشمل الاستقصاء هذه العناصر ولكن بشكل أعمق وأوسع. فالاستقصاء يشمل شخصياتٍ لها دوافع، وأوصاف شكلية، وتاريخ تتعدى منصب المصدر ورأيه. في الاستقصاء تقع الأحداث في مواقع لها مزايا خاصة بها وتواريخ معينة. وتُظْهِرُ لنا ماضياً بدأت القصة فيه، وحاضراً تتكشَّفُ فيه اليوم، ومستقبلاً سيكون على هذا الحال إذا استمرت الأمور على حالها. باختصار، إنه سردٌ غنيٌّ. وإذا شئتَ له أن يكون فاعلا ومؤثرا عليك أن تبنيه.

تُوجد طريقتان أساسيتان لبناء سردٍ غني:

ضمن البنية الزمنيَّة، تُرتَّبُ الأحداث حسب الزمن، وأثناءه يقومُ كلُّ فعلٍ متعاقبٍ بتبديل احتمالات الفعل الذي يتبعه، ومثال على ذلك تحقيق الزميلة لينا الجودي من سورية بالتعاون مع شبكة أريج عن اختفاء قرية قرقيسياء الأثرية شمال شرقي سورية بفعل جهل السكان وغياب الرقابة التشريعية والحكومية، وحاجة السكان إلى حجارة لبناء مساكنهم، مما أدى إلى اختفاء تل أثري كامل بين عامي ١٩٠٥ و٢٠٠٨. ومنه تنطلق لما قد يحصل لآلاف المواقع الأثرية غير المحمية في سورية.

1905 2008

في البنية البيكاريّة Picaresque تكون الأحداث مرتَّبة حسب المكان، وتنتقل الأشخاص داخل المشهد المرتبك بذلك المكان. وكل مشهد أو قسم يمكن أن يقف بذاته، لأنه يُغطي جميع العناصر الضرورية لخلق سرد صغير Mini-Narrative. خير مثال على ذلك قصص تحت إشراف شبكة أريج: الزميل علي حسون في سورية عن قرية زراعية وادعة مطلة على بحيرة قطينة تحولت إلى منطقة منكوبة بيئياً بسبب مخلفات ثلاثة مصانع أسمدة مع الرحبة العسكرية ومصفاة البترول القريبة، وقصة الزميلة سهير جرادات عن عرائس تخضع لفحص العذرية بعد حفل الزفاف تحت وطأة الجهل، التقاليد والخوف من العار، وقصة فاطمة رضا عن مكتومي القيد في لبنان،: آلاف الأطفال غير المسجلين في الدوائر الرسمية وبدون أوراق ثبوتية بسبب تخلّف الوالدين أو أحدهما عن تسجيل أطفالهم إما بسبب خلل في وضع الوالدين أو أحدهما، فضلاً عن الإهمال والجهل والفقر.



ولإعطاء أمثلة كلاسيكية على هاتين البنيتين، فإن أفضل مثال نعرفه هو الشاعر الإغريقي هومر Homer. فملحمته "الإلياذة" The Iliad عن حرب طروادة، تنطلق زمنيًّاً من خلال أحداث. وفي ملحمته "الأوديسا" The Odyssey، يكون توالي الأحداث زمنيّاً أقل أهمية من حركة القصة في مكانين متعاقبين، يؤثر كلٌّ منهما في الحركة بشكل حاسم.

أحد هذين الشكلين يلائم قصّتك. لكن الاختيار يجب أن يكون ملائماً للمادة. فبعض القصص توحي بكشف مصير قاس، لذا يجب أن تُروى هذه القصص زمنيًّاً. وتوحي قصص أخرى بعالم مليء بأمكنة مدهشة، وتوجد في هذه الأمكنة قوى تجاهلناها سابقاً. والبنية البيكارية ملائمة جداً هنا.

على سبيل المثال، استخدمنا البنية البيكارية في تغطية الجبهة الوطنية، الحزب اليميني المتطرف الفرنسي، لأنها حركة متعددة الخواص، ولها جذور محلية قوية. ولو بدا لنا أن الجبهة الوطنية بلدوزر مركزي، كما صورها بعض أعدائها، لكانت البنية الزمنية أكثر ملاءمة.

لكل شكل مزايا مُحدَّدة. فالبنية البيكارية تسمح لك باقتراح مجال وضع معين ومداه بسهولة أكثر مما تسمح البنية الزمنية لك به. ولكن البنية الزمنية، عادة، أفضل بكثير كوسيلة للعثور على جذور وضع معين.

تجنَّب أن تضع مادتكَ في بنية محددة مسبقاً. لمجرد أنها تبدو "مقبولة" لك أكثر. في هذا وفي طرق أخرى، فإن مخرجَ الأفلام الوثائقية الأمريكي مايكل مور Michael Moore مثالٌ مهمٌّ. إن الشكل الطبيعي عنده هو الشكل البيكاري، ويُظهرُ سرده النمطي إنساناً غريباً ساخراً (مور نفسه) يرحّل في أرض غريبة.

وفي معظم أفلامه، يعمل الشكل الذي يختاره بشكل رائع. ولكنه لا يعمل في الفيلم الوثائقي "فهرنهايت ١١|٩ Fahrenheit، إلا بطريقة جزئيةً لأن الفيلم يحاول اختراق العلاقة بين عائلة بوش Bush والسعوديين، وتلك علاقة لا يمكن أن تتطور إلا عبر الزمن.

دَعْ المادة تقول لك إن كانت القصة التي تود سردها هي رحلة في الزمن، أو في المكان. وعندما تكون قد اتخذت ذلك القرار، يُمكنك - أو بشكل أدق، يمكنك وكمبيوترك - أن تبدءا بتشكيل المُخطَّط.

د. بناء الزمن وتطويع التسلسل الزمني

وفقاً لأرسطو Aristotle، في كتابه "فن الشعر" The Poetics، فإن للسرود بداية ووسط ونهاية. مفيدٌ جداً أن نعرف ذلك، ولكنه لا يحل مشاكل مفتاحية أساسية في السرود الصحفية.

أولاً، نحن لا نعرف، عادة، كيف ستكون نهاية القصة، حتى حين نكون جاهزين لكتابتها. وعلى سبيل المثال، قد نكون وجدنا مجرماً، ولكننا لسنا من يُقرِّر إذا كان سيذهب إلى السجن أم لا. أكثر من ذلك، إننا نعمل لجمهور همُّه الأساس، وتوقعه، أن نقول له شيئاً مهماً الآن. بكلمات أخرى، إنه أقلُّ اهتماماً ببداية القصة منه بتطوراتها الأخيرة.

ولذا، فإننا في السرد الاستقصائي، كثيراً ما نبدأ من حيث نحن الآن (اللحظة الحاضرة)، ونعود إلى الوراء لنُظهر كيف وصلنا إلى هنا (ماضي القصة)، ونُعيد القصة مرة أخرى إلى المستقبل (لنسمح للقارئ أن يتشرَّب القصة)، ثمّ نقول إلى أين ستذهب لاحقاً (احتمالات حلها في المستقبل).

وهذه البنية - حاضر، ماض، مستقبل - تجيب عن ثلاثة أسئلة مفتاحيَّة يريد أي مشاهد أن يجيبَ الإعلامي عنها:

- لِمَ يجبُ أن أهتمَّ بهذه القصة؟

- كيف وقعَ هذه الحدث المريع، أو الرائع؟

- هل سينتهي أبداً؟ كيف؟

إن كون هذه البنية السردية المستخدمة في الصحافةِ طويلةِ الشكل، وأنها أكثر البُنى شيوعاً، وأنها فعَّالة جداً في مُعظم الأوضاع، لا يجبرك بأيٍ شكل من الأشكال على استخدامها. وفي الحقيقة، فإن المبدأ الزمني قوي جداً إلى درجة أنه حين يُستخدم بشكل ملائم، يمكن إعادة ترتيبه بأي شكل تختار. وعلى سبيل المثال، كتبتُ مقالةً خاصةً عن قضية إجرام بدأت بالمستقبل: أَخِذَ والدا الضحية إلى المحاكمة لجريمة لم يرتكباها. ثم ذهبت القصة إلى ماضي القضية، مُظهرةً كيف غذّت الشرطةُ الصحافة بمعلومات ظَنِّيَة مريعة وخاطئة. وانتهت بالحاضر، برأي يُدينُ هذه المحاكمة. على العكس من ذلك، يمكن أن تبدأ قصة من حيث بدأت، في الماضي، ثم تتقدم خلاله إلى السؤال التالي: "كيف يمكن لهذه القصة أن تنتهي؟" ولكن سيكون مركز قصّتك، في معظم الحالات، هو الجواب عن السؤال: "كيف بدأت؟"

وهناك شيئان يجب أن تحتفظَ بهما في ذهنك وأنت تضع الترتيب الزمني للمادة الموجودة في مُخطّطِك.

أولاً، إبدأ باللحظة التي ستجذب المُشاهد - أقوى المشاهد عندك. قد تكون تلك اللحظة شخصاً يعاني في الوقت الحاضر مثال قصة "مرشد" الذي توقفت كليتيه عن العمل بعد انتظار الشفاء منذ ٢٠٠٣ في تحقيق غسان الصالح حول قصور في البنى القانونية والطبية تعيق زرع الأعضاء من الوفيات الدماغية، وقصة "أحمد السعدي من سوريا " الذي باع مصاغ زوجته الذهبي ليتمكن من متابعة دراسته عن طريق أحد مكاتب الخدمات الطلابية في دمشق في تحقيق الزميل خالد موسى حول آلاف الطلاب سنويا الذين يذهبون ضحايا تجاوزات مكاتب خدمات جامعية . وقد تكون اللحظة في الماضي حين تغيَّر شيءٌ إلى الأبد ومثال عليها قصة "مريم" التي فقدت الوعي قبل أن تصل إلى باب الإسعاف في تحقيق راما نجمة حول مرضى القصور الكلوي في سورية. ويمكن أن تكون مستقبلاً لا يُطاق يواجهنا في طريقنا. ومهما كانت، يجب أن تقود المشاهد إلى السؤال التالي: "كيف حصل هذا؟"

ثانياً، عند كتابة المشاهد لا تأخذها بطريقة مكررة في رحلة زمنية إلى الأمام والخلف لأنك ستضيع القارئ وتعرضه للدوار مثل من يقود سيارة بنفس الوتيرة والطريقة. وبالمثل مُشاهدوك. وإذا أخذت المشاهد إلى الماضي، أمكث هناك لفترة يكفي طولها لقول ما حصل، ثمّ عُدْ إلى الحاضر. لا تقفز من سنة ٢٠٠٨ إلى سنة ١٩٩٥، ومن ثمّ إلى ٢٠٠٦، ثمَّ إلى ١٩٨٢. إجعل الحركة الزمنية أكثر مباشرة

وبساطة. يتطلّب الاستثناء لهذه القاعدة البنية البيكارية: قد يسمعُ راوي القصة البيكارية الأحداث نفسها من عدة أشخاص مختلفين، في أزمنة وأمكنة مختلفة. إحتفظ بذلك في ذهنك حين تختار بنيتَكَ الكلِّية.

هـ . استخدام الملف الأساس

تذكّر الملف الأساس - الملف الذي يحتوي على جميع مُقتطفاتِكَ من الوثائق، والصور، والأفكار، وملاحظاتك عليها. ستبتهج الآن لأنك وضعته، خاصة إذا كنت من هؤلاء الصحفيين الذين لا يحبون رسمَ مُخططاتٍ لقصّتهم قبل أن يكتبوا القصة.

١. التخطيط بالملف الأساس

أولاً، افتح الملف الأساس واقرأه كاملاً.

ثمّ احتفظ بنسخة منه للتحرير.

الآن، اقرأه كاملاً مرة أخرى. وفي هذه المرَّة قم بإزالة المادة التي لن تستخدمها.

اقرأه مرة أخرى، وفي هذه المرّة قُصّ وألصق المادة حسب الترتيب الذي تعتقد أنه يجب أن يُستخدم، على أساس زمني أو بيكاري.

كَرِّرْ الخطوتين السابقتين إلى أن تشعر أن المادة التي تفضلها أكثر من غيرها مُرتَّبة للاستعمال.

تهانينا. لقد كتبتَ لتوِّكَ مُخططكَ الأوّلي. يُمكنك الآن أن "تكتبَ" مستخدماً الملف كله، محوِّلاً الملاحظات والمعلومات إلى نصٍّ text. بكل بساطة، إنزل صفحة الملف في كمبيوترك إلى أسفل وأعد الكتابة وأنت تفعل ذلك. لا تَنْسَ أن تقص وتلصق مراجع الوثيقة وتحولها إلى حواش Footnotes. لاحقاً، سيجعل ذاك أمور التدقيق في الوثائق والمراجعة القانونية أكثر سهولة.

٢. استخدام الملف الأساس لبناء القصة مشهداً مشهداً

تتمثَّلُ طريقة أخرى، إن كُنتَ تفضل البناء البيكاري، بكتابة عناوين للمشاهد التي تعرف أنك سوف تستخدمها. وكُنْ متأكداً تماماً من أنَّ:

كلّ مشهد يُعَبِّرُ عن نقطة مفتاحيةٍ تُطَوِّرُ قصتك.

الانتقالَ بين المشاهد - الأسباب التي تدعنا نذهب من مكان إلى آخر - واضحٌ لك وللقارئ.

ثمّ قُصْ وألصِقْ المادةَ الملائمة لكل مشهد من الملف الأساس. أكِّد ما تعرفه: كيف يبدو المكان، من كان هناك، ماذا فعلوا، ماذا قالوا (الحوار)، وكيف تعرف ذلك؟ هذه هي العناصر التي تحتاج إليها لتبني مشهداً. في المقطع التالي المأخوذ من استقصاء حقيقي عن جريمة، يُنذر شاهدان على الجريمة رئيسَهُما. لاحظ كيف تُستخدم التفاصيل لدعم اتهاماتهما بوثيقة أصلية:

«دخلا مكتب رئيسِهما، هيوبرت لانديز، وسلّماه كتالوج كريستي. قالا إن الشركة كانت تبيع لوحة مسروقة للرسّام موريّو. سأل لانديز: 'هل لديكما دليل على أن اللوحة كانت موجودة في فرنسا مؤخراً؟ فتح لاكلوت ملفه وأخرج منه ورقة، طُبعت مادتها على آلة قديمة. كانت المادة تقريراً عن موريّو، جُمِعَ في مُختبر متحف اللوفر، ومُوقعّاً من قبل الأمينة العامة السابقة للمختبر، ماجدلين أورز، ومؤرخاً في ١٧ نيسان (إبريل) ١٩٧٥.»

إذا لم تكن لديك مادة مفصَّلة لتبني كل مشهد، أو كانت المشاهد لا تتابع بشكل طبيعي، فأنت غير جاهز للكتابة. في الحالة الأولى ذلك يعني أنك بحاجة إلى تقارير أكثر، وفي الحالة الأخرى أنت بحاجة إلى فهم أفضل لقصَّتك.

٣. القصة والحقائق

يتمثَّلُ خطأ التأليف (الكتابة) الكلاسيكي أو التقليدي لأي استقصاء في دفن القراء أو المشاهدين بكومة من الحقائق. ويحدث هذا الخطأ إما لأن الإعلامي لا يستطيع إدارة أمر هذه الكمية من المواد التي جمعها، أو لأن الإعلامي يريد أن يُبهِرُ المشاهد بكل شيء اكتشفه. ويوجد تكنيكان أساسيان لحلِّ هذه المسألة:

فكِّر في الحقائق على أنها تفاصيل، وليس مجرد معلومات. نحن نميل للتفكير عادة بأنه لا يمكن أن يكون لدينا جميع المعلومات مع أننا نستطيع أن نحصل على كمية كبيرة من التفاصيل بسهولة. ويجب أن تضيف التفاصيل لوناً ومعنى جوهريين للقصة. لذلكَ قدِّم فقط تلك التفاصيل التي تجذب الانتباه مثال : («كان البيت يحترق»)، أو تلك التي تُزودنا بنظرة عميقة. (وعلى سبيل المثال، الطريقة التي تمّ بها ترتيب و تزيين مكتب مسؤول رسمي، فالأشياء التي تحيط به، يمكنها أن

تخبر المشاهد بسرعة ما يعتبره ذلك الشخص مهماً). يدعو زميلنا نيلز هانسون Nils Hanson هذه التفاصيل "شذرات" - Nuggets - قطعاً متوهجة من معدن ثمين يشعُّ من نهر القصة.

عند كل حقيقةٍ جديدة، غيِّر المشهد. وذلك يعني أن كل مصدر جديد، أو مكان جديد، أو زمان جديد، يجب أن يُعْرَض. فتصبح هذه العناصر كأنها عرباتٍ تحتوي على الحقائق.

تذكَّر: لا تَرْوي الحقائقُ القصةَ. (لو كان ذلك صحيحا لأصبح دليل الهاتف أعظم قصة رُويت أبداً). القصة هي التي تروي الحقائق. وإذا جثمت القصة تحت ثقل الحقائق، سيفشل الإعلامي. لا تستخدم حقيقة لا تُضيء معنى قصتك، مهما بدت مثيرة.

و. تكنيكات تأليفيَّة مُحَدَّدَة

١. الفقرة المركزية The «Nut Graf»، أو ماذا عليك أن تفعله بفرضيَّتك.

في لحظة ما قريبة من ذروة قصتك، يجب أن تؤلِّفَ فقرة تقول لنا جوهر القصة أو بؤرتها أو مركزها (وبالإضافة إلى ذلك، لماذا نشاهدها أو نقرأها). إذا كُنتَ قد عرَّفتَ فرضيَّة وتحققتَ منها، سوف تخدمك في معظم الوقت كمركز ثقل القصة. وإذا لم تكن الفقرة لديك، فلربما لا يفهم المشاهدون إلى أين أنت آخذهم ولماذا.

وها هو مثالٌ على "فقرة مركزية" من قصة حازت على جائزة:

«في سنة ١٩٩٢، سعت حكومة اشتراكية إلى عدم تشجيع السياسيين على حيازة أكثر من منصب في الوقت نفسه - وهذا تبدُّلٌ فرنسي غريب في الديمقراطية الانتخابية - وذلك بوضع سقف لرواتبهم. ولكنها نسيت تعريف ما سوف يحصل للمداخيل الفائضة التي لم يستطع 'السياسيون' تسلمها. يُظهر استقصاؤنا أنه في العقد اللاحق، تم بهدوء تحويل مبلغ ٤٥ مليون دولار من الدولة إلى جيوب السياسيين من اليسار واليمين، دون تمييز».

حاول أن تجعل الفقرة المركزية لا تتجاوز ثلاثَ جُملٍ قصيرة. وإذا لم تكن قادراً على قول ما تدور القصة حوله بذاك العدد من الجملٍ، فيبدو أنك أنت نفسك لا تفهمها.

٢- الشخصنة Personification

يتمثَّل أحد أغرب تكنيكات الأدب بشخصنةِ وضع من خلال شخصية معينة. وربما بولِغَ باستخدام هذا التكنيك في الصحافة، ولكنّه يظل صالحاً للمشاهدين والإعلاميين الذين يحاولون تحسّس الأساس العاطفي لقصة ما. إذ يمكن لعرض ضحيَّة أمام المشاهد أن يكون طريقة قوية ليَشعر بمعنى القصةِ بسرعة.



ونوعٌ آخرُ من هذا التكنيك هو أن تفتتح مقطعا أو قصة بوصف مكان. وهذا النوع من التكنيك سينمائي: فنحن نتحرك في البيئة إلى قلب الحدث. ولا يعمل هذا التكنيك إلاّ إذا كان المكان يضم شخصية، وإلاّ إذا قُلتَ لنا ما هي أهمية سمات الوضع المختلفة.

إذا استخدمت الشخصنة، تأكد من التالي:

أن يُلائم مثالُك القصةَ. لا تعرض علينا قضيّة دراميَّة ومن ثمّ تخبرنا بأن القصة حول شيء آخر.

استخدم كل مثال مرة واحدة فقط، وبشكل جيد. ولا تَعُدْ إلى القضية نفسها مراراً وتكراراً، إلا إذا كانت قصتك تدور حول تلك القضية بالتحديد.

خذ بالاعتبار المثال التالي الحائز على جائزة، والذي تُخبرنا فيه أُمٌّ بما عانت منه ابنتها، كي نستطيع رؤية المأساة التي تعاني منها - وتلك المأساة هي قانونٌ ما كان يجب أن يُكتب أبداً.

'»مرَّت أوقات تساءلت فيها كارول كاستيانو إن كان أفضل لابنتها أن تموت.

'مولودة سنة ١٩٨٤ بعد ٢٣ أسبوعاً فقط قضته في رحم أمها، تعتبر سيرينا كاستيانو واحدة من أكثر من ربع مليون طفل معاق يدينون بحياتهم

لقانون:"الطفل الرضيع دو" لسنة ١٩٨٢-٨٤، الذي اعتبر أن الأطباء يرتكبون جُرماً إن لم يقوموا بالحد الأقصى من الجهد ليحافظوا على حياة حتى الأطفال المولودين مُبكّرا والأقلّ قابلية للحياة. ولكن الحكومة التي خطفت هؤلاء الأطفال من الموت تركتهم مُقعدين - ثمّ تخلّت عنهم وعن عائلاتهم.

'ومثلها مثل آخرين كُثر في هذا القطاع من السكان الذين لا يعرفهم أحد تقريباً، ولم يُغطّوا إعلاميّاً، ما كان لسيرينا كاستيانو أن تنجو من غرفة الولادة قبل بضعة أعوام فقط. مولودة عمياء، بدماغ تالفٍ منعها من الكلام أو المَضْغ، تطلّب وجود تشوهات رئويّة وباطنيّة تطلبت ست عمليات في أول ثمانية شهور من حياتها - لم تُجرِ أية واحدة منها بتخدير.

«لو كانت لدي طريقة لأعرف بها ما يعاني منه الأطفال المولودون مبكراً، لما أردت لطفلتي أن تمرّ بكل ما مرّت به» قالت كارول كاستيانو، رئيسة جمعية والِدي الأطفال العميان بولاية نيو جيرزي والعضو المشارك في تأسيسها. وأضافت «إنني أعبد ابنتي. ولا أودُّ أبداً أن تغادرني. ولكنني لو كنت أعرف أنني في مخاض مبكّر، لما ذهبت إلى مستشفى. كنتُ سأبقى في البيت وأترك الطبيعة تأخذ مجراها».

لاحظ ما يلي في هذا المقطع:

يطرحُ مشهد كارول كاستيانو وهي تُفكر بمصير ابنتها سؤالاً على المشاهد: لماذا ترغب أي أمٍّ بوفاة ابنتها؟

وهذا يسمح لنا بالذهاب فوراً إلى مركز الفقرة، وأن نقول للقارئ لماذا نروي هذه القصة.

في الفقرة الثالثة، عرضنا على المشاهدين بعض التفاصيل المروّعة حقاً. كُنْ حذراً: لا يستطيعُ المشاهدون امتصاص الكثير من الألم. ولذا، حين ننتقل إلى كارول كاستيانو، التي تخبرنا بهدوء بما علِمت، نُعطي المشاهد فرصة الاستماع إلى حكمتها التي توصلت إليها بعد جهد، ولكننا أيضاً نعطي المشاهد استراحة من التفكير بطفلة عانت بشكل مريع.

٣- إحرص على أن لا تضع نفسك أمام الضحيّة

حين يكتبون عن الضحايا أو يُنتجون فيلماً عنهم، قد يضع الإعلاميون أنفسهم؛ مجازياً أو حرفياً، أمام الضحايا، مُجبرين القارئ على مشاهدة غضبهم أو أساهم بدلاً من ألم الضحية. من السهل الوقوع في مثل هذا الخطأ. أثناء



استقصائهم لعمليات إجهاض تمت في فرنسا، عرض بعض تلامذتي امرأة كانت عملية إجهاضها كابوساً، ثمّ أصرّوا: «ستعيش، هي وزوجها، تجربة صادمة ... فقد أدت الصدمة إلى ذهول الزوجين.»لاحظ كيف أصبح تفسير الإعلامي فجأة أكثر حضوراً من معاناة الضحيَّة؟ فمن دون وعي، يتجنَّبُ الإعلامي مشهدَ الألم. ولكنّ المشاهد سوف يرى إعلامياً يعتبر نفسه أكثر أهمية من الضحية. ولذا إذا عانى أحدٌ في قصتك، إعرضه ولا تعرض نفسك.

إذا حدثَ وتقدمتَ إلى الأمام، إبْقَ إلى جانب الضحيَّة. فثمّة دور كلاسيكي للاستقصاء يقضي بالدفاع عمّن لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم. كان هذا دور الروائي الفرنسي إميل زولا Emile Zola في سلسلة مقالاته "إني أتَّهمُ" J'accuse! ، ودور آخرين يصعب ذكر أسمائهم لكثرتهم. إذا لعبت هذا الدور، فإنه يبرِّرُ لك عرض شخصيتك وحضورك. ولكن كن حريصا. لا يوجد إلاّ القليل من المجد في بناء شهرتك إن لم تُساعد في إنقاذ الضحية.

٤- دَعْ المصادرَ تتكلّم

كثيراً ما يضيعُ وقتٌ ثمينٌ في الصحافة بمحاولة قول شيء تكلَّم المصدر عنه بالفعل وبشكل جيد. هذا الأمر مؤسفٌ، لأن الناسَ الذين عاشوا قصَّةً يرونها بشكل أفضل، وبأكثر ما يكون من التعبير والعاطفة. فلماذا تحاول أنت أن تكتب جملة كاملة حين يكون أولئك الناس قالوها لك؟

وأفضلُ أسلوبٍ هو أن تَنْسِجَ بيانات المصدر في نصوصك كأنما أنت الذي كتبها، سامحاً لها بتطوير قصتك. في المثال اللاحق، نترك المُتحدِّث الرسمي لمستشفى يتحدث، بمعرفة حميمة، عن الدمار والرعب اللذين نجما عن قوانين الطفل الرضيع دو.

"في العام الماضي، أنقذ أطباءُ يعملون في مستشفى "أرز سيناء" Cedars Sinai Hospital بمدينة لوس أنجلوس الأمريكية مولوداً مُبكِّراً كان وزنه ١٣ أوقية

فقط. وبعد ستة أشهر في المستشفى، ودفع فواتير بلغت قيمتها مليون دولار، أطلق سراح الرضيع. بعد أسبوعين من ذلك توفي. "كانت العائلة محظوظة، لأنه كان لديها تأمين على الحياة،" قال تشارلي لاهايي، المتحدث الرسمي باسم مستشفى أرز سيناء. وأضاف 'هل تتخيل أن تدفع مليون دولار لطفلك الذي لم يعد على قيد الحياة؟'"

في الفقرة أدناه اقتبسنا مُطوّلاً مسؤولاً من الجبهة الوطنية الفرنسية، مُستخدمين تسجيلاً سماعياً قمنا بعمله ليكون مصدراً. (إننا بشكل عام لا نُحب التسجيل، لأنه عملية بطيئة. ولكننا في هذه القضية قمنا به استثناءً، لأن الجبهة الوطنية تحب رفع قضايا تشهير أمام المحاكم، والتسجيلُ برهانٌ على أن الاقتباس منهم تمَّ بدقة). إن قيمةَ المقطع المعلوماتية صفرٌ عملياً؛ فالرجل يتكلم هراءً. ولكن عقلية الرجل مهمة، ولم نستطع الوصول إليها من دون استخدام المقطع كله. وحين نُشر الكتاب، كان ما يلي أول ما اقتطفته إحدى المجلات:

«يُوجد في هذه الحكومة وفي أروقتها الخلفية أناسٌ يجب أن يكونوا في السجن لممارستهم الجنس مع الأطفال Pedophilia. هل تسمعُني؟ هل تسمعُني؟ يُمكنك أن تقول إن روجر هوليآندر قال لك ذلك! يُمكنك أن تُحدِّد الوقت! إنه الخامسة إلاّ ربعاً، حسب ما أعتقد! هل تسمعُني؟ حسناً، كنت أقول ذات ليلة، 'يجب أن نشنق كل هؤلاء الغثاة'، وقالت سيّدة كانت موجودة في الغرفة، 'آه، سيد هوليآندر، ذلك ليس لطيفاً، لماذا تريد أن تشنقهم؟' وأجبتها: 'نعم يا سيدتي، أتعرفين ما هي الـ Pedophilia ؟' 'آه، كلا، لا أعرف.' 'حسناً، إنها كلمة تتحدث عن رجال يستفيدون من مناصبهم ... ليغتصبوا أطفالاً في الثالثة أو الرابعة أو الخامسة من أعمارهم!' 'آه، يجب أن نشنقهم إذاً.' 'ها أنت قد قُلتِها يا سيدتي!'"

تذكّر: الناسُ لا يستمعون إليك بحثاً عن الحقائق فقط. إنهم يريدون أن يعرفوا شخصيةَ ونوعَ ولونَ المصادر التي ستقدمهما لهم. والحوار أفضل عربة لتوصيل هذه العناصر. حَرِّرْ المادة لتقليص طولها أو لجعلها أكثر تأثيرا على المتلقيّ، لكن استخدم من المادة قدر ما تحتاج.

٥. التحرير الأساس Editing

في الصحافة، يُعتبر التحريرُ فنَّ جعلِ قصةٍ أفضلَ مما كانت. ففي الحد الأدنى، يجب أن يكون مشرف خارجيٌّ قادراً علىَ اقتراح مادة تُثري قصتك، وأن يقترح، بطريقة ايجابية ولطيفة، طرقاً يمكن من خلالها تحسين ما تكتب. ولكن قبل

أن يدخل شخص آخر على الخط. يجب على الصحافي أن يتعامل مع التحرير بطريقة متواصلة وكأنه يريد أن يصقل القصة. تَعوَّدْ على نحت نَصِّكَ في كل مرَّة تفتحه، شاحذاً التعابير والجُمَل فيه. تأكد من أن تُخَزِّن النسخة الأخيرة تحت اسم ملف مختلف في كمبيوترك (بما في ذلك، على سبيل المثال، تاريخ هذه النسخة ورقمها) كي لا تفقدَ المادةَ أو تنسى مكانها باستمرار.

أ. معاييرُ التحريرِ الثلاثة

يجب أن يؤدِّي التحريرُ إلى جعل عملك أكثر وضوحاً، وأكثر إيقاعاً. وهذه المعايير تُساعدُكَ على رؤية تلك المزايا: يجب أن تلتزم القصة المُحَرَّرة بثلاثة معايير أساسية:

- هل هي مُتماسكة؟ أي، هل تنسجم التفاصيل كلها معاً؟ هل حُلَّت جميع التناقضات التي برزت في البرهان؟

- هل هي كاملة؟ هل تمت الإجابة عن جميع الأسئلة التي برزت في القصة؟ هل مصادر كل حقيقة تستشهد بها مناسبة؟

- هل تتحرك القصة؟ إذا أبطأت القصة أو انثنت على نفسها، فسوف تفقد مُشاهدك.

وأفضل طريقة لترى إن تمَّ الالتزام بهذه المعايير هي أن تتفحص القصة باحثاً عن لحظات غموض، أي حين يتساءل المشاهد عمّا تتحدث عنه كصحفي. إن أكثر أسباب تؤدي لغموض عملية السرد الشائعة، وعلاجاتها، هي الأسباب التالية:

المقطعُ مكتوبٌ من منظور داخلي، باستخدام رطانة تقنية أو بيروقراطية. المقطع هذا بحاجة إلى أن يكون أكثرَ حيويَّةً، وأقلَّ تقنيَّةً.

الجُمَلُ طويلةٌ جداً. قُصْ الجُمل الطويلة إلى قِطع. لكن احذر: للجمل القصيرة الكثيرة الأثر المُبْطِئ نفسه الذي للجُمل الطويلة جداً.

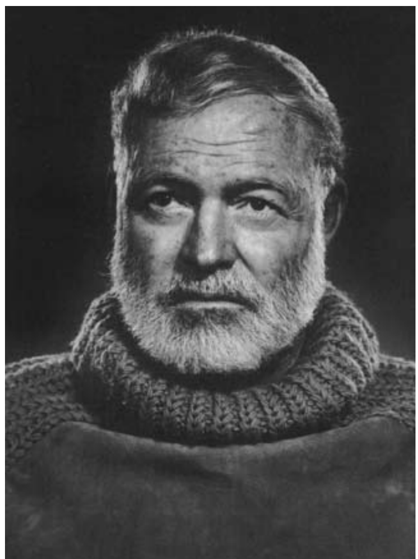
الفقرات طويلة جداً. حين يتغير شخصٌ أو مكانٌ أو فكرةٌ، يجب أن تتغير الفقرة.

ب. القصة الجيدة مثل القطار.

إنه يتحرك بقوة ليصل إلى غايته. قد يُبطئُ ليأخذ ركّاباً أكثر، أو ليسمح لك بأن تُركِّز بصرك لرؤية مشاهد طبيعية مُحددة عظيمة حوله، ولكنه يجب أن لا يتوقف. ولذا حين تكتب وتُحرِّر، ركِّز على إيقاع القصة. فلا بد أن يشعر المشاهدُ أنه ينتقل من مقطع إلى آخر. فإذا لم يحصل ذلك، فالقصة غير فاعلة. لا تغير كامل البنية. حدِّد المقاطع التي تعاني من مشاكل، ثم اقطع أو أضف مادة لتجعلها أكثر فاعلية.

ج. أَعِدْ الكتابةَ حين يكون ذلك ضرورياً فقط.

إذا لم تؤكد التكنيكات المُثارة أعلاه أن القصة كاملة ومتماسكة وتتحرك بإيقاع قوي، عليك أن تعيد كتابتها - ليس بمجرد تغيير كلمة أو كلمتين، بل إعادة بنائها وإعادة تأليفها. حاول أن تُحدد المقاطع الناجحة، وتجنَّب مسَّها. بدلاً من ذلك، ركِّز على النقاط الخاطئة في القصَّة. كثيراً ما يحصل أن المقاطع غير الناجحة تكون بحاجة إلى أن تكون أكثر إحكاماً. اخْتَرْ أقوى العناصر التي تريد أن توصلها للقارئ، المستمع أو المشاهد واكتب أو ألّف حولها، تاركاً التفاصيل الثانوية جانباً.



د. ثلاث طرق لحل ٩٥٪ من مشاكل الكتابة:

قُصْ، وقُصْ، وقُصْ

إن أسهل وأفضل طريقة، عادة، لتحرير مقطع إشكالي هو قَصُّهُ. إذا حاولت إعادة كتابة مقطع أكثر من ثلاث مرّات، فمن المحتمل أن يكون استمرار المحاولة مضيعة للوقت، ويجب أن تمضي إلى الأمام. يوجد مقطع للروائي الأمريكي إرنست همنغوي Ernest Hemingway، في روايته "لمن يقرع الجرس" For Whom the Bell Tolls

أُعيدت كتابته ٦٠ مرة. ولكنه ما زال يبدو غير موفَّق. فإذا لم يستطع همنغوى أن يجعله موفقاً. فلن تستطيع أنت ذلك. إذاً قُصَّهُ.

هـ . دَعْ العقبات الموجودة في النص تُعطيك نُصحاً.

إذا كان مقطعٌ عصيًّا على التصحيح. فإما إنك لا تفهم ما تحاول قوله. أو أنه لا يستحق القول. عادة ما يكون السبب هو الأخير. ولكن إن كان مُهماً جداً ليُقطع. خُذْ وقتاً لتفكِّر بما تحاول حقاً قوله. وهذا هو عمل الكتابة الصحيح. وفي مثل تلك اللحظات تُصبح قصَّتك أعمق وأقوى.

و . ما الطول الذي يجب أن تذهب إليه؟

- قبل ثلاثين عاماً. كان شائعاً في المجلات في الولايات المتحدة الأمريكية أن تُنشرَ مادةٌ يصل طولها إلى ٧٠٠٠ كلمة. أما الآن فبالكاد أن تُنشرَ المجلات والصحف قصصاً. وحتى استقصاءاتٍ. يصل عدد كلماتها إلى ٢٥٠٠ كلمة. وبالمثل. يتطلَّب سوق استقصاءات الفيديو أو الفيلم تصاميم أقصر.

- وأحد الحلول لهذا الوضع هو أن تقبلَ قيودَ المساحة المخصصة للنشر لتضمن نشرها أو ربما لأن النسخة المُقلَّصة أو المصغرة ستُقرأ أو تُشاهد بشكل أفضل. (إذ يوجد كثير من الدُّهنِ في معظم وسائل الإعلام.) والحل الثاني هو أن تقترح بدائل للقصِّ البسيط.

- السَّلْسَلَة Serialisation: أكتب القصة أو حرِّرها على أساس أنها مسلسل من عدة حلقات.

- بدلاً من أن تكتب قصة واحدة طويلة. أكتب عدة قصص أقصر. هذا ما حصل مع الزميل حمود المحمود عندما استقصى الصرف العشوائي للمضادات الحيوية في سورية. أنتج أربع قصص نشرت يوما بعد يوم وأحدثت تأثيرا كبيرا على المتلقي الذي كان يتابعها هذه عناوين في القصص الأربعة.

- البكتيريا تخرج عن السيطرة في المشافي السورية. الآلاف يموتون بسبب إصابتهم بالجراثيم المعنّدة.

- انتشار الجراثيم المعنّدة القاتلة بسبب قلة العناية بالنظافة والتعقيم بين الأطباء

- المشافي في سورية تهدر أموال الدولة في صرف عشوائي للمضادات الحيوية

مشافي الموت. إنزال العقوبة بالمشافي التي لا تراعي قواعد النظافة والتعقيم

وسبب ذلك التأثير يعود إلى أن كلَّ جزءٍ من المسلسل سيجذبُ انتباهاً للأجزاء الأخرى. وقد تقوم وسائل الإعلام أيضاً بإعادةِ طباعة المُسلسل ككل.

التأثير: أنشر القصة في وسائل إعلام مختلفة.

قد يكون لدى صحيفة ما مساحة لنسخة قصيرة من القصة. ولكن موقعاً في الإنترنت قد يكون قادراً على قبول نسخة أطول. تأكد من أن تحتفظ بحقوق النشر لنسخٍ مختلفةٍ من قصَّتِكَ، وأن توزعها بأوسع ما يكون بين وسائل الإعلام.

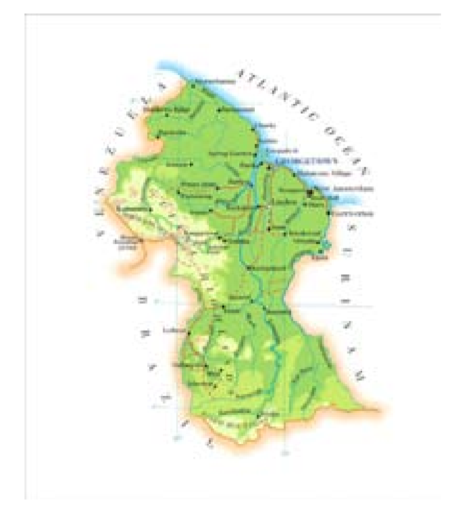
تخصص بالصنف من خلال أسِّسْ تَمَيُّزَكَ عبر كتابة قصص عادية.

ما الحيِّزُ الذي تحتاج إليه حقاً؟ كثيراً ما يُبالَغُ في كتابة العديد من القصص الاستقصائية، وكثيراً ما تطول أكثر مما يجب. وكثيراً ما تحتوي هذه القصص على مادة تصلح لأكثر من قصة واحدة حول أبعاد مختلفة من الفرضيَّة الأوليَّة. فبدلاً من أن تنشر قصة واحدة بلوكبستر (Blockbuster) ، فكّر في نشر قصص ذات صلة بانتظام - في أوقات أبعد من أوقات نشر مسلسل، ولكن ليس بذلك البُعد الذي يجعل الجمهور ينسى المسألة وينسى إبداعك. وهذه إحدى طرق بناء سمتك (سمعتك)، وبناء سمة (سمعة) وسيلة الإعلام.

٦- إغواء إنهاء القصة

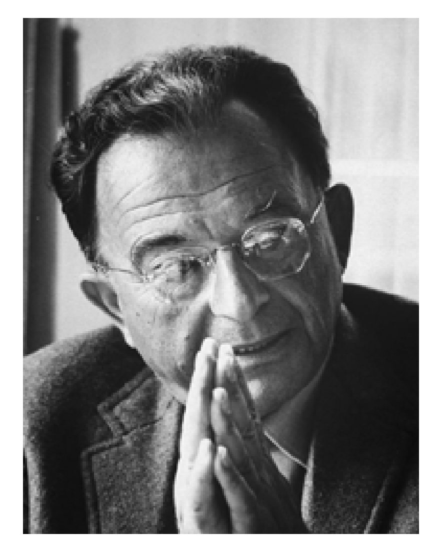
يتطلَّبُ فنُّ السرد خاتمةً مُقنعة - ولكن لسوء الحظ، لا يملك الصحفيّون حق اختراع خاتمة. فبدلاً من النهايات، يجب أن نؤلف خاتمات. والفرق مهمٌّ. فالنهاية تحُلُّ كل غموض في السرد. أما الخاتمة فتؤشر، بكل بساطة، إلى النقطة التي تتوقف عندها حركة السرد إلى الأمام.

فمن جهةٍ، يجب أن تكون حريصاً لتقاوم إغواءَ إعطاءِ قصتك حلاً نهائياً حين لا يكون مثل هذا الحل موجوداً. ومن جهة أخرى، يجب أن تقول ما يمكن أن يكونه ذلك الحل. و يجب أن لا يكون طويلاً. إذ اختتمت قصة ألبرت لوندرز Albert Londres الرائعة لمستوطنة العقوبات الفرنسية في غويانا Guyana بهذه الكلمات: " لقد انتهيتُ. وعلى الحكومة أن تبدأ."



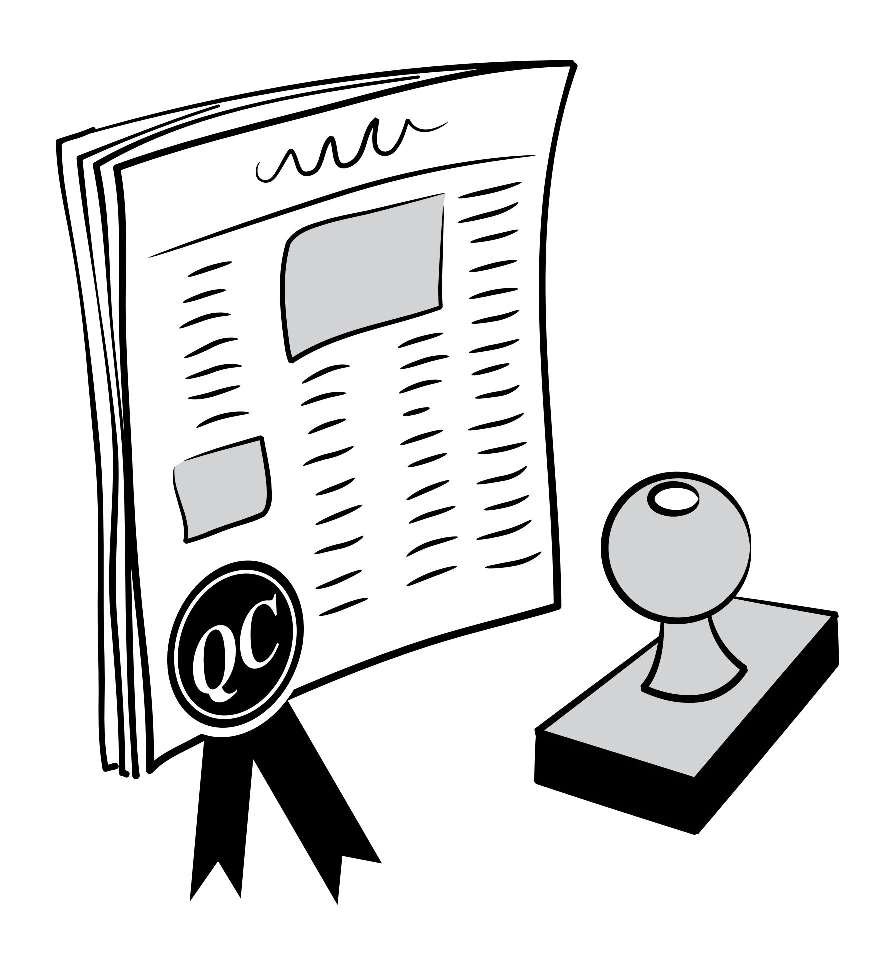
دَعْ القارئ يعرفُ إن كان أي شخص يملك فكرة عمّا يجب فعله. يمكنك أن تكشف أفكارك أنت، لأنك إن قُمت بالاستقصاء وأصبحت خبيرا ملما بأطراف الموضوع بشكل حسن، تستطيع أيضا أن تبين كيف حلت مشاكل مشابهة وتشير إلىُ أولئك الذين قاموا بحلها. وقد تُشير إلى أولئك الذين تقع عليهم مسؤولية حلّها الآن. وهناك طريقة أخرى، كثيراً ما تنجح، بأن تسمح لمصدر أو لشخص عاش القصة، أن يقول الكلمة الأخيرًة.

سواء تكلَّمتَ أنت نفسك، أو تكلّم شخصٌ آخر عنك، تأكد أن الكلمةَ الأخيرةَ كلمةُ حقٍّ. كثيراً ما يُخَرِّبُ مؤلفٌ قصته في السطور الأخيرة، لأنه لا يريد أن يسمع ما تقوله القصة، أو لأنه خائف، بشكل لا واع، من أن يقوله. ويمكن أن يحدثَ التخريب على يد المؤلف وهو يقول شيئاً كهذا، "حسناً، قدً لا يكون الشخص الذي استهدفناه، بعد كل ما أسلفنا عنه، سيئا لهذه الدرجة". ما يتكلم هنا هو خوفك: أنت تريد أن يسامحك الشخص الذي استهدفته. (وكما قال



المحلل النفسي العظيم إريك فروم Erich Fromm، أُعْجِبَ بعضُ الناس بهتلر لأن ذلك أقل إذلالاً من أن يُعْتَرفوا بأنه يُرعبُهم. أو قد يتحدث شكُّكَ الذاتي عندما تقتبس مقطعا مما قاله لك شخص محترم وحكيم جداً يقول، "الحياة مليئة بالمشاكل، ولكننا، نحن ذوو النيّات الطيبة والمراكز الاجتماعية العليا نحلها جميعاً لك". ولسوء الحظ أنك كتبتَ قصة كاملة قالت شيئاً آخر.

إقبل حقيقة ما وجدتَ. ورغم أن هذا أمرٌ أصعب مما تظن، فإنه ما يجعلُ عملكَ عظيماً. إذا أعطاك عملُكَ حق إصدار حُكم، إصدره. حافظ عليه مُحدَّدَاً، حافظ عليه عادلاً، حَافظ، في حدود ما تعرفه، على ما هو حقيقة مطلقة. ولكن لا تتجاهل ما أثبتَّ أنه حقٌّ، أيضاً.



دليل أريج الفصل السابع:

مراقبة النوعيَّة:
تقنيات وأخلاقيات

مراقبة النوعيَّة: تقنيات وأخلاقيات

نيلز هانسون ومارك هنتر وبيا ثوردسن
ودرو سوليفان ورنا صباغ
Nils Hanson, Mark Hunter, Pia Thordsen ,
Drew Sullivan and Rana Sabbagh

العملية إلى الآن:

١٢- نكتشفُ موضوعاً.

١- نطرح فرضيَّةً لنستقصيها.

٢- نسعى إلى الحصول على معلومات مصدر علني لنتحقق من الفرضيَّة.

٣- نسعى إلى مصادر بشرية.

٤- ونحن نجمع المعلومات، نُنظمها – كي يكون سهلاً تفحُّصَها، تأليفها في قصة، وتدقيقها.

٥- نضع المعلومات بترتيب سرديٍّ ونؤلِّفُ القصَّةَ.

٦- نقوم بمراقبة النوعيَّة لنتأكد من أن القصة صحيحة.

لقد قُمتَ ببحث حول القصة، ونظّمتها وكتبتها. والآن دعنا نتأكد من أننا قمنا بما قمنا به بشكل صحيح قبل أن تنشر أو تذاع. وهذا الأمر يشمل مراقبة النوعيّة، أو بتعابير تكنيكية، «التدقيق في الحقائق».

أ. ما هو التدقيق في الحقائق؟

في جميع أنحاء العالم، تشمل أفضل فرق الاستقصاء شخصاً - مُحرِّراً أو حتى مُدَقِّقَ حقائقَ متفرّغاً - وظيفته أن يُرشد عملية التأكد من أن استقصاءً ما قد نُفِّذ وأُلِّفَ بشكل كامل. في حال أنجز التحقيق بالتعاون من شبكة أريج فإن الشبكة توفر لكل مستقص مشرفاً يقوم بهذه المهام للتأكد من أن المنتج النهائي يضاهي بجودته أفضل المُمارسات العالمية المقبولة. وتُوجدُ أربعةُ مكونات لعملية التدقيق هي:

- الأولُ هو التأكد من أنك، في الحقيقة، تروي قصة حقيقية - ليس فقط قصة تكون فيها كل حقيقة صحيحة، بل قصة تضيفُ حقائقُها شيئاً إلى حقيقة أكبر. فإذا كان تفسير بديلُ يعني أكثر مما يعنيه تعليلُكَ، فثمةَ أمرٌ خطأٌ في عملكَ.

- بعد ذلك، تتأكد من أنك تعرف مصدر أو مصادر كل ما يؤكد حقائق القصة.

- وأثناء عملية التحقق من مصادرك، تُحَدِّدُ الأخطاءَ الموجودةَ في الحقائق المُعيَّنَة وتُصححها.

- وفي الوقت نفسه، تُزيلُ الضجة العاطفية من قصتك - الإهانات غير المبررة، العدوان أو العداء الذي شق طريقه إلى سردِكَ حين كنت مرهقا أو محبطاً أو خائفاً.

- نُكَرِّر: يجب أن تكون قصتك صحيحة، وعليك أن تزيل أو تُغيِّرَ الحقائق غير الصحيحة، وأن تتأكد من أن لنبرة قصتك ما يُبرِّرُها.

قالت صديقتنا أريل هارت Ariel Hart، وهي مُدققة حقائق رئيسة في مجلة كولومبيا جورناليزم ريفيو Columbia Journalism Review ما يلي: "لم أدقِّقْ أبداً بأي قصة خلت من الأخطاء، سواء أكان طول لقصة خمسَ صفحات أو فقرتين". وتُضيف:

"وبصدق، بعض 'الأخطاء' التي أجدها تعود إلى اختلاف في التفسير ويقبل الصحفي أن يغيرها. كل الأخطاء تقريبا تمس مسائلَ موضوعيَّةٍ تتعلق بالحقائق: مثل عدم تحديد السَّنَةِ بالضبط؛ معلومات قديمة؛ خطأً في تهجئة الاسم؛ معلومات

منشورة بشكل واسع ومأخوذة من مصادر ثانوية، ولكنها خاطئة. وطبعاً هناك "الحقائق" التي تم انتزاعها من أرشيف ذاكرة الكاتب. وكثيراً ما تظهر الأخطاء حين يقول المؤلف، "لا تحتاج للتأكد من ذلك، أنا متأكد من أن ذلك صحيح".

سوف تقعُ في أخطاء، وكل واحد منا يقع في أخطاء. أحيانا يكون الخطأ في الطريقة التي تقول الأشياء بها، وأحياناً في جوهر ما تقوله. ومهما كان الخطأ فإنه مشكلة. والإعلاميون المحترفون يُصلِّحون هذه المشاكل، أما الصحافيون الهواة فإنهم يأملون أن لا يلاحظهم أحد. ولسوء الحظ، فإن شخصاً ما يلاحظ ذلك دائماً، وهو عادة شخصٌ لا يكنّ لك المحبة. لذلك لا تحرج نفسك وكن مستعداً للاعتراف بأخطائك وتصحيحها. حاول أن تغير موقفك أو غيِّر مهنتك.

من المحتمل جداً أن لا يكون أحدٌ في مكتبك قد دقَّقَ حقائقَ قصةٍ من قبل، وأن لا يكون أحدٌ قد دقّق حقائق إحدى قصصك بالتحديد. ولذا إليك كيف تعمل طريقة تدقيق الحقائق:

- أنت بحاجة لشخصين على الأقل - المؤلف، وأياً من كان يدقق في القصة. وعلى كلٍّ منهما أن يحتفظ بنسخة من القصة.

- أنظر في كامل القصة لتحصل على الصورة الشاملة. هل القصة متحيِّزة، أم منصفة؟ ألا يبدو أن فيها شيئاً مفقوداً؟ من، أو ماذا، يمكن أن يكون قادراً على تقديم صورة مختلفة؟

- بعد ذلك دقق القصة حقيقةً فحقيقة، سطراً فسطراً. إن المُدقق - محرراً، زميلاً، محامياً، أو مجرد صديق كفُؤ - يسأل عن كل حقيقة: "كيف عرفت ذلك؟"

- المؤلف يعطي مصدراً. إذا كان المصدر وثيقة، فسوف ينظر كلا الطرفين في الوثيقة ليتأكدا من أنها مقتبسة بدقة. وإذا كان المصدر مقابلة، ينظران في مَحاضِر المقابلة، أو يسمعان التسجيل أو الأشرطة.

- إذا لم يتوفّر المصدر، على المؤلف أن يجد واحداً. وإذا لم يجد مصدراً، يجب قَصّ المقطع.

- وبالتحديد، يتحدى مُدقق الحقائق تفسيرَ المؤلف لدوافعَ وأهدافِ وأفكارِ المُستَهدَف بالاستقصاء. وبشكل عام، يجب أن تُقَصّ هذه المادة. ورغم ذلك، إذا كان هناك توثيقٌ يؤكد واقعيتها - على سبيل المثال، رسائل أو يوميات تُوثِّق الحالةَ العقلية لفردٍ في لحظة معينة - يمكن أن تُضَمَّن.

كما ترى، ليست العمليةُ معقدةٌ. قد تبدو مملّةً كما صُوِّرت. ولكنها، صدِّقنا، أنها أي شيء إلاّ مملة، لأن القصة تُصبحُ، والعملية مستمرة، أكثر فأكثر واقعية، ويصبح أثرها واضحاً. والمُضِيُّ في العملية قُدُماً أيضاً أقل صعوبة من محاولة الدفاع عن نفسك، في قاعة محكمة أو أي مكان آخر، ضد أية تهمة بأنك لم تكن تعرف ما كنتَ تتحدثُ عنه.

ب. تدقيقُ الحقائقِ والقانون

يمكن لهذه العملية أيضاً أن تكون أساسَ مراجعةٍ قانونية - أي فحصاً نقدياً لما إذا كانت قصتك تنتهك قوانين التشهير أو تشويه السمعة. ففي كل نظام قانوني تقريباً، تُوجد بعض المعايير المبدئية للحكم على وقوع التشهير أو تشويه السمعة. وأهمها أن الشخص المُتَّهَم - الإعلامي، مصدر تم اقتباسه في القصة، أو الناشر - لم يقُل الحقيقة. ويحاسِبُ القانونُ أو فروعُه بشكل عام على نوعين من هذا الانتهاك:

١. في حال لم يجمعْ الشخصُ المتَّهَمُ برهاناً كافياً على مزاعمه.

٢. لعدم قدرته، أو لحماقته، لم يلتزم الإعلامي بالأسس المهنية الخاصة بالموضوعية تجاه الحقائق، أو أنه تجاهل أو أخفى معلوماتٍ ناقضت حُججه. وفي أفضل الأحوال كان مهملاً. وفي أسوئها، تصرّف الإعلامي بكرهٍ متعمد أو سوء نيّة.

في الممارسة، يُمكن لتفسير هذه المعايير أن يتنوَّع. ففي فرنسا، على سبيل المثال، فإن البرهانَ «الكاملَ والمتماسكَ»، الاختبارَ القاطعَ، هو فقط الذي يعتبر كافياً. ورغم ذلك، فإن «نيّة الإعلامي الطيِّبَة» - مدى جديَّته في الاستقصاء - تُعطى وزناً. وفي أي تشريع تقريباً، يمكن لأي إعلامي أعدّ نفسه بكفاءة أن يحوِّل محاكمة إلى إحراج إضافيَّ لخصمه. وعليه، في بريطانيا، استخدم نُقَّاد مطاعم ماكدونالد McDonald للوجبات السريعة، الذين رفعت الشركة عليهم قضية تشهير، محاكمتهم كوسيلة ليعلنوا نتائج بحثِهِم عن ممارسات الشركة.

في لحظة من لحظات مهنتك، وكل ما كان الأمر أبكر كان أفضل، يجب أن تقضي وقتاً في دراسة قانون وأحكام التشهير في منطقتك، وقراءة الأحكام والتحدث مع المحامين على الأقل، إلى أن تحصل على فهم أساسي للنصوص القانونية وكيفية تطبيقها. وغرض هذه الممارسة ليس إخافة نفسك، على

العكس من ذلك. غرضها هو أن ترى أين يسمح لك القانون والتشريع بممارسة مهنتك. ويُوجد دائماً اختلاف بين ما يقوله قانونٌ على الورق، وبين ما يعنيه في الممارسة. والمساحة الموجودة بين هذين الوضعين هي منطقة حراكك. وعلى سبيل المثال، في فرنسا، قامت المحاكم بجهود خاصة لحماية حق الإعلاميين باستخدام الهجاء والسخرية. ولذا، وفي ظل ظروف معينة، يوفر الأسلوب الهجائي حماية إضافية للمُستقصين.

إدمجْ هذه المعرفة في عمليتك لتدقيق الحقائق. أشطب المادة التي ستُسبب لك مشكلة لا فائدة منها، وجِدْ طُرقاً تحتفظ بواسطتها بما تعتقد أنه مهم في النص، من خلال تقليص المخاطر التي ستكلّفك ثمناً باهظاً. لا تعتمد، بكل بساطة، على محامين ليقولوا لك أو لرئيسك ما يمكن أن ينجح. أظهِرْ للمحامين أنك شريكٌ شغِفٌ مساوٍ لهم في لعبة معقدة. أعطهم أسباباً قويّة ليحبوا العمل معك. قد لا تحتاجَ أبداً إلى مساعدتهم في المحكمة، ولكن إن احتجتها، أشْعِرْهُمْ أنهم ذاهبون إليها ليكسبوا القضية.

ج . التدقيق في أخلاقيّات عملك

- لا تُسِئ استخدام قوة الإهانات

- شطبُ العدوانية غير المُبرَّرة من قصتك أمرٌ يجب أن تعتاد عليه: فترْكُ هذه الضجة في القصة يزيد مخاطرك القانونية، ويمكنه أن يُغضب ويُذلّ من تستهدفه باستقصائك إلى حد رد الفعل العنيف. طبعاً، كثيراً ما يسخر الصحفيون من مُسْتَهْدَفيهم أو يهينونهم. ولكنه أمرٌ مختلف حين تفعل ذلك في افتتاحية؛ فالافتتاحية، بعد كل شيء، رأيٌ، ولكل امرئ رأي. ولكن الأثر يكون أقسى بكثيرٍ عندما يكون الرأيُ جزءاً من كشفٍ استقصائي.

ويجب على الإعلاميين أن يكونوا حذرين جداً جداً من سوء استخدام هذه القوة. فإذا قاد استقصاءٌ إلى تُهَم أساسِية ضد شخص ما، فليس من الضروري، عادة، إضافة إهانة شخصية لتلك التُّهَمِ.

في معظم الحالات التي رأيناها، يُصبحُ الإعلاميون جارحين حين يكونون مرهقين أو خائفين. فالإرهاق يُوَلِّدُ عقدة «أضرب أو أهرب» المرتبطة بسيكولوجية التوتر: وكذا العدوان، سواء أكان حقيقياً أو مُتخيَّلاً، بالنسبة لمُستهدَفَكَ أو لك نفسك. لا تكن ساذجاً فَتَشُكَّ في أن هذا الأمر لن يحصل لك: بل يمكن أن يحصل، وسوف يحصل. كُنْ حذراً من هذا الخطر.

تأكد من أن ما تضعه في القصة ينجم عن خيارات واعية.

- أعْطِ المُسْتَهْدَفَ حقَّ الرَّد

لا تهاجم أبداً أبداً أشخاصاً في قصَّة دون إعطائهم فرصة ليردوا على برهانك. قد يقدمون توضيحاً سخيفاً. دعهم يفعلون ذلك. وقد يرفضون أن يقدموا أي تعليق. قل للمشاهد إنهم رفضوا الرد. دون أن تقول إن هذا ذنبهم. فليس مطلوبٌ من أحدٍ أن يتكلم إلى الصحفيين، ورفض ذلك ليس علامة ذنب. (على العكس من ذلك، لا تفترض أن الذي يريدُ أن يتكلم معك شخصٌ مُخلِصٌ وخَيِّر).

إننا نحضُّكَ على الاتصال بمصادر معادية أو مُستهدفين معادين مُبكراً، وفي الأغلب أثناء الاستقصاء، إلا إذا كان لديك سببٌ (أبعد من خوفِك) يجعلك تعتقد أنك ستتعرض لخطر نتيجة ذلك. وأكثر الأسباب أهمية لهذه الإستراتيجية هو أنه وحالما يشرح المُستهدَف وجهة نظره تبدو الفرضية فجأة خاطئة. حصل هذا لنا، وأحياناً ضاعت علينا أسابيع أو أشهر من العمل.

- إجراءٌ لاحترام مصادرك

في التلفزيون السويدي سي. في. تي. SVT ، يسألُ رئيس وحدة الاستقصاء نيلز هانسون Nils Hanson إعلاميّيه أن يتّبعوا الإجراء التالي ليضمنوا أن يكون نقدُهُم مُبَرَّراً.

- أولاً، راجع القصة وضع سطرا تحت كل نقدٍ لشخصٍ أو لمنظمةٍ أو لشركة.

- إسأل نفسك هل تم إخبار الطرف المُنتقد بكل نقد وُجِّه إليه؟ إن لم يتم إخباره، أخبره، إلا إذا كان لديك سببٌ قويٌّ جداً كي لا تفعل ذلك. (مثل أنك ستُسجن أو ستُقتل).

- هل قام الطرف المنتقد بالرد على كل نقد؟ إن لم يكن قد فعل، فذلك يعني وجود خطأ ما. وكان يجب أن يتم الحصول على هذه المادة مُبكِّراً.

- هل وثّق الإعلامي جهوده للحصول على جواب/ رد؟ تذكر أن عليك أن تجمع ذلك أثناء استقصائك.

- هل أُعطِي الطرف المُنتقد وقتاً معقولاً ليرد؟ فكلّما كان سؤالك أكثر تعقيداً، كلّما كان من حق الطرف الآخر أخذ المزيد من الوقت.

- هل الشخص الذي رد على النقد هو الشخص الصحيح؟ ستُدهشُ حين تعرفُ مدى استعداد إعلاميّ للاكتفاء بالتحدث مع سكرتيرة أو بوّاب صدف وأن أجاب على الهاتف مع أنه

ليس لديه أي فكرة عمّا يسأل الإعلامي عنه.

- هل أُعطي الطرف المنتقد فرصة ليعرض قضيته بأفضل ما يكون العرض؟ إن لم يحدث ذلك، فأنت تدوس على حقوقه، وبنفس القدر من الأهمية، قد تكون فقدت جزءاً مهماً من القصة.

- هل استجبنا لأية مطالب معقولة تقدَّم بها الطرف الذي أجرينا المقابلة معه ومفادها أن يتم إخباره مُقدّماً بكيفية إعادة تقديم إفادته؟ فمن المعقول لمصدر أن يسأل أن يُخبَرَ عن أي اقتباسات سوف تُستخدم في القصة، وأن يُسمح له بأن يُصحِّحها للدقّة (وليس لإزالة اعتراف أو معلومات). فليس معقولاً لمصدر أن يطلب رؤية كل قصتك. لا تُعْطِ مصدراً هذا الحق أبدا، إلا في حالة نادرة جداً عندما تكون القصة مُركّزة على ذلك المصدر، أو عندما يكون الموضوع مُعقداً جداً تكنيكياً بحيث يقلق المصدر من احتمال أن تفهمه بشكل خاطئ دون انخراطه المباشر. (ينطبق هذا الأمر، على سبيل المثال، على مواضيع علمية مُعينة.)

- إجراءات ضد المصادر الخطِرة

جمع درو سوليفان Drew Sullivan، الذي قام بتغطية رائعة للجريمة المُنظّمة في أوروبا الشرقية، قائمة إجراءات يجب أن تتبعها وأنت تتكلم مع رجال العصابات. وهذه الإجراءات تناسب أيضاً الاتصال مع مصادر معادية في أي استقصاء:



من بين كل ما هو أعلاه، فإن أهم شيء، من وجهة نظرنا، أن لا تُظْهِرَ خوفاً. فالخوفُ يُشير للاّعبين الآخرين أنك غير متأكد مما تفعله، أو أنك لا تثق بنفسك. والخوف يُشيرُ أيضاً إلى أنك خَطِيرٌ، لأن الحيوانات الخائفة أو الناس الخائفين لا يمكن توقّع أفعالهم: فهم يُهاجمون بسهولة مثلما يهربون بسهولة.

والخوف، طبعاً، طبيعيٌّ عندما تكونُ في حضور مخلوق خطير. وإحدى الطرق للتعامل معه أن تعتبرَ هذا الشعور ظاهرةً تدوِّنها لإجراء تحليل أبعد لها لاحقاً. وهذا يجعل مشاعرك موضوعية، ويُمكِّنك من النأي بنفسك مسافة معينة بعيداً عنها.

- أسلوب الشَّفافيَّة

وثمَّة أسلوبٌ آخرُ شبيه بأسلوب سوليفان، ولكنه أكثر شفافيّة وفاعليّة، اقترحته الحائزة على جائزة بوليتزر Pulitzer ديبورا نلسون Deborah Nelson. ففي كل مرحلة من مراحل استقصاءاتها، تشرح لكلِّ لاعبٍ جديدٍ في القصة ما تفعله وما وجدته حتى الآن. وتطلب تعليقاً على كل اكتشاف تكتشفه. استخدمت هذا الأسلوب لتروي قصة شرطي خلّف وراءه أثراً لدمارٍ طوال فترة عمله. ولأنها اتصلت به للتعليق على كل نقطة، فقد قال حينما قرأتْ له تقريرها النهائي، قبل نشره، "تلك قصة عظيمة. وهذا بالضبط ما أشعر به".

سوف يعترضُ بعضُ قرّاء هذا الدليل قائلين إنه من المستحيل التعامل بأسلوبٍ مُستقيم صادقٍ مع السُلطات أو أي مستهدَفين يتمتعون بالقوة في بلدانهم، ناهيك عن المجرمين. وإذا سألت "كيف لنا أن نتصل للتثبُّتِ من الاقتباسات قبل نشرها؟ سوف تنكر المصادر أنها قالت أي شيء! أو أنها ستقمع القصة قبل أن تُنشر!" نقول لك أنت تعرف الوضع في منطقتك أفضل مما نعرفه نحن.

ورغم ذلك، فإننا نعرف، من خبرتنا، أن للصحفيين تأثيرا أكبر على تلك الأوضاع مما يمكن أن يكونوا واعين له. وبالتحديد، إن تصرَّفت كأنما لك الحق والسلطة لتعمل بطريقة شفّافة، سيصدّقك كثيرون من مصادرك. وبالمثل، إن تصرفت كأنما أنت شجاع، ستكون مخاوفك أقل ظهوراً للآخرين.

وأيا كان الأسلوب الذي اخترته، تأكد من أنك تثق بأنه الأسلوب الصحيح، بعد أن تكون فكّرت فيه مليّاً. وسوف تكون مصادرك على علمٍ بهذه الثقة، أو بغيابها.

د . استخدام الملف الأساس في تدقيق الحقائق

في الفصل الخامس، رأينا كيف أن فتح ملف أساس، أو مجموعة من الملفات التي تُغطي جوانب مختلفة من الاستقصاء، يمكنها أن تساعدك في تنظيم معلوماتك وتجديدها.

إذا كُنتَ قد جمعتَ الملف الأساس بشكل ملائم، فيجب أن يكون فيه مصدرٌ لكل حقيقة في قصّتك. أنت لا تحتاجُ أن تضعَ كل مصادرك في القصة. ورغم ذلك، يمكنك، وفي حالات حسّاسة يجب، أن تضع توثيقاً لمصدرك بترتيبٍ يجعل التدقيقَ أسهل.

وسيقول لك الملف الأساس، إن كُنت جمعته بشكل ملائم، أين المادة التي تريدها، لأنك تكون قد أشرت إلى المصدر في كل حقيقة من حقائق الملف. إعمل نسخةً جديدةً من كل وثيقةٍ تستخدمها، وضع الوثائق في رزمة بترتيب استخدامها. هذا الأمر ضروريٌّ لمدقق الوثائق، ولك أنت أيضاً. وسوف تجد موادك بشكل أسرع مما إذا بحثت عنها في ملفّك الأساس، لأنه ستكون هناك دائماً وثائق لا تَستشهدُ بها في القصة.

لا تضحك، ولكن الطريقة الأسهل التي نعرفها للسير في هذه العملية هي أن تُحضِّرَ نسخةً ذات حواش من القصة، مع وضع اسم المصدر في هذه الحواشي. هذا الفِعْلُ يستغرق وقتاً، ولكن أي شخص يريد دائماً أن يُوفِّرَ وقتاً يعاني في النهاية. وذلك يجعل وضعَ الحواشي أمراً يستحق العناء في قصصٍ تتوقّعُ أن يردَّ عليها المُستهدَفون.

إذا استخدمتَ هذا التكنيك، لا تقمْ فقط بنسخ أوصاف المصدر من ملفّك الأساس ولصقها في الحواشي. فمن الأبرع أن تأخذ لحظة، في كل مرّة تستشهد فيها بمصدر، لتدقق في ما تكتبهُ ضد ذلك المصدر. تأكد من أنك لم تقم بإعادة صياغة أو تلخيص أو اقتباس بشكل غير صحيح. هذا الأمر يحصل معظم الوقت، وإذا شكا شخصٌ من القصة، ستجعلُكَ هذه الأخطاء الصغيرة تبدو مُهمِلاً.

تُوجد بضعُ حِيَل تجعل وضع الحواشي والتوثيق أقل عبئاً. فإذا كان المصدر مُدرجاً في صفحة إنترنت، يمكنك أن تُدخل عنوان الإنترنت URL في الحاشية. (ننصحك بإنزال صفحات الإنترنت التي قد تحتاج إليها كبرهان وثائقي، قبل أن تُنشر القصة، لأن من السهل جداً تغيير موقع إنترنت، وإذا حصل ذلك، فقد تخسر برهانك. قامت صحيفة "إنترناشنال هيرالد تربيون" International Herald

Tribune بحكمةٍ بإنزالِ موقع كامل مُكرَّس لمُستهدَف باستقصاء قبل أن يُنشر؛ في اليوم الذي نُشر الاستقصاء فيه. تمت إزالة الموقع من الإنترنت.) يمكنك أيضاً تحميل وثائق في صفحة إنترنت وتُرسل وصلة link إلى مُدقِّق الحقائق. أو أن تضعها في قرصٍ مضغوط CD.

تأكد من أن أية وسيلة إعلام إلكترونية تستخدمها آمنةً. كان أحد أصدقائنا يطور قصة عظيمة عن شركةٍ متعدِّدَة الجنسياتِ. ويستخدم موقعاً كمركز لتخزين الوثائق. التحق أحد إعلاميّيه بمنظمة أخرى، ونهبوا الموقع. لا تَدَعْ ذاكً يحصل لك.

هـ . تأثيرات سيكولوجية مُتوقّعة للتدقيق في الحقائق.

ستؤثِّرُ عملية تدقيق الحقائق بكل شخصٍ مُنخرطٍ فيها. والسؤال الوحيد الذي يُطرح هنا: كيف؟ يمكن أن تكون التأثيراتً متناقضة. لكنها لن تُلغي نفسَها بنفسِها.

أولاً. إن تدقيقكَ لمعلوماتِكَ لتتحققَ من مزاعمكَ سوف يُحيي العواطف التي شعرت بها حين جمعت المعلومات أول مرّة. فإذا كُنت. آنذاك. غاضباً أو خائفاً أو مُحْبَطاً. ستشعر بصدى ذلك الشعور. وما يُدهش أكثر. أنك قد تشعر بالشفقة على مُسْتَهْدَفي تحقيقك؛ وعادةً ما يكون الخوف هو الذي يقبعُ خلف ذلك الشعور المُحدَّد.

من الحكمة أن تُدَوِّنَ هذه المشاعر. فكما في عملية التغطية. فإن كتابة العواطف سوف تجعلها تتحول إلى مادة يُمكنكَ أن تُؤثر فيها وتتحكّم بها. وأحياناً. يمكنُكَ استخدام ما تكتبه في لحظات كهذه في القصة.

قد تُخطئ خطأً جوهرياً؛ والحل الأمثل في هذه الحالة هو أن تتحقق من عملك حول النقطة المعيّنة مرة أخرى.

ومن المؤكد تقريباً أنّك ستشعرُ، أو ستُدْفَعُ لتشعرَ، في لحظة ما من العملية، بأنك أسأت فهم شيء. قد يكون هذا القلق الغريزي عائداً لأسباب عديدة، لكنها ليست صحيحةً جميعاً بالضرورة.

ورغم ذلك، يُحتمل أيضاً أن تكون قد اكتشفت الحقيقة بالفعل، ولكنك تعتبرها كريهة، أو أن تبعاتِها مُخيفة، إلى حد تفضِّل معه أن لا تُصدِّقها. (حين اكتشفت آن - ماري كاستريه Anne-Marie Casteret أن موظفين كباراً في الدولة الفرنسية كانوا يبيعون منتجات دم ملوَّثة بفيروس الإيدز، تساءَلت لفترة قصيرة إن غَدَت مجنونة.)

مرة أخرى، الحل الأمثل هو أن تلقي نظرة قريبة أخرى على معلوماتك. إذا كانت المعلومات تُظهر أن العالم أكثر حزناً وأبشع مكاناً مما ظننت أنه ممكنٌ أبداً، فيمكنك أن تكون مطمئنّاً أن قصَّتَكَ قد تُغيّره.

إذا وقعت في خطأ، اعترف به في أقرب وقت ممكن - حين تكون قد فهمت لماذا وقع الخطأ. ويمكن لتلك المعرفة أن تساعدك في العثور على أغلاط أخرى.

لاحظ من فضلك: يقعُ عديدُ الأخطاء لأن العقلَ سيسعى طبيعياً لملء فجواتٍ في القصة بالتوقعاتِ. (إذا كنت قد شاهدت أبداً التَّحَرّي كولومبو Columbo ، فإن أحد تكنيكاته المفتاحيّة هو أن يدعو المشتبه بهم ليفعلوا ذاك بالضبط). ومن المحتمل جدّاً أن يلعبَ عقلُكَ هذه الحيلة عندما تؤلِّف استقصاءك. وذلك يحصل عندما تقول لنفسك، "لا أعرفُ بالضبطِ ماذا حصل، ولكن لا بد وأن الأمرَ وقع هكذا". عادة، يكون ما حصل حقاً أكثر إثارة. فإما أن تقول للقارئ إنك تتوقّعُ، أو تعترف بأنك لا تعرف. إن لم تكن تعرف شيئاً، فلن تكون مُخطئاً بقولك ذلك، وسوف تعزّزُ وزنَ ما تفعله الآن.



أخيراً، سيغضبُ المؤلفُ ومُدقِّقُ الحقائقِ الواحد من الآخرَ. إنهما يقومان بعملِهما في ظل ظروف ضاغطة جداً وبمخاطر عالية، وذلك لا يجعل الناس، عادةً، ألطف. ولهذا الأمر تبعاتٌ جديّةٌ، ويجب أن تُأخذ أسبابه وعلاجاته بجديّة أيضاً.

قد يشعر المؤلف أن كلَّ تحدٍّ لحقائقه وتفسيراته خيانةٌ. وفي مستوى آخر، قد يشعر المؤلف بوعي بأن مُتَلَقّيهِ الأول، مُدققُ الحقائق، إما لا يستطيع، أو يرفض، تصديق القصة. أو، قد يكون المؤلف مندمجاً في القصة، ويشعر أن كل حقيقة من حقائقها محفورة في جسده. وطبعاً، يمكن كشف هذه العواطف والتعامل معها مباشرة.

قد يقلقُ مُدقِّقُ الحقائقَ لأن الإعلامي قام بعمل غير جادٍّ، أو لأنه مشدودٌ جداً لعواطفه، وغير مستعد لتحسين العمل. ومثلُ هذا الصراع حتميٌّ، ولكنه سيكون أسوأ بكثير إن لم يلتزم الطرفان بجعل القصة أفضل ما يمكن . فإذا لم يستطع أي منهما، أو كلاهما، لأسباب تتعلق بالأنا أو الخوف أو العداء الشخصي، أن يثقا الواحد بالآخرَ للوصول إلى ذاك الهدف، فعليهما أن لا يعملا معاً.

ولذا من الجوهري أن يعرف الإعلاميُّ، في بداية المشروع الاستقصائي، مَنْ سيدقق حقائق القصة، وكيف سيعملان معاً. لا تترك هذه العلاقة إلى الدقيقة الأخيرة، لأنها إن أخفقتْ فيمكنها أن تُضَيِّعَ المشروع.



دليل أريج الفصل الثامن:

انْشُرْهَا

انْشُرْهَا

● مارك هنتر
Mark Hunter

العملية إلى الآن:

١- نكتشفُ موضوعاً.

٢- نطرح فرضيَّةً لنستقصيها.

٣- نسعى إلى الحصول على معلومات مصدر علني لنتحقق من الفرضيَّة.

٤- نسعى إلى جمع مصادر بشرية.

٥- ونحن نجمع المعلومات، نُنظمها – كي يكون سهلاً تفحُّصَها، وتأليفها في قصة، وتدقيقها.

٦- نضع المعلومات بترتيب سرديٍّ ونؤلِّفُ القصَّةَ.

٧- نقوم بمراقبة النوعيَّة لنتأكد من أن القصة صحيحة.

٨- ننشرُ القصة، وندعمُها وندافعُ عنها.

صرفتَ إلى الآن وقتاً وجهداً ثمينين في تعريفِ قصةٍ مهمةٍ وإثباتها. والآن سوف تنشرُها بطريقةٍ تثيرُ أكثر ردود فعل ممكنة وحراكا.

لماذا؟ كي لا يستمِرَّ شيءٌ لا بُدَّ أن يتوقف، أو يتغيَّر. وأثناء هذه العملية، قد يكون عليك الدفاعُ عن عملك أمام الرأي العام (ناقشنا من قبلُ كيف تقوم بإعداد نفسك لتدافع عن عملك في المحاكم). وسواء دافعت عنه أم لا، يجب عليكَ أن تدعم موقفك وتعدّ نفسك لأسوأ الاحتمالات.

لماذا؟ لأن الإعلاميَ المنعزلَ سيخسر دائماً. في أفضل الأحوال سيتمُّ تجاهله، فيظلُّ غير فاعلٍ. وفي أسوأ الأحوال، سيُعاقب. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تؤكد دراساتٍ مثل "صحافة الغضب" The Journalism of Outrage، أن أفضل عملٍ نعرفه حول كيفية قيام التغطية الاستقصائية بتحقيق نتائج، يكمن في إقامة تحالفات وجمع حلفاء لنجاح المشاريع الاستقصائية.

أكثر من ذلك، يشملُ الاستقصاءُ استثماراً في الوقت والمال والطاقة أكثر من التغطية التقليديّة. ومن الغباءِ الصارخ جداً جداً أن لا تقوم بخطوات لضمان أفضل عائدٍ لذلك الاستثمار. في الحد الأدنى، يجب أن تجني وسيلةُ الإعلام أكبرَ قدرٍ من الامتياز والإعجاب من عملها الاستقصائي، وأكبر قدر من وضوح الرؤيةِ لجمهورها، كما حدث في التحقيق الاستقصائي الذي قام به الزميلان حنان كسواني من صحيفة الغد الأردنية والزميل محمد الفضيلات من موقع البوابة الإلكتروني بإشراف شبكة أريج حول أفران شعبية تستعمل وقود سيارات مستعملا، مما يضر بالبيئة والمستهلك. ويمكن إقامة الدليل على أن وسائل الإعلام التي تقدم معلوماتٍ غنيَّةً ومُحْتَوىً مستقلاً لقرائها ومستمعيها ومُشاهديها تُحَقِّقُ فائدة أوفرَ من وسائل الإعلام التي لا تفعل ذلك. تأكَّد أن مُشاهديكَ يُقدِّرون قيمة ما يحصلون عليه.

وما يتبعُ هو خطواتُ الحد الأدنى التي يجب اعتبارها عند النشر والدفاع والدعم:

١- النشر

- إضمنْ أن القصةَ مُحرَّرَةٌ بشكل جيد. فقد يُدمِّرُ المحررون غير الخبراء بالاستقصاء أثر قصة بقَصِّ الحقائق الخاطئة. فكن مستعدّاً للقتال لما هو مهمٌّ، وللتنازل عمّا ليس مهمّاً.

- إضمنْ أن القصة مُوضَّحةٌ فوتوغرافيّاً وبيانياً بشكل ملائم. فالصور أو الرسوم البيانيَّة الضعيفة أو الغائبة ستجعل القصةَ عصيَّةً على الفهم وأقلَّ جاذبيَّةً.

- إضمنْ أن تحملَ القصةُ عناوينَ جيدةً.

- لا تدعْ مُحرِّراً يكتب عنواناً يسيء تمثيل عملك أو يُعلنَ شيئاً ليس في القصة.

- قاتل لتحصَلَ على الحد الأقصى من لفت الانتباه والمكان الأفضل في وسيلة الإعلام لقصَّتك.

٢. الدفاع في المنطقة العموميَّة

عندما تُنشر قصَّتك، أخبر المصادر الصديقة الأساسية، وتأكد من حصولهم على نسخ منها أو وصلات في الإنترنت ليُطلِعوا أصدقاءهم عليها. وافعل الشيء نفسه مع برلمانيين أو شخصيات سياسية مهتمّة بالمسألة.

قبل النشر بقليل، تأكد من أن يستلم زملاؤك في وسائل الإعلام أو المنظمات غير الحكوميَّة (NGOs (Non-governmental Organizations القصة ووثائق أساس استُشهد بها في القصة. فهم لن يكونوا قادرين على الحصول على هذه الوثائق بأنفسهم في فترة قصيرة، حين يحتاجون إليها، وسوف يكونون مُتردِّدين في الاستشهاد باستنتاجاتك دون دليل.

رتِّب مواعيدَ لمناقشة القصة في منتديات جماهيرية (وسائل إعلام أخرى، جامعات، جمعيات مواطنين، إلخ.).

توقَّع هجماتِ خصومِكَ المضادةَ، بناء على ردود أفعالهم إلى الآن (التي قد يكرِّرونها) وجهِّز قصصاً جديدةً تهدم دفاعاتهم. استخدمت آن- ماري كاستريه هذا التكنيك بنجاح كبير في فضيحة الدم الملوَّث، وكذلك حنان الكسواني عندما حاول نقيب أصحاب المخابز دحض نتائج تحقيقها في حلقة بث تلفزيوني

مباشر. مقابل كل اتهام كانت تخرج الأوراق ونتائج الفحوصات التي أجريت على عينات من العجين، والسناج.

٣. الدعم

جهِّز بياناً صحفيّاً عن القصة يُوضِّحُ استنتاجاتها الأساسية ببضع جُمل. وزِّعه على نطاقٍ واسعٍ حين تُنشر القصة.

فَكِّرْ بنشر القصة، بشكل مشترك، مع وسيلة إعلام غير مُنافسة، في الخارج أو في قطاع إعلامي آخر (مثل أن تكون مطبوعة إذا كنتَ تعملُ في راديو أو العكس بالعكس).

أخبر منتدياتِ الإنترنت أو مجموعاتِ المواطنين ذات الصِّلة بالقصة بعد نشرها.

وفي الختام

سواءً ظهرت قصّتك في وسيلة إعلامية كبيرة أو صغيرة، تأكّد من أن يلحظَها الناس الذين تُعتبر القصة مهمَّةً لهم. فإذا لم تُحقق نتائج أخرى، فستسمح لهم على الأقل أن يشعُروا بأن شخصاً ما اهتمَّ بقصتهم وحاول تسليط الضوء عليها بهدف تحسين الوضع القائم.

خُذْ وقتك وتمتَّع بردود الفعل على عملك. استمعْ للنقد، واستفدْ منه. سيعامُلك بعضُ الناس كنجم، مثلما حصل مع أغلب الزملاء والزميلات العرب من أنجزوا تحقيقات استقصائيّة بعد تلقيهم تدريبا نظريا على منهجية عمل الشبكة: استخدام أسلوب الافتراض كأساس للقصة التي تود بحثها. وفي حالات أخرى قامت وسائل إعلام منافسة بتقديم عرض عمل مثير للانتقال إليهم بهدف نشر ثقافة الصحافة الاستقصائية بعد التخرج مما أسموه بـ "مدرسة أريج".

إذا احتجتَ أن تعملَ على أمرٍ مُختلفٍ، إفعل ذلك. ربما تريد تغيير مناطقَ أو قطاعاتِ عملك. وربما تريد أن تدرسَ شيئاً يقود إلى نتيجة، بدلاً من شيء لا يقود إليها. تذكَّر دائماً أنك مع كل استقصاءٍ جديدٍ ستغدو أقوى وأكثر خبرةٍ.

وأينما ذهبت، خُذْ طرق عملك المنهجية معك، وسوف تنجح. نحن نعرف ذلك، لأننا مررنا بنفس التجربة.

الفصل الثامن:

مرحباً بك مرة أخرى في شبكة أريج التي تعمل في العالم العربي منذ عام ٢٠٠٦ من أجل تعزيز مهارات جيل جديد من صحافي القرن الواحد والعشرين بأتباع منهجية عمل «مهجنة» تزاوج أفضل الممارسات الاستقصائية في العالم الغربي الذي سبقنا كثيرا، مع واقعنا المهني، واحتياجاتنا الإعلامية، وثقافتنا العربية والموروث الديني، والثقافي، والاجتماعي.

نتمنى حظا سعيداً لجميع الإعلاميين العرب الذين قرروا العمل بحسب منهجية أريج.



دليل أريج الفصل التاسع:

مقومات الثقافة القانونية للإعلاميين

الفصل التاسع:

مقومات الثقافة القانونية للإعلاميين

● المحامي محمد قطيشات

قبل الغوص في «مهنة المتاعب» على الصحافي بشكل عام والاستقصائي بشكل خاص أن يتمتع بثقافة قانونية. كقاعدة عامة: «لا يعتبر جهل القانون عذرا لمن ارتكب أي جرم» بحسب قانون العقوبات الأردني وأغلب النصوص القانونية العربية.

تبقي الثقافة القانونية مهمة لآي صحفي لأنها تعرفه بحقوقه فيستطيع ممارستها إلى الحد الأقصى دون خوف، كما تساعد على توجيه أسئلة دقيقة وتضمن عدم تجاوز حقه والتعدي على حقوق الآخرين. بحسب ما تعلم أغلب الإعلاميين العرب الذين دربتهم في دورات شبكة أريج، فإن معرفة حقوقهم تساعدهم على إبداء رأيهم، وتعتبر أول وسيلة للدفاع عن النفس إذا تعرض لاتهام ما أو منع من دخول وزارة ما. كما أنه من الصعوبة بمكان استشارة قانونيين حول كل صغيرة أو كبيرة خاصة عند تنامي ضغط العمل. أضف إلى ذلك أن أغلب المؤسسات الإعلامية العربية، بخلاف نظيراتها الغربية، لا تفرغ ضمن كادرها أي محام متخصص في شؤون الإعلام.

وقبل الدخول في هذا الدليل التدريبي لابد من ذكر أهم المعايير التي يجب الالتزام بها في وسائل الإعلام ومنها الصحافة المكتوبة:

١- توثيق المعلومات، ومراعاة الدقة في نشرها، والالتزام بحق الرد.

٢- عدم نشر أخبار مبهمة أو مبالغ فيها.

٣- احترام الحياة الخاصة للمواطنين.

٤- احترام الأديان والعقائد وعدم إثارة النعرات العنصرية والطائفية.

٥- عدم نشر صور فاضحة أو استخدام ألفاظ مبتذلة.

٦- مراعاة أدبيات نشر الجريمة بشكل عام، خاصة عندما يكون المجني عليه طفلا.

٧- فصل الرأي عن الخبر.

٨- الحقيقة لا يحتكرها أحد، لكن كل واحد قد يملك جزءا منها.

٩- الدقة والموضوعية والنزاهة.

١٠- حق الرد.

الحفاظ على سرية مصادر المعلومات.

وبما أن الصحافة الاستقصائية هي الصحافة القائمة على توثيق المعلومات والحقائق باتباع أسلوب منهجي وموضوعي بهدف كشف المستور وإحداث تغيير للمنفعة العامة، بحسب شبكة أريج. ولأن الصحافة الاستقصائية تهدف إلى كشف الأخطاء والتجاوزات كون الموضوع المراد كشفه يهم الناس أو المجتمع ولأن هدف الصحفي من خلالها يكون الوصول إلى الحقيقة وبالتالي كشف الجهة المسؤولة عن استمرار الأخطاء وليس البحث عن النجومية الشخصية.

فلابد في هذا الدليل من التركيز على مرحلتين:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة قيام الصحفي بأعمال الاستقصاء والتحقيقات والحصول على المعلومات.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة نشر المادة الصحفية الاستقصائية بعد إعدادها وصياغتها بأسلوب صحفي.

المرحلة الأولى: قيام الصحفي بأعمال الاستقصاء والتحقيقات والحصول على المعلومات.

البحث عن المعلومات:

١- يجب على الصحفي الامتناع عن الحصول بطريق غير شرعي على المعلومات. فسرقة المعلومات من مصادرها هو أمر يعاقب عليه القانون، خاصة إذا كانت مصنفة سرية.

٢- وهنا يجب التفريق بين نشر أصل الوثائق التي صنفت على أساس أنها سرية وبين نشر مضمون هذه الوثائق. فنشر أصل الوثيقة السرية أو صورة عنها يعاقب عليه القانون ولكن نشر مضمونها فإنه أمر غير معاقب عليه، خاصة مع وجود حق للصحفي في كتمان مصدر معلوماته.

٣- يجب على الصحفي الابتعاد عن انتحال الشخصية: وهنا يجب الانتباه إلى طبيعة الشخصية المنتحلة، فانتحال صفة رسمية مثل شرطي أو موظف هو أمر معاقب عليه، ولكن القانون بذات الوقت لا يعاقب على انتحال صفة مريض مثلاً إلا إذا كان العمل الذي يقوم به بموجب الشخصية المنتحلة معاقبا عليه قانوناً مثل انتحال صفة متسول، فالتسول معاقب عليه قانوناً.

٤- يجب على الصحفي الامتناع عن تصوير أي شخص دون الحصول على إذنه بالتصوير وكذلك الحصول على إذنه بالنشر، هذا مع عدم الإخلال بحق الصحفي بتصوير الشخصيات العامة أو الأحداث العامة دون إظهار تلك الشخصيات بمظهر يحط من احترامها وسمعتها وكرامتها.

٥- يجب على الصحفي دوما تحري الحقيقة والمعلومات الصحيحة، على أن القانون ينظر أيضاً إلى مقدار الجهد الذي يبذله الصحفي بحسن نية في السعي وراء المعلومات، إذ يجب على الصحفي بذل العناية والحرص وواجب التمحيص والتدقيق على المعلومات وهذا الأمر أحد أهم معايير حسن النية التي يسعى القضاء لاستظهارها خلال نظره لأي قضية إعلامية معروضة عليه.

٦- على الصحفي عدم قبول أي رشاوى مهما كان مصدرها أو نوعها.

فالرشوة جريمة يعاقب عليها القانون بغض النظر كون الصحفي راشِيا أم مرتشِيا. ويجب الانتباه إلى مسألة شراء المعلومات وهو القالب الذي توضع

فيه الرشوة عادة في الصحافة الاستقصائية وهي مسألة يتحمل الصحفي مسؤولية المخاطرة في اتباعها إذا تمكنت النيابة العامة من إثبات الصحفي بالقيام بها.

توثيق المعلومات : وهو ما يسمى قانوناً بإثبات "صحة المعلومات":

١- على الصحفي أن يحدد المصادر بكل وضوح، فكل معلومات غير معرفة يجب أن تدعم على الأقل بمصدر أو مصدرين.

٢- يجب على الصحفي أن يسعى لتوثيق المعلومات: فالقانون يلزم الصحفي بتقديم الأدلة القانونية على صحة المعلومات الواردة في المادة الصحفية الاستقصائية. وبدون هذا الإثبات يعرض الصحفي نفسه للمسؤولية القانونية.

٣- القانون لا يأخذ بالصور الفوتستاتية كدليل كامل في الإثبات وإنما يجب إن تدعم بدليل أو قرينة أخرى مثل شهادة شاهد معين. وفي حال تعذر الحصول على الأصل لأي سبب كان مثل كونه سريا، فيجوز للصحفي الطلب من المحكمة جلب تلك الوثيقة من مصدرها. ويستخدم هذا الحق عادة في الحالات التي يكشف عن فساد مالي أو إداري معين بجهة حكومية معينة بموجب تقارير تحقيق رسمية مثل تقارير لجان أو دوائر مكافحة الفساد أو الرقابة والتفتيش.

٤- يمكن استخدام التصوير (الفوتوغرافي أو الحي) والتسجيل الصوتي المباشر من قبل الصحفي كدليل استئناسي حيث لا يعتبر القانون مثل هذا التسجيل دليلا قانونيا كاملا وإنما لابد من تدعيمه بدليل قانوني آخر مثل شهادة الشهود أو أي دليل مادي كامل.

٥- للصحفي إثبات صحة المعلومات وتوثيقها بأي دليل قانوني، وهنا لابد من الانتباه إلى أن يكون هذا الدليل منتجا أي أن يكون فعلا من شأنه إثبات صحة المعلومات أو الوقائع التي تتضمنها المادة الصحفية الاستقصائية.

٦- للصحفي كتمان مصدر معلوماته ولكنه الوحيد المسؤول أمام القانون عن مصداقية المعلومات وصحتها.

المرحلة الثانية: نشر المادة الصحفية الاستقصائية بعد إعدادها وصياغتها بأسلوب صحفي.

أولاً :النزاهة والموضوعية والتوازن في عرض المادة الصحفية الاستقصائية:

جرم القانون على مخالفة النزاهة والموضوعية وعدم احترام الحقيقة والحياة الخاصة للناس. وحقيقة لا يمكن وضع معيار منضبط لفكره التوازن أو الموضوعية.

كيف يتجنب الصحفيون مخالفة النزاهة والتوازن والموضوعية؟

١- عبر بذل الجهد والتحري عن صحة المعلومات، إذ إن القضاء يفترض أن على الصحفي أن يبذل جهدا في التحري عن المعلومات التي يحصل عليها وأن يعرض آراء مختلف الأطراف بشكل محايد، وأن يتثبت من صحة المعلومات الواردة في المادة الصحفية.

٢- عبر التذكر أن القضاء يقيم علاقة تبادلية بين صحة المعلومات ودقتها وبين النزاهة والتوازن والموضوعية فكلما كانت الحقائق الواردة في المادة الصحفية صحيحة كلما كانت تلك المادة موضوعية ونزيهة ومتوازنة.

٣- كذلك يفرض القضاء على الصحفي عند عرض الخبر ألا يضفي عليه مبالغة أو تستعمل فيه عبارات توحي للقارئ بمدلول مختلف له أو أن يستعمل الكاتب أسلوبا بالكتابة يلجأ فيه إلى استعمال عبارات تدل على التهكم والسخرية في غير مواطنهما المباحة.

٤- ابد من إثبات أن الأقوال أو الآراء المنشورة صادرة عمن أخذت منه:

يقرر القضاء في كثير من أحكامه أنه يجب على الصحفي أن يقدم لقاضي الموضوع الأدلة القانونية لإثبات أن الأقوال والآراء المنشورة في المادة الصحفية هي صادرة عمن نسبت إليه، وبخلاف ذلك فإنه يعتبر أن نشر مثل تلك الأقوال والآراء مخالف للتوازن والموضوعية والنزاهة.

٥- لا بد من نشر ذات الأقوال و الآراء وبذات المقاصد والمعاني وأن توضع بذات القوالب والمعاني وأن تستخدم على الوجه والغاية التي أخذت من أجلهما.

بعد أن يثبت لدى قاضي الموضوع أن الأقوال أو الآراء أو حتى التعليقات صادرة عمن نسبت إليه فإنه يبحث في الطريقة التي وضعت بها تلك الأقوال أو الآراء أو التعليقات وفيما إذا كانت بذات الألفاظ والعبارات وما هي المواضع التي أسقطت فيها وهل تهدف إلى ذات المعاني التي يريدها ممن صدرت عنه أم أنه قد تم استغلالها في مواضع أخرى؟

ويعتبر القضاء أن أي تحريف لحقيقة الأقوال والآراء والتعليقات أو وضعها في غير القالب أو المعنى الذي أراده صاحبها فعلاً مجرماً لأنه يخالف النزاهة والموضوعية والتوازن.

ويلحق بهذه الأفعال أيضا نشر جزء من التعليقات أو الآراء دون نشرها كاملة بحيث يفهم منها معنى آخر غير المعنى الذي يريده صاحبها أو لا يعبر عن رأيه بشكل كامل.

أو حتى نشرها في مواضيع أو تحقيقات أخرى غير الذي أخذت من أجله أساساً.

٥- لا بد من طرح كافة الآراء والردود بشكل محايد:

يتطلب القضاء في العديد من قراراته أن يتم أخذ كافة الآراء المعنية أو الردود الواردة عليها بشكل متوازن بحيث ألا يُغيّب رأي ذو علاقة بالموضوع عن التحقيق الوارد في المادة الصحفية.

والحياد المطلوب في هذا المقام هو إتاحة ذات الفرصة والمساحة لكافة الآراء ودون أن يكون هناك أي تعليق على أي منها.

على أنه لا بد من الإشارة إلى أن هناك بعض الآراء ليس بالضرورة أخذ الردود عليها من الأطراف المعنية الأخرى وذلك في الحالات التي تكون المادة الصحفية هي مادة نقدية تتوافر فيها شروط استعمال حق النقد. ففي هذه الحالة لا يعيب المادة الصحفية قانوناً عدم أخذ رأي أو رد الموظف العام أو من في حكمه مثلاً إذا كانت المادة الصحفية تنتقد أداءه الوظيفي طالما كانت الواقعة صحيحة وثابتة وتهم المصلحة العامة واستخدمت فيها العبارات المتلائمة مع الموضوع وكانت عبارات النقد موجهة أساساً لعمله لا لشخصه قدر الإمكان وصيغت تلك المادة بحسن نية.

٦- يجب عدم نشر الأقوال والآراء التي أخذت بطريق الحيلة والخداع.

في بعض الأحيان قد يلجأ بعض الصحفيين للتنكر عند إجراء التحقيقات الاستقصائية من أجل أخذ أقوال يصعب أخذها إذا علم الشخص أنها ستنشر في الصحافة. وفي مثل هذه الأحوال التي تأخذ فيها الأقوال بالحيلة والخداع لا بد أن يقف الصحفي وقفة تفكير متأنية قبل نشرها لأن هناك العديد من القرارات القضائية التي تجرم مثل هذا النشر. وتعتبره نوعا من عدم التوازن وانتهاك حرمة الحياة الخاصة للمواطنين.

ويلحق بهذا الالتزام واجب آخر وهو عدم نشر الصور دون أخذ الموافقة على النشر وفي هذا المجال لا بد من مراعاة القواعد القانونية الواردة في قانون حق المؤلف النافذ. إذ إن القضاء إنما يعتبر المادة الصحفية التي تخالف أحكام التشريعات السارية إنما هي بذات الوقت مادة صحفية غير موضوعية وغير متوازنة.

٧- يجب عدم نشر المعلومات غير الصحيحة.

يجب عدم نشر المعلومات غير الموثقة بموجب بينات قانونية كافية. (سلامة الوثائق)

يقيم القضاء في العديد من قراراته علاقة تبادلية بين صحة المعلومات وبين النزاهة والموضوعية. فكلما كانت المعلومات أو الوقائع الواردة في المادة الصحفية صحيحة كلما كانت متوازنة وموضوعية.

ولذلك فإن القضاء يقر بحق الصحفي في إثبات الوقائع الواردة في المادة الصحفية ولكن بذات الوقت يجب أن تكون البينات التي سيقدمها الصحفي هي بينات قانونية بالدرجة الأولى وأن تكون كافية لإثبات الوقائع المنشورة.

٨- في المواد الصحفية الخبرية :

يجب تحري الدقة عند نشر الأخبار (دقة الخبر).

تحري دقة الخبر يرتبط ارتباطا وثيقاً بالتوازن والموضوعية من وجهة نظر القضاء تماماً كصحة المعلومات. حيث يعتبر القضاء أن تحري دقة الخبر قبل نشره واجب على الصحفي وعلى المطبوعة أيضاً بحيث يجب أن تقدم للقارئ ما يتفق والحقيقة.

عدم تجهيل الخبر (يجب نسبة الخبر إلى مصدره):
يرى القضاء أن تجهيل الخبر هو خروج عن الموضوعية والنزاهة. وتجهيل الخبر يعني عدم نسبة الخبر إلى مصدر يمكن التحقق من صحته عن طريق الرجوع إليه، أو حتى مصدر معروف بالوصف دون الاسم ويرى الصحفي أن من حقه الحفاظ على سريه المصدر، ويعتبر عدم إسناد الخبر إلى مصدر من أهم العيوب المهنية التي يمكن أن يقع فيها الإعلاميون وأهل القلم.

ثانياً: الذم والقدح والتحقير وحق النقد:

جرّم القانون جرائم الذم والقدح الموجهة لأحاد الناس وللموظف العام وللهيئات المعنوية وبذات الوقت أباح حق النقد بشروط معينة.

كيف يتجنب الصحفيون الوقوع في الذم والقدح وكيف يستخدمون حق النقد؟:

يجب التفرقة في مجال الذم والقدح بين حالتين: حالة فيما إذا كان الشخص موضوع المادة الصحفية من آحاد الناس. والحالة الثانية: فيما إذا كان الشخص موضوع المادة الصحفية موظفا عاما أو من في حكمه مثل الشخصيات العامة.

ففي الحالة الأولى لا يجوز ذم أو قدح أي شخص، ولا يجوز إثبات أيضاً أن موضوع الذم والقدح أيضاً صحيح إلا في حالة واحدة وهي تعلق الموضوع كله بالمصلحة العامة وكان بحسن نية.

أما الحالة الثانية فلا بد للصحفيين أن يتبعوا القواعد التالية:

١- أن تكون الوقائع صحيحة وثابتة:

لقد استقر القضاء على أن ثبوت الواقعة وصحتها هي أحد أهم الشروط لممارسة الصحفي لحق النقد وبتخلف هذا الشرط يتخلف حق النقد ككل.

٢- أن تكون عبارات المادة الصحفية متلائمة مع الموضوع وأن تكون مما يهم الجمهور. يعتبر تلاؤم عبارات المادة الصحفية مع أهمية الموضوع، وكذا الأهمية الاجتماعية للموضوع محددين أساسيين لإباحة حق النقد وهو ما يتجه إليه

القضاء بشكل عام، ويعتبر عدم توافره دليلا علي سوء نية.

٣- إذا أراد الصحفي عدم ذكر اسم شخص معين أو إيراد واقعة مبهمة فإنه يجب أن ينتبه إلى أنه إذا كانت هنالك قرائن لا يبقى معها تردد في نسبة تلك الإسنادات إلى المعتدى عليه وفي تعيين ماهيتها، وجب عندئذ أن ينظر مرتكب فعل الذم والقدح كأنه ذكر اسم المعتدى عليه وكأن الذم أو القدح كان صريحا من حيث الماهية.

اعتبر القضاء أن محاولات البعض إخفاء اسم المعتدى عليه ولكن الإشارة إليه بإشارات يعرف منها أو يمكن أن يعرف منها لا أثر لها في وقوع الجريمة، ويعتبر القضاء أن الذم أو القدح في تلك الحالة يعتبر وكأنه قد تم صراحة، فالمداورة في الأساليب الإنشائية في كل الأحوال مخبثة أخلاقية شرها أبلغ من شر المصارحة[1].

٤- يجب أن لا تكون هناك مصلحة خاصة أو دوافع شخصية للصحفي من نشر المادة الصحفية.

من المستقر عليه في القضاء أنه فيما لو ثبت أن للناشر مصلحة خاصة فيما نشر، أو أن هناك شبهة انتقام من المشتكي فإنه لا يمكن لمثل هذا الصحفي ان يعتصم بحق النقد، أو يطلب إعفاءه من العقاب بحجة أن دافعه للكتابة كان المصلحة العامة.

وتذهب محكمة النقض المصرية إلى أن هذه الأساليب لا تخفى حقيقة المعنى ولا تعين المتوسل بها على الفرار من المسئولية ولا تنجيه من العقاب وقد قالت محكمة النقض فى 27 شباط/فبراير سنة 1933 بان « المداور فى الأساليب الإنشائية بفكرة الفرار من حكم القانون لا نفع فيها للمداور ما دامت الإهانة أترائي للمطلع خلف ستارها وتستشعرها الأنفس من خلالها . إنما تلك المداور مخبثة أخلاقية شرها أبلغ من شر المصارحة فهي أحرى بترتيب حكم القانون»، وقضت بهذا المعنى أيضا فى 1933/4/24 وقالت « إن العبارات أو الأساليب الملتوية قد يظن الكاتب أنها تخفى مراده إلا أنها لا تزيده فى أنفس القراء إلا ظهورا وتوكيدا » وبهذا المعنى أيضا فى حكم أصدرته فى 1933/12/11 قالت فيه «ليس للقاذف أن يتعلل بكون المقال الذي عقد من أجله موضوعا فى قالب أسئلة وإنه لم يكن يعلم أن الأسئلة يعاقب عليه القانون إذا لا عبرة بالأسلوب الذي تصاغ فيه عبارات القذف فمتى كان المفهوم من عبارات الكاتب انه يريد إسناد أمر شائن إلى شخص المقذوف فإن ذلك الإسناد يكون مستحق العقاب أيا كان القالب أو الأسلوب الذي صيغ فيه وبهذا المعنى أيضا حكم 1939/12/25.



دليل أريج الفصل العاشر

أخلاقيات المهنة الصحفية

أخلاقيات المهنة الصحفية

● يحيى شقير

تتحقق مصلحة المجتمع بقيام وسائل الإعلام بدورها عبر ثلاثة أسس رئيسية هي:

١- مهنية جيدة للإعلاميين.

٢- بيئة تشريعية تضمن الحريات الإعلامية. (يعرف فيها الإعلامي حقوقه وواجباته، والمباح والمعاقب عليه).

٣- الالتزام بأخلاقيات المهنة.

إن أي خلل في واحد أو أكثر من هذه الأسس يشكل انتهاكا لحق المواطن في المعرفة، ويؤثر على دور السلطة الرابعة في الرقابة كحارس على المصلحة العامة.

تلعب المواثيق دورا مهما في حماية المهن شأنها شأن أي مهن أخرى..

ويعتقد واضعو هذه الأخلاقيات أنه إذا تبنت وسائل الإعلام هذه المبادئ وطبقتها فستزداد مصداقية الصحافة وزيادة ثقة الجمهور بما يعني في النهاية زيادة مبيعاتها واشتراكاتها وإعلاناتها.

ينص إعلان اليونسكو ١٩٧٨ بشأن إسهام وسائل الإعلام في دعم السلام والتفاهم الدولي، وتعزيز حقوق الإنسان، ومكافحة العنصرية والفصل العنصري والتحريض على الحرب على ضرورة: نشر وجهات نظر أولئك الذين قد يرون أن المعلومات التي نشرت أو أذيعت على الملأ بشأنهم قد ألحقت ضررا جسيما (المادة ٥). كما ينبغي للمنظمات المهنية وللأشخاص الذين يشتركون في توفير التدريب المهني للصحفيين، إيلاء أهمية خاصة للمبادئ الواردة في هذا الإعلان لدي وضعهم قواعد السلوك المهني الخاصة بهم وضمان تطبيقها (المادة ٨).

في العمل الإعلامي هناك عدة مواثيق شرف أو أدلة للسلوك المهني:

١- دولية: كميثاق شرف الفدرالية الدولية للصحفيين[٢].

٢- إقليمية: مثل ميثاق شرف الصحفي العربي الصادر عن اتحاد الصحفيين العرب[٣].

٣- وطنية: مثل ميثاق شرف الصحفيين الأردنيين[٤].

٤- داخلية: وهي مواثيق أو أدلة تضعها المؤسسة الإعلامية للعاملين فيها.

ما يجمع هذه المواثيق هو:

١ - نابعة من الإعلاميين أنفسهم بدون ضغوطات.

٢- ليس لها قوة قانونية إنما أخلاقية.

هناك قواسم مشتركة بين مواثيق شرف أو أدلة للسلوك المهني تقع ضمن المسؤولية الاجتماعية للصحفي والإعلامي:

١- الحقيقة: الحقيقة لا يحتكرها أحد، لكن كل واحد قد يمتلك جزءا منها.

٢- الدقة والموضوعية والنزاهة.

٣- فصل الخبر عن الرأي.

٤- احترام الرأي الآخر: وهو رأي الحكومة و المعارضة والأقلية، وعلى الصحافة ضمان تعددية الآراء لإيجاد سوق حر للأفكار.

---

٢ أنظر نص الميثاق: http://www.ifj.org/en/pages/journalism-ethics

٣ نص الميثاق: http://www.faj.org.eg/charter.asp#

٤ أنظر نص الميثاق http://www.jpa.jo/arabic/CodeOfEthics.aspx

٥- تضارب المصالح: ويقع تحتها الهدايا وتقبل أو البحث عن مصالح شخصية.

٦- الإعلانات: يجب فصل التحرير عن تأثير الإعلانات. (المبالغة في ايجابيات الشركات المعلنة، وتقليل سلبياتها، أو عدم نشر الحقيقة مراعاة للمصالح الإعلانية).

٧- الحفاظ على سرية مصادر المعلومات.

٨- حق الرد.

ولمزيد من الضمانات عمدت بعض المؤسسات الإعلامية إلى تعيين Ombudsman يقوم من تلقاء نفسه أو بناء على شكوى بفحص إن كانت المادة الإعلامية تتوافق مع معايير السلوك المهني.

إن عدم التزام الصحفي بأخلاقيات المهنة واحترامها قد يؤدي إلى إدانته في بعض القضايا إذا تم رفع قضية ضده.

المادة ٧: آداب مهنة الصحافة وأخلاقياتها ملزمة للصحفي، وتشمل:

أ ـ احترام الحريات العامة للآخرين وحفظ حقوقهم وعدم المس بحرمة حياتهم الخاصة.

ب ـ اعتبار حرية الفكر والرأي والتعبير والاطلاع حقا للصحافة والمواطن على السواء.

ج ـ التوازن والموضوعية والنزاهة في عرض المادة الصحفية.

د ـ الامتناع عن نشر كل ما من شأنه أن يثير العنف أو يدعو إلى إثارة الفرقة بين المواطنين بأي شكل من الأشكال.

كما تحظر المادة (٤٢) من نفس القانون على الصحفي ممارسة أي عمل آخر غير المهنة الصحفية بما في ذلك الأعمال التجارية وتمثيل الشركات في أعمالها التجارية والصناعية، وممارسة المهنة الصحفية بصورة تخالف التشريعات النافذة وميثاق الشرف الصحفي، والقيام بأي عمل أو تصرف يتنافى مع كرامة المهنة أو يسيء إلى النقابة أو إلى أعضائها، وقبول أي هبات أو تبرعات مالية أو عينية أو مساعدات أخرى مهما كان نوعها أو صورتها.

كما يعاقب قانون نقابة الصحفيين على مخالفة آداب المهنة المواد ٢٦- ٥١ من قانون النقابة، وقد تصل عقوبة مخالفتها إلى المنع النهائي من ممارسة المهنة. (قرار المجلس التأديبي بالمنع المؤقت من ممارسة المهنة، ولو ليوم واحد، يعني حرمان الصحفي مدى الحياة من أن يكون نقيبا للصحفيين أو عضو مجلس أو رئيس تحرير).

وفي تقرير المجلس الأعلى للصحافة في مصر (٢٠٠٨) تبين أن الصحف القومية هي الأقل التزاما بالميثاق وأن أهم انتهاك كان خلط الإعلان بالتحرير، أما الصحف الحزبية فكانت الأكثر التزاما بالميثاق وكان أهم انتهاك قامت به هو نشر أسماء الأطفال الضحايا.

وفي الصحافة الاستقصائية بشكل خاص فإن الالتزام بأقصى درجات النزاهة هو أكثر من واجب مهني، بسبب ما قد تتضمنه هذه التحقيقات من اتهام أناس بالفساد أو سوء الإدارة أو الذم.

ويكمن إضافة مبادئ حول أخلاقيات المهنة للصحافة الاستقصائية تتمثل بما يلي:

١- لا تكذب.

٢- لا تسرق (وثائق من مكتب موظف أو مسؤول).

٣- لا تنتحل شخصية غير أنك صحفي، كأن تدعي بأنك موظف أو تاجر وغير ذلك. (هناك حالات تجيز فيها بعض المؤسسات ذلك كحل أخير إذا لم تكن هناك أي وسيلة أقل ضرراً للحصول على المعلومات.

٤- لا تدفع أية أموال لقاء الحصول على المعلومات خاصة من الموظفين العموميين، فقد يعتبر ذلك رشوة بالقانون. (إن دفع أتعاب لمختبر مثلا لتحليل عينة مياه جائز، وكذلك الطلب من مدقق حسابات دراسة ميزانيات معينة أو إفهامك ماذا تعني التحويلات.

٥- لا تصور أو تسجل بدون إذن أو تتجسس على مراسلات الآخرين. (في حالات خاصة ربما يضطر الصحفي الاستقصائي إلى التصوير أو التسجيل بدون إذن، بشرط استنفاد الطرق الأقل ضرراً للحصول على المعلومات.

ميثاق شرف الفيدرالية الدولية للصحافيين

يتم اعتماد هذا الإعلان العالمي بمثابة معيار للأداء المهني للصحافيين الذين يقومون بجمع ونقل وتوزيع المعلومات بالإضافة إلى أولئك الذين يقومون بالتعليق على الأنباء أثناء تناولهم للأحداث.

١- احترام الحقيقة وحق الجمهور في الوصول إليها هو أول واجبات الصحفي.

٢- خلال أدائهم لعملهم سيقوم الصحافيون وفي جميع الأوقات بالدفاع عن الحرية من خلال النقل الأمين والصادق للأنباء ونشرها وكذلك الحق في إبداء تعليقات وآراء نقدية بشكل عادل.

٣- سيقوم الصحفي بنشر تلك الأنباء وفقا للحقائق التي يعلم مصدره فقط ولن يقوم بإخفاء معلومات هامة أو تزييف وثائق.

٤- سيستخدم الصحفي وسائل مشروعة للحصول على الأنباء أو الصور أو الوثائق.

٥- سيقوم الصحافي ببذل أقصى طاقته لتصحيح وتعديل معلومات نشرت ووجد بأنها غير دقيقة على نحو مسيء.

٦- سيلتزم الصحفي باتباع السرية المهنية فيما يتعلق بمصدر المعلومات الذي يطلب عدم إفشائه.

٧- على الصحفي التنبه للمخاطر التي قد تنجم عن التمييز والتفرقة اللذين قد يدعو إليهما الإعلام. وسيبذل كل ما بوسعه لتجنب القيام بتسهيل مثل هذه الدعوات التي قد تكون مبنية على أساس عنصري أو الجنس أو اللغة أو الدين أو المعتقدات السياسية وغيرها من المعتقدات أو الجنسية أو الأصل الاجتماعي.

٨- سيقوم الصحفي باعتبار ما سيأتي على ذكره على أنه تجاوز مهني خطير: الانتحال، التفسير بنية السوء، الافتراء، الطعن، القذف، الاتهام على غير أساس، قبول الرشوة سواء من أجل النشر أو لإخفاء المعلومات.

٩- على الصحافيين الجديرين بصفتهم هذه أن يؤمنوا أن من واجبهم المراعاة الأمينة للمبادئ التي تم ذكرها. ومن خلال الإطار العام للقانون في كل دولة، وفيما يخص القضايا المهنية على الصحفي أن يراعي استقلالية زملائه باستثناء أي شكل من أشكال التدخل الحكومي أو غيره.

مواقع الكترونية مفيدة حول أخلاقيات المهنة الصحفية:

American Society of Newspaper Editors statement of principle
http://www.asne.org/kiosk/archive/principl.htm

Radio-Television News Directors Association & Foundation ethics guidelines
http://www.rtnda.org/ethics/ethicsguidelines.shtml

Associated Press Managing Editors code of ethics
http://www.asne.org/ideas/codes/apme.htm

Gannet Newspaper Division principles of ethical conduct for newsrooms
http://www.asne.org/ideas/codes/gannettcompany.htm

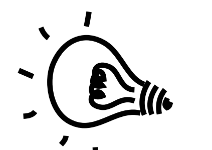
Society of Professional Journalists
http://spj.org/spj_ethics.asp

Codes of Ethics of American newspapers
http://www.asne.org/ideas/codes/codes.htm

European media codes of ethics
http://www.uta.fi/ethicnet

International media codes of ethics
http://www.ijnet.org/code.html

International journalism organizations codes of ethics and links to other ethics topics
http://www.preswise.org.uk/ethics.htm







دليل أريج الفصل الحادي عشر:

من أين تأتي بأفكار قابلة للتحويل إلى فرضية تصلح كأساس لتحقيق استقصائي؟

من أين تأتي بأفكار قابلة للتحويل إلى فرضية تصلح كأساس لتحقيق استقصائي؟

- وسائل الإعلام: الإنترنت، المطبوعات المتخصصة والدورية، والجرائد المحلية وملاحق الإعلانات والملصقات (البوسترات)، والرزنامات الثقافية.

- اتصالات شخصية لك مع المسؤولين وأصحاب التخصص في القطاعين الخاص والعام لبلورة أفكار قد تخرج أثناء نقاشات، أو بناءً على الاستماع لشهود عيان في المحكمة أو مكان حصول الحادث.

- أو بطلب مباشر من رئيس التحرير كما حصل مع د. مارك هنتر في متابعة قصة «الطفل دو».

إضافة إلى ذلك، يستطيع أي إعلامي أن يبحث في القطاعات التالية للحصول على أفكار استقصائية:

- حوادث تحصل لشاحنات أو حافلات أو قوارب قد تكون محملة بأكثر من طاقتها.

- طرق سريعة في حالة رديئة.

- مقالع حجارة تعمل داخل أحياء مكتظة بالسكان تلوث البيئة وتهدد صحة الإنسان.

- مكبات نفايات المستشفيات كما حصل مع الزميل حمود المحمود في سورية، أو تسرب مياه الصرف الصحي إلى منابع مياه الشرب ما يؤدي إلى تلويثها كما حصل مع الزميل أياد خليل من سوريا في تحقيقٍ حول تلوث مياه نبع السن بالمياه المالحة.

- التحرش الجنسي الجسدي أو اللفظي في أماكن العمل في غياب تشريعات رادعة كما حصل مع الزميلة رنده حيدر (سوريا).

- استمرار بيع الأدوية والأطعمة المنتهية صلاحيتها بسبب ضعف الرقابة والتشريعات الرادعة كما حصل الزميل منصور الزيود (الأردن) والزميلة دنيا العزام (الأردن).
- سلامة العمال في المصانع.
- وسلامة وسائط النقل الجوي أو البحري أو البري.
- تنامي عمالة الأطفال.
- الغش في مواصفات البناء.
- تعسف أو أذى بمارسة رجال دين يختبئون وراء تعاليم الله والتابوهات الاجتماعية.
- غياب ملاحقة أطباء أو ممرضين مقصرين تجاه مرضاهم.
- جوائز اليانصيب الخيري.
- مبيعات العقارات للأجانب والعرب.
- تعاطي المخدرات والمنشطات الممنوعة في عالم الرياضة.
- نظافة مطابخ المقاهي والمطاعم الشعبية والمصنفة.
- أغذية مكشوفة تباع على جوانب الطرقات.
- نظافة الحمامات في المدارس كما حصل مع الزميل صلاح العبادي (الأردن).
- العنف في المدارس، بما فيه التحرش الجنسي، واللفظي، والعقاب.
- تهريب المخدرات إلى السجون.
- الإهمال داخل دور الأيتام وبيوت المسنين.
- سوء استعمال الموارد المالية في مؤسسات المجتمع المدني غير الحكومية.
- سوء تطبيق الأنظمة القضائية
- هدر أموال الشعب لشراء ذمم النواب عبر منح وبعثات سفر مكررة.
- بعثات الحج و الكوتات الممنوحة للحجاج في كل بلد.
- عملية ترخيص المهنيين من أطباء، ومهندسين، وصيادلة، وممرضات، بين الواقع والتطبيق.
- الهدر في صرف أدوية مدعومة من أطباء القطاع العام بسبب ضعف الرقابة.
- نوعية الخدمات البنيكة والاتصالات.
- تطويع ثغرات في نظام التقاعد المبكر تفتح الباب لهدر الموارد.

- إساءات يتعرض لها ذوو الاحتياجات الخاصة داخل دور الرعاية.

- ممارسات غير قانونية داخل مشافي الأمراض العقلية.

- طرق التخلص من نفايات العيادات الطبية الخاصة.

- طرق التخلص من النفايات الكيميائية.

- في ظل غياب تشريعات قانونية تسهل حق الحصول على المعلومات من القطاعين العام والخاص في أغلب الدول العربية، باستثناء الأردن -- بإمكان الإعلامي استعمال عدة طرق قانونية للوصول إلى المعلومات مفتوحة بشكل منتظم للعامة وأهل الصحافة. كُن خلاقاً وفكر دائما كيف تفتح شباكا إذا أغلق الباب في وجهك. علمتنا التجربة في عالمنا العربي أن أغلب الإعلاميين قاموا بتعويض نقص التشريعات التي تسهل الحصول على المعلومات بشبكة من العلاقات الاجتماعية والشخصية وصلة القربياضافة كما يفترض ان تكون هناك موارد اخرى متاحة للجميع مثل:

- التشريع المصدق (القوانين السارية بعد أن استكملت كافة المراحل الدستورية وصوت عليها البرلمان).

- الأصوات البرلمانية: كيف يصوت البرلمانيون على القوانين.

- المناظرات البرلمانية، داخل وخارج القبة.

- قوانين العمل.

- القوانين الانتخابية.

- المساهمات الانتخابية في حملات التمويل.

- الإحصائيات الرسمية (على جميع المستويات).

- الأرشيف الوطني.

- السجلات التاريخية غير المنظمة.

- رخص المؤسسات التجارية الخاصة لدى سجل الشركات في وزارة التجارة.

- رخص القيادة وتسجيل السيارات.

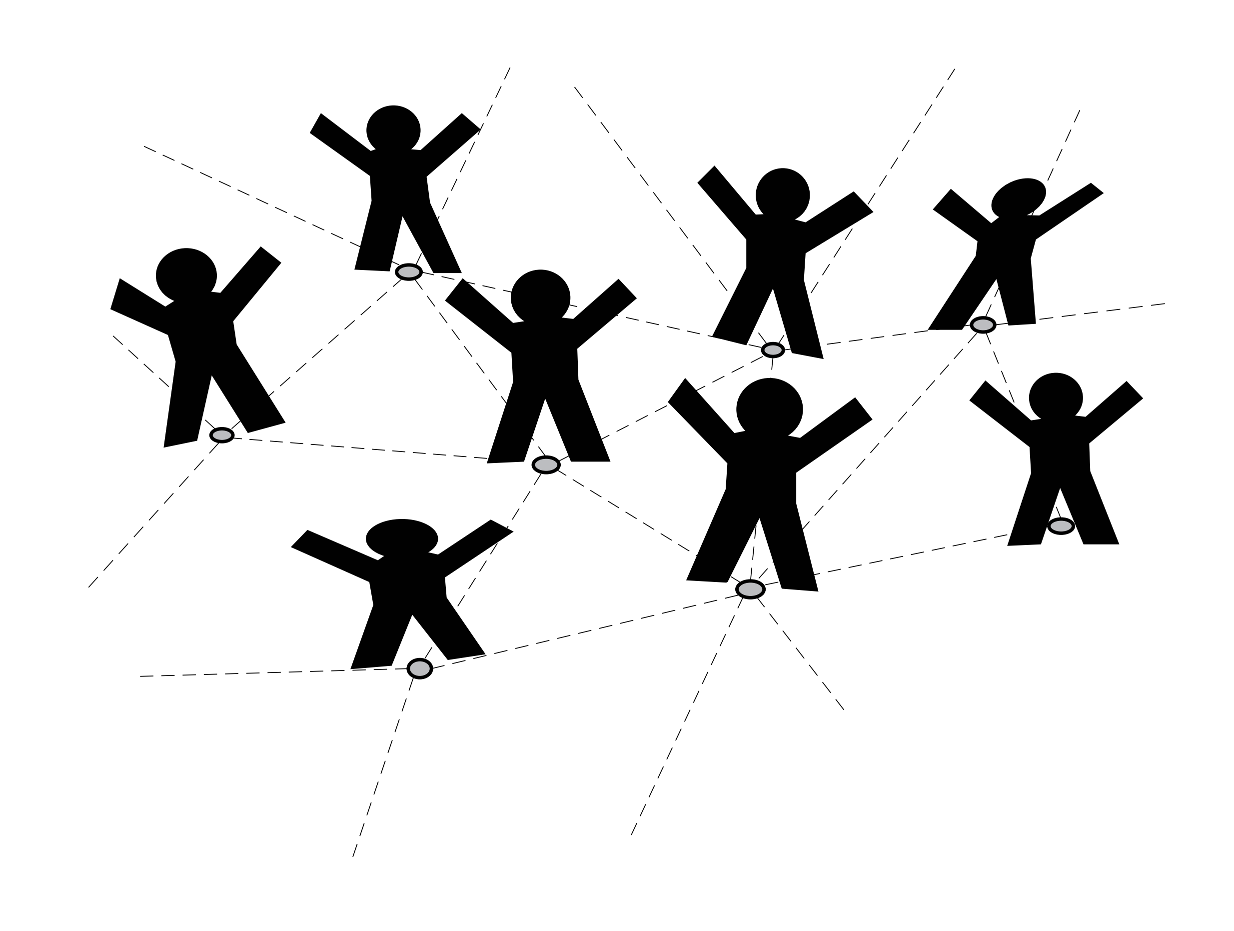
- صكوك الملكية (الأراضي والمباني).

- الصفقات العقارية.

- التقارير المصرفية السنوية.

- التقارير الخاصة بالمؤسسات العامة.
- إعلانات الإفلاس.
- الشركات الأجنبية المسجلة.
- المنظمات غير الحكومية.
- الجمعيات التي لا تتوخى الربح.
- جمعيات حماية المستهلك.
- الأحزاب السياسية (معلومات عن تسجيلها، قوانينها الداخلية، إلخ).
- بيانات بأسماء المسافرين (معلومات عن الركاب من وكلاء سياحة وسفر).
- المدارس الخاصة.
- السجلات الطبية للمرضى.
- مؤسسات العناية الصحية الأخرى.
- دليل الهاتف.
- دليل المؤسسات التجارية.
- دليل الشركات على الشبكة العنكبوتية.
- دليل الهيئات الأهلية.
- الكتيبات السياحية.
- دليل النقابات.
- الخرائط الوطنية.
- أرشيف الصحف وقواعدها البيانية.
- أرشيف المطبوعات ومؤسسات البحوث.
- أرشيف المكتبات الجامعية.
- أرشيف المتاحف.
- سجلات الأشخاص الخاصة.
- مواقع الانترنت والأرشيف الخاص بها.
- المدونون.

- قواعد البيانات المدفوعة الأجر مثل فاكتيف ولكسس- نكسس.
- تقارير المؤسسات الرقابية: مثل ديوان المحاسبة، المركز الوطني لحقوق الإنسان، هيئة الاتصالات المرئية والمسموعة.
- جمعية حماية المستهلك.
- مطبوعات إعلانية مجانية متخصصة في: العقار، التوظيف، التجارة.



دليل أريج الفصل الثاني عشر:

نماذج عمل زملاء شبكة أريج في الأردن، وسورية، ولبنان

نماذج عمل زملاء شبكة أريج في الأردن، وسورية، ولبنان

قام الرعيل الأول من الإعلاميين الذين عملوا مع الشبكة وأسسوا لأنفسهم مكانة عاليه فيها بسبب التزامهم بإتقان عملهم ومساعدتنا على ترويج مفهوم الصحافة الاستقصائية كثقافة ومسلكية في الأردن، وسورية، ولبنان، ومصر، على توثيق منهجية عملهم في مضمار صحافة "الحفر والنبش".

إيمانا من الشبكة بتعميم المنفعة، نرفق لكم تجارب الصحفيين حمود المحمود وعلي حسون وبثينة عوض وراما نجمة (سوريا) وفاطمة رضا (لبنان) وسهير جرادات وحنان كسواني ومحمد فضيلات (الأردن) من الزملاء والزميلات حسب معايير معتمدة حول العالم في مجال توثيق العمل الاستقصائي.

التحقيق الأول:

١- عنوان القصة، مجموعة القصص، أو المسلسل وأسماء الناس الذين عملوا على هذه القصة (أي اسم القصص أو مجموعة القصص، والصحفي والمشرف).

الجزء الأول: مشاف تداوينا في الداخل وتمرضنا في الخارج.

الجزء الثاني: محارق النفايات الطبية إلى ازدياد بحكم القانون.

اسم الصحافي: حمود المحمود

اسم المشرف: د. مروان قبلان

٢- تاريخ (تواريخ) نشرها أو بثِّها.

نشرت في صحيفة الثورة السورية الجزء الأول ٢٠٠٧/١/٢٩ والثاني ٢٠٠٧/١/٣٠

٣- موضوع وفرضيَّة القصة أو المسلسل.

محارق النفايات الطبية في المشافي السورية تعمل خلافاً للمعايير الدولية وتنشر غاز الديوكسين المسرطن على السكان المجاورين.

٤- كيف بدأت القصة (معلومة سريَّة من أحدٍ ما، تكليف، إلخ.).

من خلال بحث جامعي حول النفايات الطبية الصلبة، حيث أشارت الباحثة في آخره إلى أنّها تعتقد أنّ محارق النفايات الطبية الموجودة في سورية يصعب أن تحقق الشروط التي تفرضها منظمة الصحة العالمية نظراً لقدم المحارق وارتفاع تكلفة معالجة الغازات الناجمة عنها.

٥- هل تغيَّرت فرضيَّتُك أثناء البحث؟ ما أثر التغيير على القصة؟

كانت الفرضية في البداية أنّ المحارق نفسها ومهما كانت المعايير التي تعمل عليها فهي ستسبب انتشار غاز الديوكسين المسرطن، ولكن بعد البحث تبيّن أنّ هذا الرأي ورغم أنّه قوي وتتبناه منظمة الصحة العالمية، إلاّ أنّ مؤسسات وخبراء لا زالوا يجادلون على المحارق ويعتبرونها وسيلة جيدة في حالات معينة لمعالجة النفايات الطبية، وأنّها لن تسبب أي غازات مضرّة إذا عملت وفقاً لمعايير درجة الحرارة التي تزيد عن ١٢٠٠ درجة ومعالجة كاملة للغازات، لذا فقد عدلت الفرضية لتخرج من هذا الجدل غير المتفق عليه إلى أنّ المحارق الموجودة في سورية تخالف هذه المعايير الصحية، وبالتالي فهي تسبب انتشار غاز الديوكسين المسرطن.

٦- أصنافُ الوثائقِ الأساسُ المُستخدمة.

- سجلات مرضى السرطان في سورية.
- دراسات عربية وعالمية عن المحارق وآثارها.
- شروط مناقصات المحارق في سورية.

- الخطط الرسمية لوزارة الإدارة المحلية والبيئة حول معالجة النفايات الطبية.
- مصادر المحارق السورية وشركاتها الموردة عن طريق مواقعها عبر الانترنت.
- وثائق ودراسات من منظمة الصحة العالمية.
- سجلات التوزع الجغرافي للأمراض في سورية.

٧- كيف حصلتَ على الوثائق؟

(مركز الطب النووي للسرطان في سورية، وزارة الصحة ومديرياتها، المشافي التي تحتوي على محارق، منظمة الصحة العالمية مكتب سورية، وكالة Gtz الألمانية لمعالجة النفايات في سورية، الخبير الياباني المقيم في وزارة الإدارة المحلية والبيئة في سورية، وزارة الإدارة المحلية والبيئة، الهيئة العامة للبيئة، شبكة الإنترنت (مواقع الشركات الموردة للمحارق، وموقع منظمة الصحة العالمية، وموقع وكالة البيئة الأمريكية، موقع Greenpeace).

٨- هل واجهتك صعوبات في الوصول إلى المعلومات في غياب قوانين حق الحصول على المعلومات والوثائق في العالم العربي (حيث لم يسن قانون إلا في الأردن)؟ كيف قمت بحلها؟

واجهت الكثير من الصعوبات على رأسها التردد في إعطاء المعلومات، وقد عالجتها أولاً بالصبر والاستمرار بتقديم الطلبات الرسمية وفقاً للتسلسل الإداري.

وثانياً: اللجوء إلى مكتبة الأسد الوطنية والتي وجدت فيها مراجع كبيرة لم أتوقعها.

وثالثاً: بالاعتماد على بعض قارعي الجرس , (Deep Throats) وهم مصادر داخل المؤسسة دافعهم غالبا المصلحة العامة.

٩- هل واجهتك صعوبات في الحصول على أية معلومات إلكترونية استخدمتها؟ كيف قمت بحلها؟

واجهت صعوبات في قلة المعلومات المحلية على النت، وكذلك عدم القدرة على التحقق من بعض الدراسات ومصداقيتها، لذا استعنت بخبراء في مجال الصحة والبيئة.

١٠- هل واجهتَ أية صعوباتٍ في الحصول على إحصاءات موثقة؟ وكيف تغلّبت على هذه المشكلة؟

واجهت صعوبات في الحصول على معلومات موثقة من وزارة الصحة ومن بعض المشافي التي لديها محارق لذا اعتمدت على .(Deep Throats)

١١- أصناف المصادر البشرية الأساسية المُستخدمة؟

١٢- كيف عثرت على المصادر؟

(متضررون من سكان مجاورين للمشافي: من خلال زيارات ميدانية للمحافظات الخمس الأكثر تضرراً، خبراء في البيئة والصحة: عن طريق لقاءات مباشرة واتصالات عبر الإيميل، مدراء المشافي ومسؤولي المحارق: من خلال لقاءات مباشرة تضمنت تقديم كافة الإجراءات الرسمية، خبراء منظمة الصحة العالمية: عن طريق مكتب دمشق، وثائق: عبر الخبراء وعبر مكتبة الأسد الوطنية، وبعض الـ Deep Throats).

١٣- نتائج التقرير (إن وُجِد) – أي هل حصل تغيير في سلوك المتسبب (المتسببين)؟

صدرت قرارات بوقف محرقة المشافي التالية: المشفى الوطني في اللاذقية، ابن خلدون في حلب، مشفى الأطفال في دمشق، كما ظهر وعي متزايد لدى الناس ووسائل الإعلام بحيث لم تتوقف الكتابات عن خطر هذه المحارق منذ نشر التقرير في العام ٢٠٠٦ وحتى الآن.

١٤- متابعة (إن وُجِدَ التقرير). هل أجريت أية تصحيحات أو توضيحات على التقرير، أو هل تقدَّم أيُّ شخص ليتحدَّى دقَّتَه؟ إذا كان الجواب بنعم، وضِّح ذلك لطفاً.

لم تظهر أية تصحيحات على التقرير، بل يمكنني القول إنّها المرّة الأولى التي أكتب فيها تحقيقاً يوجه أصابع الاتهام لمؤسسات محددة دون أن أتلقى الرد التكذيبي كما كان يحصل سابقاً، بل على العكس تلقيت ردوداً إيجابية ووعودا بإيقاف المحارق.

١٥- ما هي النصيحة التي تستطيع تقديمها لصحفيين آخرين

يُخططون لمشروعٍ مشابه؟

أنصحهم بأن يؤمنوا فعلاً بأنّ هنالك أبواباً مفتوحة دائماً وعليهم أن يبحثوا عنها.

١٦- أية صعوبة، أو أية ظروف أخرى واجهتها لها صلة بهذا المشروع.

عندما بدأت لقاءات الأسر المجاورة للمشافي كان الناس يتحفظون من الاعتراف بوجود حالات سرطان أو تشوهات ولادية ضمن الأسرة. وهذا يحتاج لوعي ومساع بالتعاون مع بعض الوجهاء والمخاتير.

١٧- مدى الوقت الذي تطلَّبته تغطية القصة وكتابتها وتحريرها – من الألف إلى الياء.

استغرق العمل نحو ستة أشهر.

١٨- هل دعمك مسؤولك/رئيس التحرير في العمل من حيث السماح لك بأخذ أجازة طويلة لتتفرغ للتحقيق؟ وفي حال كان الجواب كلا، وّضح لنا كيف استطعت التوفيق بين مهام التغطية الإعلامية اليومية والتحقيق الاستقصائي؟ حصلت على إجازة لمدة شهر واحد، وتم توفيق المواعيد الأخرى بتحديد أوقات وأيام محددة خلال الأسبوع لمتابعة الموضوع.

١٩- إذا استخدمت بكثافة مهارات تغطية مدعومة بالكمبيوتر، أجبْ عن الأسئلة التالية من فضلك:

أ- هل استخدمتَ بكثافة أية مصادر إنترنت؟ إذا كان الجواب بنعم، ضَعْ من فضلك العنوان (العناوين) ووضِّحْ كيف كان الموقع (المواقع) مفيداً لك.

موقع الجمعية الدولية لأطباء البيئة حول دراساتهم عن المحارق والغازات المنتشرة منها. www.isde.org

موقع الوكالة الدولية لأبحاث السرطان حول مسببات المرض وأضرار الديوكسين. www.iarc.fr

موقع منظمة الصحة العالمية والدراسات التي جرت من خلالها حول المحارق وحول معالجة النفايات الطبية. www.who.int

موقع منظمة السلام الأخضر والدراسات التي جرت بإشرافها على المحارق. www.greenpeace.org

موقع مخبر الديوكسين وتأثيراته على المتعرضين له.

www.dioxinlab.com

موقع وكالة جايكا اليابانية ودراساتها في دول العالم حول المحارق ومعالجة النفايات الطبية. www.jica.go.jp

موقع النادي الليبي للمخلفات الطبية وهو أشهر موقع عربي في هذا المجال.

www.libyanmedicalwaste.com

موقع أخبار البيئة السوري للتزود بمعلومات حول تجارب سورية في معالجة النفايات. www.mlae-sy.org

موقع وزارة الإدارة المحلية والبيئة للاطلاع على المخطط التوجيهي والمشروعات التي تعلن عنها الوزارة رسمياً لمعالجة نفايات المشافي.

ب- هل حصلت على أية قاعدة معلومات إلكترونية أو بنيتَها؟ إذا حصلت على معلومات، ماذا كان اسمُها ومصدرها؟ كم كانت التكلِفَة؟ إذا كنتَ قد بنيتَ قاعدة (قواعد) معلومات خاصة بك، فأي سجلّاتٍ استخدمتَ؟

لم أحصل، بل كان الحصول بشكل مباشر عبر المكاتب الرسمية للجهات الرسمية والدولية أو عبر المعلومات المتاحة مجاناً على مواقعها الإلكترونية.

ج- هل واجهتك صعوبات في المعلومات نفسها؟ كيف تغلَّبت عليها؟

كنت بحاجة لمعرفة تفسير بعض المعلومات وشرحها بشكل علمي، وقد استعنت بالخبراء المحليين والدوليين المقيمين في سورية لهذه الغاية.

د- هل تمَّ أيُّ تحليل؟ إذا كان الجواب بنعم، ما هو؟

لم يجر أي تحليل لأنّ تحليل وجود مادة الديوكسين في جسم إنسان أو في

الطعام والشراب غير موجود سوى في مخبرين عالميين واحد في بريطانيا والثاني في أمريكا.

هـ- هل تمّ تحليل المعلومات من قبل مُوظّفيكَ أم استُخدمت مساعدة خارجيّة؟ من ساعدك؟

تمت الاستعانة بخبراء مثل: مثل جايكا المقيم في سورية، الخبير السوري الذي وضع المخطط التوجيهي للنفايات الطبية مع شركة تريفالور الفرنسية، خبير النفايات الطبية ومعالجتها مع وكالة GTZ الألمانية في سورية ولبنان.

و- ما هي البرامج الإلكترونية المُحدَّدة التي استخدمتها؟

تم استخدام برنامج EXCEL لترتيب محاور ومراحل الموضوع وفقاً للجدول الزمني.

التحقيق الثاني:

١- عنوان القصة، مجموعة القصص، أوالمسلسل وأسماء الناس الذين عملوا على هذه القصة (أي اسم القصص أو مجموعة القصص، والصحفي والمشرف)

عنوان القصة : عشرات السنين واللجان والقرارات لم تكن كافية...

قطينة المنكوبة بالتلوث بانتظار معجزة تعيدها إلى الحياة.

اسم الصحفي : علي حسون والمشرف د. مروان قبلان

٢- تاريخ (تواريخ) نشرها أو بثِّها.

أول نيسان/إبريل ٢٠٠٧ في مجلة الاقتصاد والنقل وبالتزامن تم نشرها في موقع سيريانيوز.

٣. موضوع وفرضيّة القصة أو المسلسل.

فرضية القصة كانت كما يلي: «التلوث الناتج عن معامل الأسمدة الكيميائية ومجموعة ملوثات أخرى يؤدي إلى ازدياد أعداد المصابين بالسرطان والعقم والتشوهات الخلقية في منطقة قطينة».

٤- كيف بدأت القصة (معلومة سريّة من أحدٍ ما، تكليف، إلخ.).

بدأت القصة عبر قراءتي للعديد من الأخبار والتصريحات والتصريحات المضادة عن هذه المنطقة، وكان الحديث عن استمرار هذه المشكلة عبر عشرين سنة دون وجود حل، والمعاناة التي يعاني منها السكان هي الدافع الأساسي بالنسبة لي للحفر عميقا في تفاصيلها ومعرفة الحقائق كما هي.

٥- هل تغيَّرت فرضيَّتُك أثناء البحث؟ ما أثر التغيير على القصة؟

لم تتغير الفرضية على الإطلاق ذلك أن مرحلة البحث الأولي عن الموضوع كانت طويلة نسبيا وتأكدت خلالها بالبحث الميداني من معظم الفرضيات التي وضعتها والتي تحولت لاحقا بفعل التوثيق الدقيق إلى حقائق لا تقبل النقض.

٦. أصنافُ الوثائقِ الأساسُ المُستخدمة.

كان هناك العديد من الوثائق المستخدمة بدءا بالدراسات التي قامت بها الجهات العامة المعنية مباشرة بالمشكلة وتداعياتها (معامل الأسمدة، مديرية صحة حمص، مديرية البيئة، مديرية الموارد المائية، محافظة حمص، ومراسلات بين كل الجهات السابقة مع وزارات البيئة والصحة والري ورئاسة مجلس الوزراء)، إضافة إلى دراسات مستقلة لخبراء وأطباء ومهتمين بالبيئة.

٧. كيف حصلتَ على الوثائق؟

عبر طرق عديدة: فأولاً عبر الجهات التي أصدرتها رغم تحفظها على الإفراج عنها بدايةً، ولكن مع إقناع هذه الجهات بأهمية هذه الوثائق لإثبات الفرضية وانعكاس الموضوع على الجميع. في النهاية كان بالإمكان الحصول عليها بعد تقوية العلاقة مع هذه الجهات، ثم عن طريق بعض الأشخاص المتضررين من المشكلة الذين اقتنعوا بأنّ من مصلحتهم إعطائي هذه الوثائق، وثالثاً من باحثين ومهتمين بالموضوع (مستقلين) كالأطباء والباحثين الاختصاصيين بموضوع التلوث والآثار الناجمة عنه.

٨. هل واجهتك صعوبات في الوصول إلى المعلومات في غياب قوانين حق الحصول على المعلومات والوثائق في العالم العربي (حيث لم يسن قانون إلا في الأردن)؟ كيف قمت بحلها؟

بالتأكيد، فالجميع كان متحفظاً في الفترة الأولى التي امتدت لأكثر من

أسبوعين بدءاً بالأهالي الذين يئسوا من أي إمكانية لحل الموضوع المتواصل منذ عشرين سنة، مروراً بالجهات الرسمية التي ورغم معرفتها بحجم الكارثة إلا أنها تفضل عدم إعطاء أي وثائق خوفاً من أية مسؤولية تتحملها بعد نشر الصحافة لهذه المعلومات، وخاصة العقلية السائدة التي تقول إنّ تسريب مثل هذه الوثائق قد يسبب فضيحة ويشوّه سمعة البلد، أو قد يثير الرعب في قلوب الناس. وأيضاً البيروقراطية والروتين اللذان كانا حاضرين في كل تفاصيل العلاقة مع الجهات العامة عبر سياسة تضييع الوقت وتمييع الموضوع واعتباره أمراً عادياً لا يستحق كل هذه الضجة، وبالتالي كل هذا الاهتمام، كما أن الذريعة الأخرى أنّ بعض الوثائق سرية ولا يجوز الحديث عنها لأنها بين وزارة وأخرى أو بين وزارة ورئاسة الحكومة..!

استطعت تغيير معظم هذه الآراء وإقناع الناس أولاً (ممّن يحتفظون بوثائق أو بعض الأطباء والممرضين الذين شاركوا في المسوحات الصحية) بأنّ الأمر في النهاية هو لمصلحة البلدة المنكوبة وبأنها تستحق المحاولة رغم يأسهم جراء تجاهل الحكومة للموضوع عبر عشرين سنة، وثانياً من خلال طمأنتهم بأنه لا داع للخوف من تسريب هذه الوثائق طالما هي صحيحة ومعترف بها من قبل الجهاتٍ العامة التي شاركت فيها، وبالتالي لا مسؤولية قانونية قد تطالهم نتيجة تسريبها، والتأكيد لهم بأنهم لن يكونوا معروفين كمسربين لهذه الوثائق.

أما الجهات العامة فكان عبر العديد من الزيارات والتأكيد لهم بأنّ المسألة ليست ضدهم بل ضد التلوث والمرض، وبأنهم يجب أن يشاركوا في حل الموضوع وبأنهم جزء من الحل وليس المشكلة، وبالتالي عليهم عرض كل الحقائق لإيجاد حل يناسب حجم المشكلة، وأحياناً حُلّت بعض المشاكل عبر علاقات شخصية ووسائط بين هذه الجهات مع بعضها (أي بالتوسط مع طرف لإقناع طرف آخر غير مقتنع أو متردد).

٩- هل واجهتك صعوبات في الحصول على أية معلومات إلكترونية استخدمتها؟ كيف قمت بحلِّها؟

لا صعوبات تُذكر لأنّ الموضوع أساساً لم يكن بحاجة إلى الكثير من المعلومات عبر الإنترنت ولأنها مشكلة محلية وبالتالي الحقائق مصدرها محلي ومتاح، ماعدا عدّة معلومات كانت تتعلق بتأكيد بعض الدراسات العلمية والأقوال المنسوبة لاختصاصيين كتأثير المعادن على صحة الإنسان والنسب العالمية المعتمدة للإصابة ببعض الأمراض موضوع البحث في قطينة.

الإحصائيات أيضاً كانت موجودة ولكن احتاج الإفراج عنها لبعض البحث والملاحقة لمصادرها الحقيقية، ذلك أنّ بعض الإحصائيات كانت قديمة وتحتاج إلى تجديد، وهنا كانت الاستعانة بخبراء وأطباء ومختصين تحدثوا عن الأرقام الجديدة بناء على معايشتهم اليومية وخبرتهم الواقعية.

١١- أصناف المصادر البشرية الأساسية المُستخدمة؟

أصناف المصادر البشرية كانت ثلاثة: أولاً الأهالي المتضررون من المشكلة بمن فيهم المرضى وذووهم، وثانياً الأشخاص الاعتباريون الذين هم في مواقع المسؤولية كرئيس البلدية ومدراء الصحة والبيئة والمعامل المسببة للتلوث والموارد المائية ومحافظ حمص، والقسم الثالث هو الخبراء بمن فيهم الأطباء الذين يشخصون هذه الحالات والخبراء في المعادن ومختصون في الجامعات باختصاصات تفيد الموضوع مدار البحث لتأكيد أي دراسة أو رأي أو حالة وعرضها عليهم.

١٢. كيف عثرت على المصادر؟

عبر علاقات شخصية بشكل أساسي، وخاصة الأهالي وثانياً عبر أشخاص آخرين على علاقة بهم كما حصل مع محافظ حمص، وباللقاء المباشر في معظم الأحيان ولكن لأكثر من مرة مع كل منهم وإنشاء علاقة ثقة معهم.

١٣- نتائج التقرير (إن وُجِد) – أي هل حصل تغيير في سلوك المتسبب (المتسببين)؟

بعد أقل من شهر على نشر التحقيق، أصدر محافظ حمص محمد إياد غزال قراراً بنقل معامل الأسمدة (المسبب الرئيسي للتلوث) إلى منطقة صحراء تدمر، كما أفرج عن قرار حكومي كان مجمداً منذ سنوات بتخصيص منطقة معينة في الصحراء لإقامة هذه المعامل، واستجرار المياه إليها من نهر الفرات بعد أن كانت المشكلة الرئيسية التي تعيق عملية النقل هي عدم وجود مياه. وفعلاً تم البدء بإجراءات جر المياه، كما صدرت قرارات بإعادة تأهيل المنطقة المنكوبة فور نقل المعامل، وأعتقد أنّ الموضوع حرّك ساكناً في مستنقع موجود منذ عشرين سنة وتحدثت عنه الصحافة مراراً ولكن للمرة الأولى طُرح بشكل استقصائي يعتمد على الحقائق والحقائق فقط.

١٤- متابعة (إن وُجِدَ التقرير). هل أجريت أية تصحيحات أو توضيحات على التقرير، أو هل تقدّم أيُّ شخص ليتحدّى دقّتَه؟ إذا

كان الجواب بنعم، وضِّح ذلك لطفاً.

في الواقع لم تجرِ أي تصحيحات على التقرير. ذلك أن المعلومات والحقائق كانت متماسكة ومحكمة ولا تحتاج إلى أي تصحيح. كما أنّ أياً كان لم يتقدّم بأي شيء ضد الموضوع أو أي معلومة من شأنها التشكيك بصحة أي معلومة واردة في التحقيق. لا بل جاءت التأكيدات على صحة الموضوع ودقته عبر العديد من الرسائل الإلكترونية على موقع أريج من قبل أهالي المنطقة.

١٥. ما هي النصيحة التي تستطيع تقديمها لصحفيين آخرين يُخططون لمشروعٍ مشابه؟

إنّ أهم نصيحة لأي صحفي استقصائي بناءً على عملي في هذا التحقيق الذي يحتوي على حيّز كبير من المشاعر والعواطف، خاصة بالنسبة للضحايا من المرضى وذويهم:

النصيحة هي أن يستعملوا عواطفهم كأنها معلومات، وأن يقوموا بتسجيل هذه العواطف ويدرسوها ولكن دون أن ينخرطوا تماماً مع الضحية و يصدقوا كل ما تقول.

والنصيحة الثانية هي أن يعتمدوا على الأبواب المفتوحة والمصادر المتاحة وهي موجودة دائماً ولكنها بحاجة إلى تعزيز ثقتنا بها وإظهار فهمنا للموضوع. ببساطة يجب أن تعرف هذه المصادر أننا نعرف ماذا نريد.

أما النصيحة الأخيرة فهي أن يقاطعوا المعلومات والنصائح مع بعضها البعض، فهي كفيلة في إبعادهم عن أي مشكلة ناجمة عن ضعف في هذه المعلومة أو هذا الرقم أو ذاك.

١٦- أية صعوبة، أو أية ظروف أخرى واجهتها لها صلة بهذا المشروع.

الصعوبات الرئيسية كانت بداية عندما وجدت نفسي وقد تماهيت مع الناس الضحايا وتعاطفت معهم واكتأبت لحالهم، فكان عليّ مراجعة نفسي ومحاولة النأي بنفسي عن هذا الإحساس، وإقناعها بأنّ أفضل تعاطف معهم سيكون عبر نشر قصة متكاملة قائمة على الحقائق لا على المشاعر والأحاسيس التي لا تخلو من الغضب والنقمة غالباً (كما في حالهم).

الصعوبات الأخرى كانت في طريقة تعاطي الجهات الرسمية مع الصحافة الخاصة باعتبارها عدواً أو جاسوساً محتملاً لأطراف خارجية تستهدف سمعة البلد والإيقاع بمسؤولين.

١٧- مدى الوقت الذي تطلّبته تغطية القصة وكتابتها وتحريرها – من الألف إلى الياء ستة أشهر.

١٨- هل دعمك مسؤولك/ رئيس التحرير في العمل من حيث السماح لك بأخذ أجازة طويلة لتتفرغ للتحقيق؟ وفي حال كان الجواب كلا، وّضح لنا كيف استطعت التوفيق بين مهام التغطية الإعلامية اليومية والتحقيق الاستقصائي؟

نعم وجدت كل الدعم من إدارة مجلتي (آنذاك) وحصلت على عدد من الإجازات الأسبوعية في فترات متلاحقة، وأستطيع القول بأنني تفرغت للموضوع حوالي شهر ولكن في الأشهر الأخرى كنت أقوم بعملي إلى جانب العمل على التحقيق ولكن عبر مواد ومقالات لا تتصف بالصفة نفسها (تغطيات، لقاءات، ريبورتاجات).

١٩- إذا استخدمت بكثافة مهارات تغطية مدعومة بالكمبيوتر، أجبْ عن الأسئلة التالية من فضلك:

أ- هل استخدمتَ بكثافة أية مصادر إنترنت؟ إذا كان الجواب بنعم، ضَعْ من فضلك العنوان (العناوين) ووضِّحْ كيف كان الموقع (المواقع) مفيداً لك.

في الواقع أنني لم أستخدم مصادر الإنترنت إلا في حالات قليلة، أولاً فيما يخص المواد المكتوبة والمنشورة عن موضوع البحث، وهي كانت خالية من أي حقائق مثبتة بل عبارة عن شكاوى وتصريحات، وثانياً فيما يخص الدراسات العالمية عن المعادن الملوثة التي ثبت وجودها في المياه والتربة والهواء، والربط بين هذه المعادن والأمراض الموجودة، وخاصة المجلات العلمية التي تناولت هذا الموضوع كمجلة الكيمياء في المخبر والتكنولوجيا عبر بحث محكم للدكتورة الألمانية سيلفايا لوفي معدة البحث.

وأيضاً موقع منظمة الصحة العالمية الذي يتحدث عن النسب العالمية المعتمدة للإصابة بالعديد من الأمراض كالسرطان والعقم والتشوهات الخلقية

موضوع بحثي.

وكذلك مواقع الوزارات والمديريات المعنية بالمشكلة، ومواقع خاصة بالبيئة تتحدث عن المشكلة.

وأعتقد أنّ بعض هذه المواقع كان مفيداً في تأكيد الحقائق التي حصلت عليها، فيما بعضها الآخر لم يكن كذلك.

ب- هل حصلت على أية قاعدة معلومات إلكترونية أو بنيتَها؟ إذا حصلت على معلومات، ماذا كان اسمُها ومصدرها؟ كم كانت التكلِفَة؟ إذا كنتَ قد بنيتَ قاعدة (قواعد) معلومات خاصة بك، فأي سجلّاتٍ استخدمتَ؟

لم تكن هناك قاعدة معلومات بمعنى الكلمة، ما عدا التي توصلت إليها من حيث الدراسات والإحصائيات والكتب الرسمية بين الجهات المعنية، وبعض الخبراء الاختصاصيين، وتكلفتها لم تكن بالشيء الكثير، واقتصرت على ثمن بطاقات إنترنت للدخول إلى الإنترنت وليس لشراء المعلومات عبر الدخول لمواقع معينة.

ج- هل واجهتك صعوبات في المعلومات نفسها؟ كيف تغلَّبت عليها؟

وبالنسبة لتحليل المعلومات، كانت عبر بعض الخبراء الذين وضعت لهم النتائج وقدموا بدورهم مساعدة في تبسيط هذه المعلومات العلمية إلى حقائق مفهومة على الأرض، بمعنى انعكاسها الفعلي على الصحة والبيئة عموماً. (مثال الدكتور منير بيطار الذي أوضح ماذا يعني وجود هذه المعادن في البيئة من حيث انعكاسها على صحة الإنسان، ورئيسة قسم السموم في كلية الصيدلة التي أوضحت طريقة نقل الأسماك للأمراض إلى الإنسان).

د- هل تمَّ أيُّ تحليل؟ إذا كان الجواب بنعم، ما هو؟

أخيراً بالنسبة للوثائق، كان البعض منها متاحا من مصادر لها مصلحة في الإفراج عنها، فيما بعض الوثائق احتاجت إلى أكثر من علاقة شخصية، وبالتالي إقناع حاملها بأهميتها في تقديم مادة صحفية ذات مصداقية، وبالتالي العمل على حل هذه المشكلة، أو إظهاره باعتباره طرفاً في الحل وليس المشكلة. أو إن تعذّر ذلك فاللجوء إلى التأكيد له بأنّ اسمه لن يظهر أبداً كمسرب لهذه الوثيقة أو تلك، وهو ما حدث فعلاً.

هـ- هل تمَّ تحليل المعلومات من قبل مُوظَّفيكَ أم استُخدمت مساعدة خارجيَّة؟ من ساعدك؟

و- ما هي البرامج الإلكترونية المُحَدَّدة التي استخدمتها؟

التحقيق الثالث:

١. عنوان القصة، مجموعة القصص، أو المسلسل وأسماء الناس الذين عملوا على هذه القصة (أي اسم القصص أو مجموعة القصص، والصحفي والمشرف)

الاستغلال الجنسي للأطفال في دمشق.

الصحفية بثينة عوض

الأستاذ المشرف علي حسون

٢- تاريخ (تواريخ) نشرها أو بثِّها.

٢٠٠٧

٣- موضوع وفرضيَّة القصة أو المسلسل.

تضاعف حالات الاستغلال الجنسي للأطفال في دمشق.

٤- كيف بدأت القصة (معلومة سريَّة من أحدٍ ما، تكليف، إلخ..)

بعد الاطلاع وبشكل سري على محاضر جلسات ومحاكمات بذات الشأن صادرة عن القصر العدلي بدمشق ومعلومة سرية من أحد القضاة المختصين تؤكد تضاعف أعداد قضايا الاستغلال الجنسي للأطفال التي وجدت طريقها إلى القضاء مؤخراً.

٥- هل تغيَّرت فرضيَّتُك أثناء البحث؟ ما أثر التغيير على القصة؟

لم تتغير الفرضية.

٦- أصنافُ الوثائقِ الأساسُ المُستخدمة.

دراسة للدكتور مطاع بركات أخصائي في الصحة النفسية أنجزت عام ٢٠٠٢ وشملت ٤٠٠ طالب وطالبة من جامعة دمشق. دراسة حالات أجرتها الهيئة السورية لشؤون الأسرة عام ٢٠٠٦ شملت ٢٧ فتاة من معهد الجانحات. دراسة ميدانية أجريت عام ٢٠٠٦ كرسالة تخرج لطلاب علم النفس في جامعة دمشق شملت ٧٧ شخصاً. أحكام صادرة عن قصر العدل ومحاضر جلسات توثق قصص أطفال تعرضوا للاستغلال الجنسي. إحصائية خاصة تم إعدادها بعد مراجعتي لسجلات الطبابة الشرعية خلال عام ٢٠٠٤ و٢٠٠٥ و٢٠٠٦. العدد رقم ١٣٣٥١ من جريدة الثورة السورية.

٧- كيف حصلتَ على الوثائق؟

٨- هل واجهتك صعوبات في الوصول إلى المعلومات في غياب قوانين حق الحصول على المعلومات والوثائق في العالم العربي (حيث لم يسن قانون إلا في الأردن)؟ كيف قمت بحلها؟

الصعوبات تمثلت أولاً بندرة المعلومات الرسمية والتحفظ عليها إن وجدت. وبالتالي محاولة خرق التكتم الرسمي وأحياناً غير الرسمي حول معلومة يتم التعاطي معها كسرّ يجب إخفاؤه.

وثانياً: صعوبات تتعلق بخصوصية الموضوع الذي حاولت كشف حقائقه. فالاستغلال الجنسي للأطفال في مجتمع كالمجتمع السوري بمثابة خط أحمر وتابو يمنع الاقتراب منه. ما قلل من إمكانية الحصول على المعلومات. وتطلب الاستعانة بمصادر خاصة وإقناع بعض المصادر البشرية بأهمية فتح هذا الملف بعد التأكد من متابعتها (أي المصادر) وبشكل سري لحقائق الاستغلال الجنسي للأطفال.

٩- هل واجهتك صعوبات في الحصول على أية معلومات إلكترونية استخدمتها؟ كيف قمت بحلها؟

١٠- هل واجهتَ أية صعوباتٍ في الحصول على إحصاءات موثقة؟ وكيف تغلّبت على هذه المشكلة؟

لم تتوافر في قصر العدل أي إحصائيات توثق أعداد الضحايا ولا حتى في الطبابة الشرعية. وبناءً على تقنية اكتسبتها من شبكة أريج الإعلامية (go to the open door)

أن أذهب للمعلومات المتاحة للجميع, بدأت التقصي عن مصدر خاص يتيح لي فرصة الاطلاع على سجلات الطبابة التي تمكنت من مراجعتها في إحدى الغرف بعيداً عن أعين الموظفين والخروج بإحصائية وثقتّها بنفسي جاءت نتائجها لتؤكد تضاعف الاستغلال الجنسي للأطفال ثلاث مرات ما بين عامي ٢٠٠٤ و٢٠٠٦.

١١- أصناف المصادر البشرية الأساسية المُستخدمة؟

تمت الاستعانة بمصادر بشرية رسمية كرئيس الطبابة الشرعية وأحد القضاة في قصر العدل ورئيس الهيئة السورية لشؤون الأسرة ومصادر بشرية ناشطة في مجال العمل الأهلي وبأخصائيين اجتماعيين ونفسيين ورجال دين إضافة إلى بعض أسر الضحايا.

١٢- كيف عثرت على المصادر؟ عثرت على المصدر البشري الأول بعد شهر من التقصي ومن خلاله تمكنت من الوصول للمصادر الأخرى.

١٣- نتائج التقرير (إن وُجد) – أي هل حصل تغيير في سلوك المتسبب (المتسببين). لا أعتقِد.

١٤- متابعة (إن وُجِدَ التقرير). هل أجريت أية تصحيحات أو توضيحات على التقرير، أو هل تقدَّم أيُّ شخص ليتحدَّى دقَّتَه؟ إذا كان الجواب بنعم، وضِّح ذلك لطفاً. لا.

١٥- ما هي النصيحة التي تستطيع تقديمها لصحفيين آخرين يُخططون لمشروعٍ مشابه؟

الالتزام بفرضية محددة ودقيقة. محاولة كشف الحقائق وتقصي المعلومات بمهنية وبخطوات مدروسة وموثقة وإن تطلب ذلك مدة زمنية طويلة. التأسيس لمصادر خاصة سرية تمكن من الوصول إلى المعلومة إضافة لطرق الباب الرسمي. الاستخدام المكثف لمصادر الإنترنت. إقصاء الذات أثناء صياغة التحقيق. الحفاظ على سرية المصدر.

١٦- أية صعوبة، أو أية ظروف أخرى واجهتها لها صلة بهذا المشروع؟

محاولات من قبل قضاة في قصر العدل للعدول عن متابعة التحقيق بحجة إمكانية إخضاعي للمحاكمة بعد نشر ما توصلت إليه من حقائق. وهو ما تغلبت عليه بعد استخدامي لتقنيات أريج التي تؤكد ضرورة توثيق الحقائق وإسناد الكلام إلى أهل الشأن.

١٧- مدى الوقت الذي تطلّبته تغطية القصة وكتابتها وتحريرها – من الألف إلى الياء؟

ستة أشهر.

١٨- هل دعمك مسؤولك/ رئيس التحرير في العمل من حيث السماح لك بأخذ أجازة طويلة لتتفرغ للتحقيق؟ وفي حال كان الجواب كلا، وّضح لنا كيف استطعت التوفيق بين مهام التغطية الإعلامية اليومية والتحقيق الاستقصائي؟

نعم.

١٩- إذا استخدمت بكثافة مهارات تغطية مدعومة بالكمبيوتر، أجبْ عن الأسئلة التالية من فضلك:

أ- هل استخدمتَ بكثافة أية مصادر إنترنت؟ إذا كان الجواب بنعم، ضَعْ من فضلك العنوان (العناوين) ووضِّحْ كيف كان الموقع (المواقع) مفيداً لك؟

ما نُشر في المواقع السورية (سيريا نيوز، سيريا ستيبس، شام برس) كان مجرد أخبار تروي قصص أطفال تعرضوا للاستغلال الجنسي. أما في محرك البحث (غوغل، ياهو،إم إس إن) فحصلت على أرقام تتعلق بهذا الجرم في دول الجوار، ولم أكن بصدد المقارنة، لذلك لم أعتمد الإنترنت كمصدر من مصادر الحصول على المعلومات بسبب عدم توافرها في المواقع السورية أساساً.

ب- هل حصلت على أية قاعدة معلومات إلكترونية أو بنيتَها؟ إذا حصلت على معلومات، ماذا كان اسمُها ومصدرها؟ كم كانت التكلِفَة؟ إذا كنتَ قد بنيتَ قاعدة (قواعد) معلومات خاصة بك، فأي سجلاّتٍ استخدمتَ؟

ج- هل واجهتك صعوبات في المعلومات نفسها؟ كيف تغلَّبت عليها؟

د- هل تمَّ أيُّ تحليل؟ إذا كان الجواب بنعم، ما هو؟

هـ- هل تمَّ تحليل المعلومات من قبل مُوظَّفيكَ أم استُخدمت مساعدة خارجيَّة؟ من ساعدك؟

و- ما هي البرامج الإلكترونية المُحَدَّدة التي استخدمتها؟

التحقيق الرابع:

١. عنوان القصة، مجموعة القصص، أو المسلسل وأسماء الناس الذين عملوا على هذه القصة (أي اسم القصص أو مجموعة القصص، والصحفي والمشرف)

عنوان القصة: مرضى القصور الكلوي في سورية: الحد الأدنى من العلاج يساوي الحد الأدنى من الحياة

الصحفية: راما نجمة

المشرف: علي حسون

٢- تاريخ (تواريخ) نشرها أو بثِّها.

تاريخ النشر: ١- كانون الأول/ديسمبر- ٢٠٠٨

٣- موضوع وفرضيَّة القصة أو المسلسل.

عدم كفاءة النظام العلاجي يؤدي لتدهور الحالة الصحية لمرضى القصور الكلوي في سورية

٤- كيف بدأت القصة (معلومة سريَّة من أحدٍ ما، تكليف، إلخ..).

بدأت القصة خلال العمل على تحقيق آخر يتعلق بزراعة الأعضاء، وفي ذلك الحين أظهرت سجلات مشفى الكلية الجراحي في دمشق أن قلة من المرضى تحصل على فرصة زرع الكلية، فيما يكون مصير حوالي ٧٠٪ العلاج على الكلية الصناعية أو ما يعرف بالغسيل، وقال المرضى إن النظام العلاجي في المشافي الحكومية «يهملهم»، وإنهم يموتون «ببطء» لأنهم لا يأخذون حاجتهم من العلاج.

وإن بعض الأمراض انتقلت إليهم بسبب عدم تعقيم الأجهزة.. وبدأ البحث عن صحة أقوال المرضى.

٥- هل تغيَّرت فرضيَّتُك أثناء البحث؟ ما أثر التغيير على القصة؟

تغيَّرت الفرضيَّة جزئياً أثناء العمل، لتتحول إلى إثبات الوفاة المبكرة لمرضى القصور الكلوي. من خلال اكتشاف أن عدم التعقيم الكافي لأجهزة الكلية الصناعية يؤدي لنقل فيروس الكبد C B إلى المرضى، وكان هذا يعني باللغة الطبية، فقدان فرصتهم في زراعة الكلية. وأدى هذا لتدعيم الفرضية، وإن كان باتجاه آخر، فإثبات عدم التعقيم يدعم الشق الأول في الفرضية «عدم كفاءة النظام العلاجي» وانتقال الفيروس يدعم «تدهور الحالة الصحية»، وخطر التعرض إلى «الوفاة المبكرة»، إلى جانب إثبات أن المرضى يخضعون لعدد من جلسات الغسيل أقل من حاجتهم الفعلية، ويتلقون كميات أقل من الدواء ومن المتابعة الصحية، إضافة لقلة وقدم أجهزة الكلية الصناعية المستعملة.

٦- أصنافُ الوثائقِ الأساسُ المُستخدمة.

إحصائيات رسمية، دراسات طبية، تقارير مخبرية.

٧- كيف حصلتَ على الوثائق؟

أحد الأطباء المهتمين بالموضوع قدّم لي الدراسات «القليلة» الموجودة في سورية عن هذا الموضوع.

قمت بإجراء تقارير مخبرية لإثبات عدم كفاءة أجهزة غسيل الكلية.

قدم المرضى تقارير طبية تثبت انتقال فيروس الكبد إليهم أثناء جلسات غسيل الكلية.

قدم لي أحد المصادر وثيقة تثبت تلوث أجهزة الكلية الصناعية في مشفى بمحافظة اللاذقية (الساحل السوري) بفيروس الكبد C.

٨- هل واجهتك صعوبات في الوصول إلى المعلومات في غياب قوانين حق الحصول على المعلومات والوثائق في العالم العربي (حيث لم يسن قانون إلا في الأردن)؟ كيف قمت بحلها؟

اضطررت أن أتقدم إلى وزارة الصحة السورية بأكثر من تسعة طلبات، يتضمن كل منها طلباً رسمياً لزيارة مشفى أو لقاء مدير ما. ومع ذلك لم تكن المعلومات متاحة رغم أنها كانت موجودة في كثير من المرات. بعد ذلك اتبعت إستراتيجية جمع المعلومات والتأكد منها ومن ثم الطلب من الجانب الرسمي تأكيدها.

٩- هل واجهتك صعوبات في الحصول على أية معلومات إلكترونية استخدمتها؟ كيف قمت بحلّها؟

لا.

١٠- هل واجهتَ أية صعوباتٍ في الحصول على إحصاءات موثقة؟ وكيف تغلّبت على هذه المشكلة؟

لم تكن هناك إحصائية رسمية لعدد المرضى الذين يعالجون في المشافي العامة، أو عدد الآلات الموجودة في سورية.

بمساعدة بعض الأطباء والموظفين، تمكنت من جمع أعداد المرضى من سجلات المديريات في المحافظات السورية، وجمع أعداد أجهزة الكلية الصناعية المتوفرة في سورية وعمرها الفني، ومعرفة نسبة عدد الجلسات التي يخضع لها كل مريض، ومقارنة كل ذلك بالمعدلات العالمية.

وفي مرحلة من التحقيق قمت باستبيان شمل أكبر اثني عشر مركزاً لغسيل الكلية في المحافظات السورية، وساعد هذا الاستبيان في معرفة توزع المرضى والمناطق التي تعاني من الإهمال الطبي بهذا المجال، كما أعطانا أرقاما تقريبية لانتشار فيروسات الكبد ضمن مرضى الغسيل الكلوي.

١١- أصناف المصادر البشرية الأساسية المُستخدمة؟

المرضى أنفسهم أو ذووهم. الأطباء الذين يقومون بعلاجهم، الخبراء الذين يعرفون ماذا يحدث، والموظفون «المتضايقون» الذين يعرفون أكثر من غيرهم الخلل في النظام الصحي.

١٢- كيف عثرت على المصادر؟

من خلال الزيارات المتكررة للمشافي، ومن خلال البحث عن طريق الإنترنت عن الأطباء الذين أثاروا هذا الموضوع في المؤتمرات الطبية أو في نقابة الأطباء.

١٣- نتائج التقرير (إن وُجِد) – أي هل حصل تغيير في سلوك المتسبب (المتسببين).

قالت وزارة الصحة إنها بصدد شراء أجهزة جديدة. لكنها لم توضع في الخدمة حتى الآن.

١٤- متابعة (إن وُجِدَ التقرير). هل أجريت أية تصحيحات أو توضيحات على التقرير، أو هل تقدَّم أيُّ شخص ليتحدَّى دقَّتَه؟ إذا كان الجواب بنعم، وضِّح ذلك لطفاً.

لا.

١٥- ما هي النصيحة التي تستطيع تقديمها لصحفيين آخرين يُخططون لمشروعٍ مشابه؟

الحدس شيء مهم للصحفي، لكنه يحتاج إلى دليل ليصبح حقيقة.

١٦- أية صعوبة، أو أية ظروف أخرى واجهتها لها صلة بهذا المشروع؟

الصعوبة الأساسية في هذا التحقيق الاستقصائي كانت العمل مع من نسميهم «الضحايا» مع القدرة على الاحتفاظ بمسافة موضوعية مع من نسميهم «المسببين».

١٧- مدى الوقت الذي تطلَّبته تغطية القصة وكتابتها وتحريرها – من الألف إلى الياء؟

حوالي السبعة أشهر.

١٨- هل دعمك مسؤولك/ رئيس التحرير في العمل من حيث السماح لك بأخذ أجازة طويلة لتتفرغ للتحقيق؟ وفي حال كان الجواب كلا، وضّح لنا كيف استطعت التوفيق بين مهام التغطية الإعلامية اليومية والتحقيق الاستقصائي؟

سمح لي رئيس التحرير بأخذ إجازات متقطعة، خاصة عندما اضطررت للسفر خارج العاصمة. ولم تكن هناك إجازة طويلة، تفرغت خلالها للتحقيق

فقط. فقد استغرقت وقتا طويلا للانتهاء من التحقيق. وكان ذلك يعود بأحد أسبابه لانشغالي بمهام العمل اليومية. والعمل على التحقيق الاستقصائي في الوقت المتبقي.

١٩- إذا استخدمت بكثافة مهارات تغطية مدعومة بالكمبيوتر، أجبْ عن الأسئلة التالية من فضلك:

أ- هل استخدمتَ بكثافة أية مصادر إنترنت؟ إذا كان الجواب بنعم، ضَعْ من فضلك العنوان (العناوين) ووضِّحْ كيف كان الموقع (المواقع) مفيداً لك؟

ب- هل حصلت على أية قاعدة معلومات إلكترونية أو بنيتَها؟ إذا حصلت على معلومات، ماذا كان اسمُها ومصدرها؟ كم كانت التكلِفَة؟ إذا كنتَ قد بنيتَ قاعدة (قواعد) معلومات خاصة بك، فأي سجلاّتٍ استخدمتَ؟

ج- هل واجهتك صعوبات في المعلومات نفسها؟ كيف تغلَّبت عليها؟

د- هل تمَّ أيُّ تحليل؟ إذا كان الجواب بنعم، ما هو؟

هـ- هل تمَّ تحليل المعلومات من قبل مُوظَّفيكَ أم استُخدمت مساعدة خارجيَّة؟ من ساعدك؟

و- ما هي البرامج الإلكترونية المُحَدَّدة التي استخدمتها؟

التحقيق الخامس

١- عنوان القصة، مجموعة القصص، أو المسلسل وأسماء الناس الذين عملوا على هذه القصة (أي اسم القصص أو مجموعة القصص، والصحفي والمشرف)

عددهم مجهول والمآسي اليومية تعصف بهم

مكتومو القيد في لبنان: آلاف لم يولدوا في وثاق الدولة... ولم يموتوا

بقلم: فاطمة رضا

المشرفة: ندى عبد الصمد

٢- تاريخ (تواريخ) نشرها أو بثِّها.

١٢ آب (اغسطس) ٢٠٠٧

٣- موضوع وفرضيَّة القصة أو المسلسل.

من لا يملك بطاقة هوية، يكون أكثر عرضة للاستغلال والتشرد، وبالتالي عرضة للانحراف والسجن.

٤- كيف بدأت القصة (معلومة سريَّة من أحدٍ ما، تكليف، إلخ).

من خلال العمل الصحفي، وتحديداً في إطار إعداد تحقيق عن سجن الأحداث في رومية، لاحظت أن هناك عدداً كبيراً من الأحداث مسجونين بتهمة عدم امتلاكهم أوراقاً ثبوتية، فقررت على إثرها تقصي قضاياهم ووضعهم الاجتماعي وما الذي يحول دون تحسين أوضاعهم.

٥- هل تغيَّرت فرضيَّتُك أثناء البحث؟ ما أثر التغيير على القصة؟

لم تتغير الفرضية وإنما تم اكتشاف بعض الأشياء المتعلقة بهذا الموضوع، وذلك أن عددا غير قليل من هؤلاء هو ضحية إهمال وجهل الأهل وأنه يمكن استعادة القيد، إلاّ أن ذلك يتطلب ملاحقة ومثابرة من قبلهم، وليست القوانين والسلطات هي المسؤولة الوحيدة عن ذلك، من دون أن ننفي بذلك المسؤوليات المترتبة على عاتقها.

٦- أصنافُ الوثائقِ الأساسُ المُستخدمة.

إحصاءات رسمية من مركز الأحداث.

إحصاء شخصي يرتكز على ملفات الموقوفين.

قوانين الأحوال الشخصية.

٧- كيف حصلتَ على الوثائق؟

محامون.

أرشيف.

مكتومو القيد أنفسهم.

٨- هل واجهتك صعوبات في الوصول إلى المعلومات في غياب قوانين حق الحصول على المعلومات والوثائق في العالم العربي (حيث لم يسن قانون إلا في الأردن)؟ كيف قمت بحلها؟

غالباً ما نحصل على مثل هذه المعلومات عبر محامين أو معارف في الدوائر الرسمية، وفي حال تمّ تقديم طلب الحصول على هذه المعلومات بشكل رسمي قد نصل إليها ولكن قد يؤدي ذلك إلى الوقوع في فخ الوقت.

٩- هل واجهتك صعوبات في الحصول على أية معلومات إلكترونية استخدمتها؟ كيف قمت بحلّها؟

لا صعوبات من هذا النوع.

١٠- هل واجهتَ أية صعوباتٍ في الحصول على إحصاءات موثقة؟ وكيف تغلّبت على هذه المشكلة؟

قمت بإجراء إحصاءات شخصية على عينات عشوائية.

١١- أصناف المصادر البشرية الأساسية المُستخدمة؟

عينات مختلفة من يعانون من مشكلة القيد.

محامون.

أخصائيون اجتماعيون.

جهات رسمية.

١٢- كيف عثرت على المصادر؟

في ما يختص بالعينات عبر جمعيات أهلية تُعنى بأمورهم، ومن ثم تصبح الأمور أسهل بعد اكتساب ثقتهم، إذ إنهم كثر ويرشدونك إلى بعضهم البعض.

أما الجهات الرسمية والمحامون فهم معروفون وأرقامهم متوفرة.

١٣- نتائج التقرير (إن وُجِد) – أي هل حصل تغيير في سلوك المتسبب (المتسببين)؟

في ما عدا وعود رسمية في تحريك الموضوع لا شيء يذكر.

١٤- متابعة (إن وُجِـدَ التقرير). هل أجريت أية تصحيحات أو توضيحات على التقرير، أو هل تقدَّم أيُّ شخص ليتحدَّى دقَّتَه؟ إذا كان الجواب بنعم، وضِّح ذلك لطفاً؟

لا أبداً، إلاّ أنه وبعد نشر التقرير، وافق الأمن العام على إعطائي مقابلة، كنت قد طلبتها قبل أربعة أشهر، إلاّ أن المعلومات التي استحصلت عليها من هذه المقابلة لم تتضارب مع أي شيء ورد في التقرير، فلم ألجأ إلى التوضيح.

١٥- ما هي النصيحة التي تستطيع تقديمها لصحفيين آخرين يُخططون لمشروعٍ مشابه؟

الصبر، وعدم اليأس، إضافة إلى التعامل مع الموضوع على أنه موضوع إنساني، وعدم أخذ أي طرف أيا كان، إلى جانب التدقيق في المعلومات أكثر من مرّة، لأن بعض من يشعر نفسه مغبنا قد يلجأ إلى إخفاء معلومات أو التكتم على أخرى.

١٦- أية صعوبة، أو أية ظروف أخرى واجهتها لها صلة بهذا المشروع.

لم يكن هناك من مخاطرة أو أي شيء من هذا القبيل، فاقتصرت المشكلات على الحصول على المعلومات والتدقيق بها إضافة إلى الضغط من أجل عدم الوقوع في «جرف» المعلومات.

١٧- مدى الوقت الذي تطلَّبته تغطية القصة وكتابتها وتحريرها – من الألف إلى الياء؟

ما يقارب الستة أشهر.

١٨- هل دعمك مسؤولك/رئيس التحرير في العمل من حيث السماح لك بأخذ إجازة طويلة لتتفرغ للتحقيق؟ وفي حال كان الجواب كلا، وّضح لنا كيف استطعت التوفيق بين مهام التغطية الإعلامية اليومية والتحقيق الاستقصائي؟

لم أحصل على إجازة من أجل إنجاز التحقيق، إلاّ لأيام معدودة عندما كنت أضطر لأن أسرع عملا ما أو ألبي ضغوطاً معينة من أجل إنهاء الموضوع، وقمت باستخدام أيام من إجازتي السنوية في سبيل ذلك. إلاّ أن التعاون كان قائماً من خلال أني كنت أضطر إلى التأخر عن العمل لساعات من دون أي مشكلة.

١٩- إذا استخدمت بكثافة مهارات تغطية مدعومة بالكمبيوتر، أجبْ عن الأسئلة التالية من فضلك:

استخدامي للكمبيوتر اقتصر على البحث عن بعض المعلومات على الغوغل، وعلى برنامج الـ excel من أجل ترتيب المواعيد ولائحة الاتصالات.

أ- هل استخدمتَ بكثافة أية مصادر إنترنت؟ إذا كان الجواب بنعم، ضَعْ من فضلك العنوان (العناوين) ووضِّحْ كيف كان الموقع (المواقع) مفيداً لك.

ب- هل حصلت على أية قاعدة معلومات إلكترونية أو بنيتَها؟ إذا حصلت على معلومات، ماذا كان اسمُها ومصدرها؟ كم كانت التكلِفَة؟ إذا كنتَ قد بنيتَ قاعدة (قواعد) معلومات خاصة بك، فأي سجلاّتٍ استخدمتَ؟

ج- هل واجهتك صعوبات في المعلومات نفسها؟ كيف تغلَّبت عليها؟

د- هل تمَّ أيُّ تحليل؟ إذا كان الجواب بنعم، ما هو؟

هـ- هل تمَّ تحليل المعلومات من قبل مُوظَّفيكَ أم استُخدمت مساعدة خارجيَّة؟ من ساعدك؟

و- ما هي البرامج الإلكترونية المُحَدَّدة التي استخدمتها؟

التحقيق السادس

١- عنوان القصة، مجموعة القصص، أو المسلسل وأسماء الناس الذين عملوا على هذه القصة (أي اسم القصص أو مجموعة القصص، والصحفي والمشرف)

عنوان التحقيق الاستقصائي «شيوع فحص العذرية» رغم حرمته الشرعية

«مآسي عرائس»

عرائس تخضع للفحص تحت وطأة الجهل

إعداد الصحفية سهير جرادات

وإشراف الصحفي سعد حتر

٢- تاريخ (تواريخ) نشرها أو بثّها.

المنشور بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) بنشرة وكالة الانباء الأردنية (بترا) ٢٠٠٨

٣- موضوع وفرضيَّة القصة أو المسلسل.

عرائس يدفعن ثمن الجهل والتقاليد

هل يحق للزوج فحص عذرية عروسة؟

٤- كيف بدأت القصة (معلومة سريَّة من أحدٍ ما، تكليف، إلخ).

صادف وجودي في مركز الطب الشرعي بعمان حضور عروسين في اليوم التالي للزفاف ترافقهما والداتهما. وتقدمت العروس بطلب إجراء فحص للتأكد من سلامة عذريتها لمجرد عدم ظهور علامات العذرية في ليلة الزفاف «ألا وهي نزول نقطة الدم الحمراء» وحدوث النزيف بعد الاتصال الجنسي الأول.

٥- هل تغيَّرت فرضيَّتُك أثناء البحث؟ ما أثر التغيير على القصة؟

نعم تحولت من الجهل والعادات والتقاليد الاجتماعية. إلى مخالفة الشرائع السماوية «الشريعة الإسلامية. والدين المسيحي» التي تحرم إجراءه.

٦- أصنافُ الوثائقِ الأساسُ المُستخدمة.

اعتمدت على دراسة أعدها المركز الوطني للطب الشرعي حول أعداد الحالات التي راجعتهم لإجراء «فحص العذرية»، في حالات الاعتداءات الجنسية التي تتعرض لها المرأة، أو بطلب من المرأة المتزوجة حديثا.

أثبتّ من خلال الوثائق القديمة مدى قدم خضوع المرأة الأردنية للفحص بالبحث عن القلة الباقية من القابلات القانونيات اللواتي قضين وقتا طويلا في توليد وإجراء الفحص للنساء، وحصلت على سجلات ودفاتر ووثائق قديمة تثبت إجراء مثل هذا الفحص، حيث أثبتّ بالوثائق منح القابلة شهادة موقعة حول نتيجة الفحص، إلا أن الأعداد كانت أقل من أيامنا فيما لو قارناها بالتضخم السكاني في يومنا هذا، إضافة إلى بعد الناس عن تطبيق تعاليم الشرائع السماوية.

إضافة لإجراء مقابلات شخصية مع النساء الضحايا.

كما لجأت للبحث من خلال محرك البحث على الإنترنت لجمع المعلومات التي أحتاج إليها لأتسلح بها عند إجراء المقابلات الصحفية مع المختصين حول الموضوع، والاطلاع على أوراق العمل التي قدمت في العديد من المحافل الدولية حول العنف الموجه ضد المرأة، وما تضمنته من حديث حول إجراء «فحص العذرية» كونه يجرى للكشف عن العنف الذي تواجهه المرأة، ومنه ما يجرى تحت بند عرائس في صباحية العرس.

٧- كيف حصلتَ على الوثائق؟

فوجئت من عدم وجود توثيق للحالات التي تراجع مراكز الطب الشرعي بهذا الخصوص، والأمر لا يتعدى وجود سجلات يدوية قديمة متهالكة وحديثة مغطاة بالغبار، وعملية إحصاء هذه الحالات يجب أن تتم بواسطة العد اليدوي، والتقدير الرقمي من قبل الأطباء المشرفين عليها.

٨- هل واجهتك صعوبات في الوصول إلى المعلومات في غياب قوانين حق الحصول على المعلومات والوثائق في العالم العربي (حيث لم يسن قانون إلا في الأردن)؟ كيف قمت بحلها؟

تردد المركز الوطني لحقوق الإنسان في إعطاء رأيه حول إجراء الفحص، وتطلب الموضوع مشاورات طويلة وتمت الموافقة على إعداد رد حول القضية، ولم يتعاون

إطلاقا معي أطباء النسائية والتوليد في القطاع العام حول أعداد النساء اللواتي يحضرن للعيادات لإجراء الفحص. كذلك الحال بالنسبة لأطباء القطاع الخاص الذين حاولت الاتصال معهم من خلال إجراء اتصالات هاتفية مع عدد كبير من العيادات الطبية النسائية في العديد من المحافظات الأردنية حول أعداد المراجعات لإجراء الفحص.

٩- هل واجهتك صعوبات فِي الحصول على أية معلومات إلكترونية استخدمتها؟ كيف قمت بحلّها؟

واجهني عدم توثيق البيانات في سجلات مركز الطب الشرعي بالمملكة، بحيث كانت الأرقام تعدّ يدويا من قبلي للسجلات.

١٠- هل واجهتَ أية صعوباتٍ في الحصول على إحصاءات موثقة؟ وكيف تغلّبت على هذه المشكلة؟

واجهني عدم توثيق البيانات في سجلات مركز الطب الشرعي بالمملكة، بحيث كانت الأرقام تعد يدويا من قبلي للسجلات.

١١- أصناف المصادر البشرية الأساسية المُستخدمة؟

ضحايا «فحص العذرية» من العرائس اللاتي خضعن لإجراء الفحص قصرا.

وكانت المفاجأة، بعدم تقدم أي امرأة من هؤلاء اللواتي أرغمن على إجراء هذا الفحص في المحاكم الشرعية بطلب تفريق للضرر والإيذاء النفسي الذي تعرضن له لمجرد شك شريك العمر بعذريتها لمجرد أنها لم تظهر علامات العذرية.

فيما لم يتعدّ عدد الحالات التي تقدمت لإبطال الزواج بسبب عدم عذرية الزوجة، «لم يتعدّ حالتين خلال آخر عامين».

١٢- كيف عثرت على المصادر؟

قضيت ساعات في مراكز الطب الشرعي في محافظات (العاصمة، الشمال، الجنوب) لأقابل إحدى الضحايا، أو تكبد عناء الوصول لعناوين هؤلاء الضحايا لإجراء متابعات لرواياتهن وقصصهن. ساعدني بالوصول لها مصادر رفضت ذكر اسمها، كانوا يسلموني طرف الخيط وتاركين لي مهمة الوصول لهن.

وواجهت صعوبة في إقناع الضحايا بالحديث عن الموضوع، رغم التأكيد على السرية المطلقة على أسمائهن وعناوينهن، وحجب بعض التفاصيل التي قد تدل على شخصياتهن وهويتهن، وكان تعاونهن متأرجحا بين القول تارة والرفض والإنكار تارة أخرى، ووصل الأمر لطردي وتوبيخي وتوجيه الاتهامات والتهديدات لي في حال متابعة الموضوع أو النشر.

تمثلت الصعوبات التي واجهتني عند تنفيذ التحقيق في الوصول للضحايا من العرائس اللواتي تم إجبارهن بسبب الجهل للخضوع لإجراء فحص العذرية، ورفضهن للتعاون لخوفهن وخشيتهن من مواجهة المجتمع الذي يهبنه أكثر من مخالفة تعاليم الدين الإسلامي أو المسيحي الذي يمنع ويحرم مثل هذه الفحوصات.

١٣- نتائج التقرير (إن وُجِد) – أي هل حصل تغيير في سلوك المتسبب (المتسببين)؟

تلقيت بعد نشر التحقيق العديد من الاتصالات من بعض أساتذة الجامعات تخصص علم الاجتماع وعلم النفس في الأردن وجمهورية مصر العربية يشكرونني على نشر مثل هذه القضية وتوعية المجتمع حيالها، كونها - حسب رأيهم- لم يتم طرحها، رغم أنها سائدة، إلا في مصر ولأول مرة في الأردن من خلال تحقيقي.

كما تلقيت العديد من المكالمات الهاتفية من عدد من الرجال أبدوا رغبتهم في تضمين آرائهم كطرف في القضية، حول أسباب قبولهم لهذا الفحص الذي يعود - بحسب رأيهم - للأفكار الأمومية التي تشبعوا بها عن طريق أمهاتهم، أو بإلقائهم اللوم على الطرف الثاني - الزوجة - بالقبول، فيما اعتبر بعضهم أن الطرف الأضعف في المعادلة هو المرأة التي هي ذاتها ساهمت في تضيق الحلقة عليها من خلال نشر هذه الأفكار من خلال تربية أبنائها.

١٤- متابعة (إن وُجِدَ التقرير)، هل أجريت أية تصحيحات أو توضيحات على التقرير، أو هل تقَدَّم أيُّ شخص ليتحدَّى دقَّتَه؟ إذا كان الجواب بنعم، وضِّح ذلك لطفاً ؟

لا: كل هذا لم يجعلني أجري أية تصحيحات أو توضيحات على التقرير.

١٥- ما هي النصيحة التي تستطيع تقديمها لصحفيين آخرين يُخططون لمشروعٍ مشابه؟

المثابرة وعدم اليأس والتصميم على الوصول للمعلومة من أهم النصائح التي أقدمها، إضافة إلى ضرورة انفصالهم عن مشاعرهم وأحاسيسهم والبعد عن إطلاق الأحكام عند تنفيذ التحقيق، ووضع أعصابهم بثلاجة وأن يصموا آذانهم عن التعليقات والهجمات التي سيتلقونها فقط كون الصحفي تطرق لموضوع غير مألوف.

١٦- أية صعوبة، أو أية ظروف أخرى واجهتها لها صلة بهذا المشروع؟

الصعوبات تمثلت في الوصول إلى الضحايا من العرائس اللواتي تم إجبارهن بسبب الجهل لأن يخضعن لإجراء فحص العذرية، لخوفهن من مواجهة المجتمع الذي يهبنه أكثر من مخالفة تعاليم الدين الإسلامي أو المسيحي الذي يمنع ويحرم مثل هذه الفحوصات.

١٧- مدى الوقت الذي تطلّبته تغطية القصة وكتابتها وتحريرها – من الألف إلى الياء؟

تخلل الأشهر الأربعة التي استغرقتها في تنفيذ التحقيق توقف إجباري لسفري خارج البلاد لأداء واجبي الصحفي والمهني في تغطية الأحداث في الخارج، أو تمثيل نقابة الصحفيين، التي أنا إحدى أعضائها، في المؤتمرات، أو الاشتراك في العديد من برامج تدريب الصحفيين في الخارج.

١٨- هل دعمك مسؤولك/ رئيس التحرير في العمل من حيث السماح لك بأخذ إجازة طويلة لتتفرغ للتحقيق؟ وفي حال كان الجواب كلا، وّضح لنا كيف استطعت التوفيق بين مهام التغطية الإعلامية اليومية والتحقيق الاستقصائي؟

تلقيت الدعم الكامل من مسؤولي مدير عام وكالة الأنباء الأردنية «بترا» الذي رحب ودعم نشر التحقيق ضمن نشرة «بترا»، رغم حساسية الموضوع، كما وافق على منحي إجازة على حسابي الخاص مكنتني من إنجاز التحقيق.

١٩- إذا استخدمت بكثافة مهارات تغطية مدعومة بالكمبيوتر، أجبُ عن الأسئلة التالية من فضلك:

أ- هل استخدمتَ بكثافة أية مصادر إنترنت؟ إذا كان الجواب بنعم، ضَعْ من فضلك العنوان (العناوين) ووضِّحْ كيف كان الموقع (المواقع) مفيداً لك؟

بحثت من خلال الانترنت عن أوراق العمل التي قدمت في العديد من المحافل الدولية حول العنف الموجه ضد المرأة، وما تضمنته من حديث حول إجراء «فحص العذرية» كونه يجرى للكشف عن العنف الذي تواجهه المرأة، ومنه ما يجرى تحت بند عرائس في صباحية العرس.

ب- هل حصلت على أية قاعدة معلومات إلكترونية أو بنيتَها؟ إذا حصلت على معلومات، ماذا كان اسمُها ومصدرها؟ كم كانت التكلِفَة؟ إذا كنتَ قد بنيتَ قاعدة (قواعد) معلومات خاصة بك، فأي سجلاّتٍ استخدمتَ؟

استخدمت طريقة فتح السجلات القديمة في محاولة لتحليل أعداد اللواتي أجري لهن الفحص، إضافة إلى استخدام اللقاءات الشخصية والاتصالات الهاتفية مع عدد كبير من العيادات الطبية النسائية في العديد من المحافظات الأردنية حول أعداد المراجعات لإجراء الفحص.

كذلك حصلت على وثائق قديمة من خلال البحث عن «داية» - القابلات القانونيات القديمات الكبيرات بالسن اللواتي قضين وقتا طويلا في توليد وإجراء الفحص للنساء قديما، وحصلت على سجلات ودفاتر ووثائق قديمة تثبت إجراء مثل هذا الفحص، وكانت تمنح القابلة شهادة موقعا عليها من قبلها حول النتيجة، إلا أن الأعداد كانت أقل من أيامنا هذه مقارنة بتضخم أعداد السكان في يومنا هذا، وتعود لبعد الناس عن الدين .

ج- هل واجهتك صعوبات في المعلومات نفسها؟ كيف تغلَّبت عليها؟

نعم، كان بعضها يحتاج إلى تحليل بيانات وكنت مضطرة إلى اللجوء لمحلل بيانات لتحليل هذه الأرقام.

د- هل تمَّ أيُّ تحليل؟ إذا كان الجواب بنعم، ما هو؟

نعم، كان بعضها يحتاج إلى تحليل بيانات، وكنت مضطرة إلى اللجوء لمحلل بيانات لتحليل هذه الأرقام.

هـ- هل تمَّ تحليل المعلومات من قبل مُوظَّفيكَ أم استُخدمت مساعدة خارجيَّة؟ من ساعدك؟

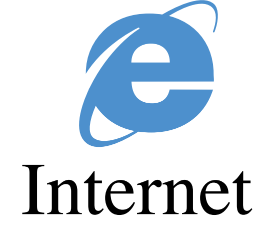
نعم، احتاجت بعض البيانات لتحليل، وكنت مضطرة إلى اللجوء لمحلل بيانات لتحليل هذه الأرقام والإحصائيات والنسب، من خلال استخدام برنامج التحليل الإحصائي«SPSS» .

و- ما هي البرامج الإلكترونية المحَدَّدة التي استخدمتها؟

استخدمت برامج الكمبيوتر التالية:









التحقيق السادس:

١- عنوان القصة، مجموعة القصص، أو المسلسل وأسماء الناس الذين عملوا على هذه القصة (أي اسم القصص أو مجموعة القصص، والصحفي والمشرف)

عنوان القصة: استخدام زيوت السيارات المستعملة في إشعال أفران مخابز تقليدية يهدد بكارثة صحية وبيئية.

الصحفيان : حنان الكسواني محمد فضيلات.

المشرف: محمود الزواوي.

٢- تاريخ (تواريخ) نشرها أو بثِّها.

تاريخ النشر: ٢٠٠٩/٣/٤.

٣- موضوع وفرضيَّة القصة أو المسلسل.

الفرضية: استخدام زيت السيارات العادم في إشعال الأفران التقليدية يلوث الخبز ويهدد الصحة.

٤- كيف بدأت القصة (معلومة سريَّة من أحدٍ ما، تكليف، إلخ.).

بدأت القصة من خلال ملاحظات أبداها خبراء في علم السموم وأكاديميون في مجال الكيمياء وعلم الأمراض.

٥- هل تغيَّرت فرضيَّتُك أثناء البحث؟ ما أثر التغيير على القصة؟

تطابقت الفرضية مع النتائج التي توصل إليها البحث (التحقيق) لاستناده إلى منهجية علمية واضحة ودقيقة.

٦- أصنافُ الوثائقِ الأساسُ المُستخدمة.

١- تحاليل وفحوصات مخبرية من جهة محايدة معتمدة.

٢- دراسات علمية عالمية منشورة في مجلات محكمة عالمية بهدف المقارنة (باللغة الإنجليزية).

٣- مواصفة تتعلق بالمعادن ذات المعدلات الطبيعية داخل جسم الإنسان. (باللغة الإنجليزية).

٤- المواصفة الخاصة بالخبز.

٥- إحصائيات بعدد المخابز وأصنافها من قبل نقابة المخابز العامة.

٦- كتاب في علم السموم.

٧- مراجع علمية لتراكيب المعادن وتفاعلها كيميائيا داخل الجسم. (باللغة الإنجليزية).

٨- ملخص عن المعادن الثقيلة أصنافها (باللغة الانجليزية).

٧- كيف حصلتَ على الوثائق؟

١- تحاليل عينات مخبرية التقطت من المخابز التقليدية (الخبز، الزيوت، أرضية الفرن).

٢- الدراسات والأبحاث من قبل الأطباء والخبراء في الجامعة الأردنية ومكتبتهم الخاصة.

٣- مواصفة تراكيز المعادن داخل الجسم من أطباء في وزارة الصحة.

٤- نقابة المخابز الأردنية.

٥- استخدام الإنترنت للحصول على المعلومات والدراسات أيضا.

٨- هل واجهتك صعوبات في الوصول إلى المعلومات في غياب قوانين حق الحصول على المعلومات والوثائق في العالم العربي (حيث لم يسن قانون إلا في الأردن)؟ كيف قمت بحلها؟

لا، لكن نظرا لغياب المعلومات والدراسات المتعلقة في الأردن الخاصة بتأثير المعادن الثقيلة على الخبز كان البحث عن المعلومات في غاية الصعوبة.

٩- هل واجهتك صعوبات في الحصول على أية معلومات إلكترونية استخدمتها؟ كيف قمت بحلها؟

لا.

١٠- هل واجهتَ أية صعوباتٍ في الحصول على إحصاءات موثقة؟ وكيف تغلّبت على هذه المشكلة؟

الصعوبة تمثلت في الروتين الإداري والتأخر في الحصول على الإحصائيات ونتائج التحاليل المخبرية، وتم التغلب عليها بالحصول على الإحصائيات من خلال مصادر في المؤسسات وتعاون بعض أطباء يعملون في جهات حكومية فضلوا عدم ذكر اسمهم.

١١- أصناف المصادر البشرية الأساسية المُستخدمة؟

مسؤولون وخبراء وأطباء ومختصون في مجال:

١- السموم.

٢- الكيمياء والصيدلة.

٣- البيئة وصحة البيئة.

٤- الأمراض الصدرية والتنفسية.

٥- أخصائية تغذية.

٦- اختصاصي ميكروبات طبية.

٧- مسؤول حكومي بيئي/وزير البيئة الأردني.

٨- أصحاب مخابز تقليدية.

٩- عاملون في المخابز.

١٠- مسؤول حكومي صحي/ مدير عام الغذاء والدواء الأردني.

١١- رؤساء أقسام في وزارة الصحة الأردنية.

١٢- فرق فنية غير رسمية (خاص) لالتقاط العينات.

١٣- فرق فنية حكومية مرافقة للجولة على المخابز في العاصمة عمان.

١٥- نقيب المخابز.

١٢- كيف عثرت على المصادر؟

١- العلاقات الشخصية مع بعض الخبراء والأكاديميين نتيجة للخبرات الإعلامية المتراكمة للصحفي فضلا عن ثقة المسؤولين بعمله.

٢- مصادر ظهرت خلال البحث الميداني (مواطنون، أصحاب مخابز، عمال).

٣- فنيون ورؤساء أقسام في دوائر حكومية.

٤- الجمعية العلمية الملكية.

٥- الإنترنت.

٦- الصحف اليومية.

١٣- نتائج التقرير (إن وُجِد) – أي هل حصل تغيير في سلوك المتسبب (المتسببين)؟

ينقسم تأثير التحقيق إلى ثلاثة أقسام:

أولا - الجهات الرقابية الحكومية والنقابية:

- نفذت مسح شامل لكافة المخابز التقليدية في مختلف أنحاء المملكة للبحث عن المخالفين.
- جددت نقابة المخابز الأردنية تعميمها على كافة مخابزها التقليدية تعليمات منع استخدام الزيوت العادمة (السيارات) في طهي الخبز التقليدي.
- تعهدت وزارة البيئة الأردنية بإجراء دراسة على تأثير انبعاث الروائح الكريهة على الهواء.
- قيام المؤسسة العامة للغذاء والدواء بعمليات رقابية تفتيشية على المخابز في العاصمة عمان ضمن صلاحياتها.
- تعهدت المؤسسة العامة للغذاء والدواء بإعداد حملة توعوية للمواطنين حول مضار وضع الخبز على الجرائد بسبب الرصاص الذي يؤثر على صحتهم، بالإضافة إلى حملة أخرى تحذر من تعبئة الخبز وهو ساخن جدا في الأكياس البلاستيكية.

ثانيا: المواطنون والخبراء:

- تعهد الاكاديمين بنشر الدراسة في مجلة محكمة عالمية باللغة الانجليزية بعد أن تتم إعادة صياغة المشكلة ووضع فرضيات وصولا إلى منهجية خاصة للدراسة.

- دعمت نتائج التحقيق ما وصلت إليه دراسة لا تزال الباحثة والأستاذة مها التوتنجي تعدها حول انتشار أسباب مرض التوحد في المملكة.

- من خلال حصر ردود الفعل التي رصدت على موقع جريدة الغد والمواقع الأخرى والفضائية نجد أن المواطنين أصبح لديهم معرفة حول أهمية إزالة البقع السوداء على الخبز بالإضافة إلى عدم وضع الخبز على الصحف فوق مائدتهم، وتحملهم مسؤولية إذا شاهدوا على أرض الواقع أي مخالفة بأن يبلغوا عنها السلطات المسؤولة لاتخاذ الإجراءات القانونية بحقهم.

قامت مطالبات بضرورة تعزيز الرقابة على المخابز التقليدية، كما وجدت نتائج التحقيق اهتماما من قبل الجهات الرقابية.

ثالثا:على مستوى المؤسسة الإعلامية: تشجعت المؤسسات الإعلامية على العمل مجددا مع شبكة أريج، كما صرفت مكافأة مالية للصحفي المتقصي في جريدة الغد اليومية.

١٤- متابعة (إن وُجِدَ التقرير). هل أجريت أية تصحيحات أو توضيحات على التقرير، أو هل تقدَّم أيُّ شخص ليتحدَّى دقَّتَه؟ إذا كان الجواب بنعم، وضِّح ذلك لطفاً.

١- شككت نقابة أصحاب المخابز في نتائج التحقيق، لكن التحقيق استند إلى وثائق رسمية حيث حللت النتائج المخبرية من قبل مؤسسات رسمية ومعتمدة.

٢- خفف لصياغة التحقيق(التحرير) من ردة فعل قوية إذ راعى جميع مواصفات ومتطلبات التحقيق الاستقصائي من حيث الدقة والموضوعية، آخذين بعين الاعتبار مقابلة جميع المصادر الذين لهم علاقة.

١٥- ما هي النصيحة التي تستطيع تقديمها لصحفيين آخرين يُخططون لمشروعٍ مشابه؟

١- أخذ الموافقة المسبقة من قبل المؤسسة الإعلامية لعمل التحقيق الاستقصائي حتى تلتزم بالنشر بالإضافة إلى متابعة أي ردود فعل بعد نشر

التحقيق ورصدها.

٢- وضع وصياغة فرضية بما يلامس المشكلة التي تنوي تقصيها بشكل مباشر وشامل.

٣- قراءة دراسات سابقة حول الموضوع للاستكمال من حيث انتهت تلك الدراسات، إذ تزود الباحث بأفكار جديدة أو جوانب لم يفكر بها الباحث المتقصي مسبقا.

٤- عمل عصف ذهني مع خبراء - كما فعلنا في هذا التحقيق- ومناقشة الفكرة قبل البدء بالتحقيق حتى يتم العمل بمنهجية واضحة ومحددة وتخطي الصعوبات والعراقيل.

٥- التحضير المسبق: فيما يتعلق بالأدوات والأجهزة التي يفضل أن يستخدمها الباحث المتقصي من حيث: الكاميرا، المسجل، طبيعة الوثائق الرسمية، عبوات خاصة للعينات لحفظها بطريقة معينة، دفتر صغير وأقلام ملونه لترميز وترقيم العينات المخبرية.

٦- تدوين أدق الملاحظات مهما كانت بسيطة وصغيرة لأنه في التحقيق الاستقصائي قد تعطي الباحث مؤشرات هامة تنطبق مع نتائج البحث سواء كانت تتعلق في المقابلات الشخصية، أو البيئة المحيطة للتحقيق.

٧- الحصول على فواتير مالية وموقعة ومختومة من قبل أي جهة يتعامل معها الباحث.

٨- بناء علاقات قوية مع المصادر بهدف تزويدنا بالمعلومات، التدخل المالي، التدخل لحل العقبات إن وجدت.

٩- استخدام مهارات إقناعية خاصة لدفع المسؤولين والمتضررين على حد سواء للمشاركة في التحقيق، مع بيان الهدف الرئيسي وراء هذا التحقيق، وهو «هدف وطني مشترك نحو إحداث تغيير في سلوكيات الناس السلبية ولفت أنظار الحكومة إلى قضية تنموية صحية بيئية».

١٠- أن يتمتع الباحث المتقصي بجلد على تحمل المشاق والصعوبات ويدرب نفسه على ذلك، ويتوقع أن تحقيقا استقصائيا قد يستغرق العمل به عدة شهور، إلخ، ويحدث ردة فعل قوية وتهديدات من قبل المتضررين.

١١-تسجيل ردود الفعل بعد النشر، لرصد مدى تأثيره على أفراد المجتمع بالإضافة إلى تقييم العمل بشكل عام لتفادي أي سلبيات تذكر.

١٢-اذا كان العمل مشتركا بين إعلامي أو أكثر يجب تقسيم المهام بشكل متواز ومنصف بالإضافة إلى أن يكون الصدق والصراحة وتبادل المعلومات بينهما باستمرار بشكل حضاري، كأحد مقومات نجاح التحقيق.

١٦- أية صعوبة، أو أية ظروف أخرى واجهتها لها صلة بهذا المشروع.

١- مماطلة المؤسسات الرسمية في إعطاء المعلومات أو النتائج المخبرية.

٢- ارتفاع أسعار نتائج التحاليل المخبرية.

٣- ليست كل الجهات تمنح الباحث فواتير مختومة في حال طلبها مثل المواصلات، المطاعم، إلخ.

٤- رفض المصادر الاشتراك في التحقيق، حيث أعربت عن مخاوفها من المساءلة.

٥- صعوبة إشراك صحفيين أو أكثر في موضوع واحد، وذلك من حيث الاتفاق على موعد النشر، وخاصة بين صحيفة وموقع إلكتروني.

١٧- مدى الوقت الذي تطلّبته تغطية القصة وكتابتها وتحريرها – من الألف إلى الياء؟

١٨- هل دعمك مسؤولك/ رئيس التحرير في العمل من حيث السماح لك بأخذ أجازة طويلة لتتفرغ للتحقيق؟ وفي حال كان الجواب كلا، وّضح لنا كيف استطعت التوفيق بين مهام التغطية الإعلامية اليومية والتحقيق الاستقصائي؟

استغرق انجاز التحقيق خمسة أشهر، ولاقى العمل في التحقيق دعما من قبل المسؤول في المؤسسة.

١٩- إذا استخدمت بكثافة مهارات تغطية مدعومة بالكمبيوتر، أجبْ عن الأسئلة التالية من فضلك:

أ- هل استخدمتَ بكثافة أية مصادر إنترنت؟ إذا كان الجواب بنعم، ضَعْ من فضلك العنوان (العناوين) ووضِّحْ كيف كان الموقع (المواقع) مفيداً لك؟

ب- هل حصلت على أية قاعدة معلومات إلكترونية أو بنيتَها؟ إذا حصلت على معلومات، ماذا كان اسمُها ومصدرها؟ كم كانت التكلِفَة؟ إذا كنتَ قد بنيتَ قاعدة (قواعد) معلومات خاصة بك، فأي سجلاّتٍ استخدمتَ؟

ج- هل واجهتك صعوبات في المعلومات نفسها؟ كيف تغلَّبت عليها؟

د- هل تمَّ أيُّ تحليل؟ إذا كان الجواب بنعم، ما هو؟

ه- هل تمَّ تحليل المعلومات من قبل مُوظَّفيكَ أم استُخدمت مساعدة خارجيَّة؟ من ساعدك؟

و- ما هي البرامج الإلكترونية المُحَدَّدة التي استخدمتها؟

انتهى